

سلطنة عمان
المنتدى الأدبي
وزارة التراث القومي والثقافة



ندوة العلاقات العمانية المصرية

من ٢ إلى ٤ مارس ١٩٩١م

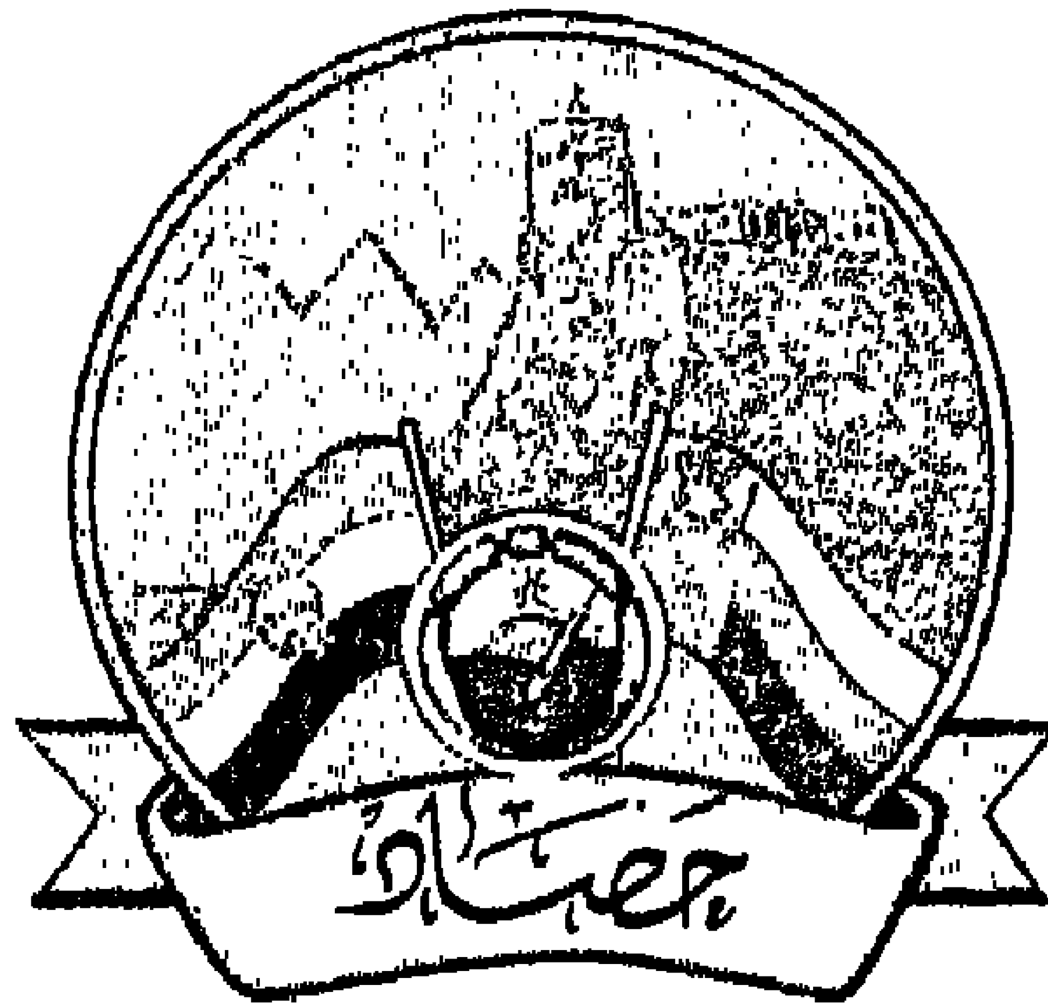
إشراف
سالم بن محمد الغيلاني
رئيس المنتدى الأدبي

إعداد
محمد علي الصليبي
مساعد مشرف المنتدى الأدبي

الجزء الأول

ديسمبر - ١٩٩١م

سلطنة عمان
المنتدى الأدبي
وزارة التراث القومي والثقافة



ندوة العلاقات العمانية المصرية

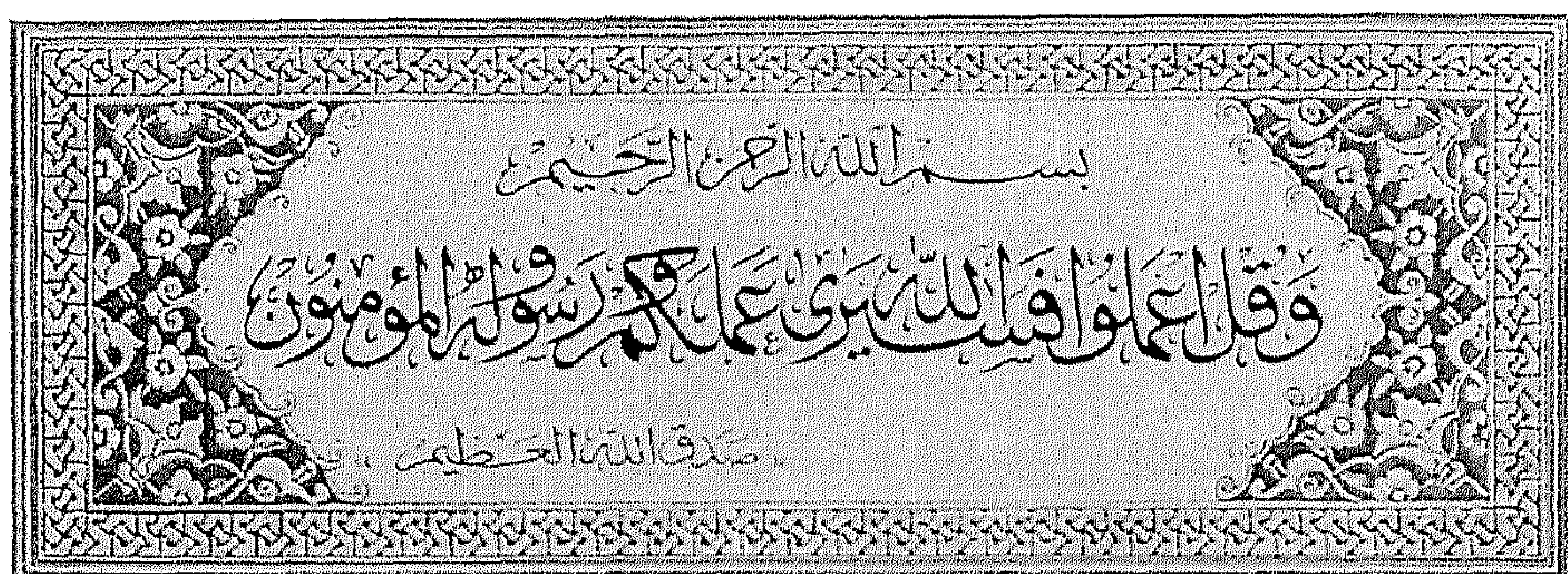
من ٢ إلى ٤ مارس ١٩٩١م

إشراف
سالم بن محمد الغيلاني
رئيس المنتدى الأدبي

إعداد
محمد علي الصليبي
مساعد مشرف المنتدى الأدبي

الجزء الأول

ديسمبر - ١٩٩١م


بسم الله الرحمن الرحيم
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
صدق الله العظيم

كلمات مضيئة

ان عمان قد دأبت باستمرار على أن تقوم بدورها كاملا على المسرح العالمي بالتعاون مع كل الدول الصديقة في سبيل الدفاع عن حرية الانسان وعزته وكرامته ، وقد واصلنا أيضا العمل بالتعاون الوثيق وبروح تتسم بالوفاق الأخوي في إطار جامعة الدول العربية دفاعا عن القضايا العربية ، ان هذا الدور الذي يقوم به بلدنا سيبقى دائما حجر الزاوية في سياستها الخارجية .

قابوس بن سعيد



حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم

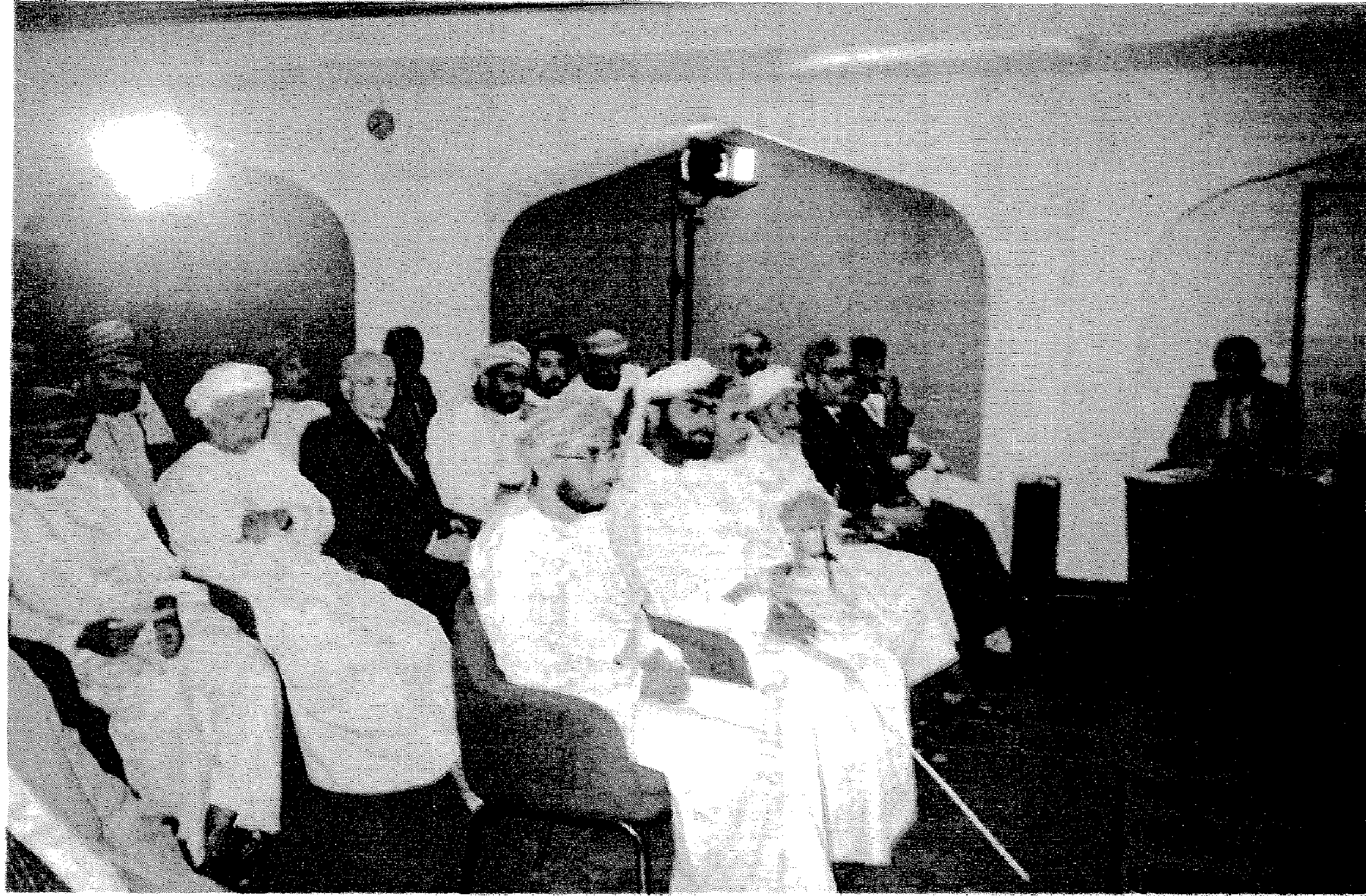
إهـــــــداء

الى المقام السامي لحضرة صاحب الجـلالة السـلطان
قابوس بن سعيد المعظم - حفظه الله -

إن مـا تحقق على أرض عـمان من انجازات يعتبر ملحمة رائعة سوف يسجلها التاريخ بأحرف من نور في سجل المجد، وأن اسمكم يا مولاي جلالة السلطان قابـوس بن سعيـد المعظم سيبقى عـالقـا في عبقرية الخلود، ذكرى عطرة تطل من كوّة الدهر تذكرنـا بهـذا العهـد الزاهر وتلك المنجـزات العمـلاقة التي أضحت مضرب المثل للقاصي والداني.

وأن أسرة المنتدى الأدبي إذ ترفع هذا الإهداء يا مولاي الى مقامكم السامي لتدعو الله من أعماق القلوب أن تظـل ياسيـدي ذخـرا لعـمان ومعينا لا ينضب لأمتنا العـربيـة والاسـلامية، وأن يحفظك رب البريـة بـرعـايته، ويكـلأك بعنـايتـه، وأن يتحقق على يـديك يـا سيـدي كـل مـا تصبو اليه عمان من عزة وسؤدد وأمن ورخاء وطمأنينة.

أسـرة المنتـدى



افتتاح فعاليات الندوة تحت رعاية معالي السيد سلطان بن حمد السمار محافظ مسقط

بين يــدي النــدوة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ومن تبعه باحسان إلى يوم الدين وبعد ،

فانه منذ القدم كان لعمان صلات طيبة ومتميزة بمختلف الدول التي ظهرت فيها الحضارات القديمة حيث نشأت تلك الصلات مع الهند ووادي السند وبلاد ما بين النهرين ووادي النيل وانه نظرا للتشابه والتمازج والتماثل الحضاري بين سلطنة عمان وجمهورية مصر العربية منذ حضارة الانسان الصياد في موقع رأس الحمراء والحضارة الفرعونية في مصر .

وتأكيدا لاستمرارية هذه العلاقات التاريخية المتميزة انبثقت فكرة اقامة ندوة العلاقات العمانية المصرية التاريخية سنة ١٩٨٩م ، حيث انتدبنا حينها سعادة سالم بن محمد الغيلاني مستشار التراث الشعبي بوزارة التراث القومي والثقافة/رئيس المنتدى الأدبي ، لزيارة جمهورية مصر العربية والتنسيق مع جامعة الزقازيق على أن تقام هذه الندوة بالسلطنة باشراف المنتدى الأدبي حيث رفع سعادته الينا تصورا أوليا عن الندوة فاستحسناه وأصدرنا التعليمات بشأن المتابعة والتحضير له .

وبناء على ذلك تواصلت الزيارات بين المسؤولين في القطرين الشقيقين حيث قام الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ بزيارة رسمية للسلطنة اجتمع فيها مع عدد من المسؤولين بالوزارة لوضع اللمسات المبدئية لتصور فعاليات الندوة واختيار الباحثين من جمهورية مصر العربية وتحديد عناوين البحوث ، وكذلك

الندوة في وضعها الحالي وقد كان مقررا أن تعقد ضمن فعاليات العيد الوطني العشرين المجيد للسلطنة ، الا أن انشغال المسؤولين في تلك الفترة أدى إلى تأجيلها الى ١٧ ـ ١٩ فبراير ١٩٩١م ، غير ان الندوة لم تتم في موعدها المحدد حيث اعتذر الاخوة المشاركون من الأساتذة في جامعة الزقازيق نظرا لانشغالهم في مهمة رسمية خارج جمهورية مصر العربية وبالاتفاق بين البلدين تحدد موعد الندوة الحالي (٢ ـ ٤ مارس ٩١) والتي يشارك فيها من جمهورية مصر العربية كل من : ـ

١ ـ **الاستاذ الدكتور/ رأفت غنيمي الشيخ**

عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق

٢ ـ **الاستاذ الدكتور/ عبدالرحمن اسماعيل الصالحي**

رئيس قسم الاقتصاد/جامعة الزقازيق

٣ ـ **الاستاذ الدكتور/ شوقي عطا الله الجمل**

استاذ التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الافريقية

٤ ـ **الدكتور/ أحمد السيد محمد عوده الحسيسي**

استاذ بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس

٥ ـ **الدكتوره/ سحر السيد محمد عبدالعزيز سالم**

مدرسة التاريخ بكلية آداب الاسكندرية

٦ ـ **الدكتوره/ آمال محمد حسن**

مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية البنات ـ جامعة عين شمس

٧ ـ **الاستاذ/ عبدالتواب يوسف**

كما شارك من سلطنة عمان في هذا المجال :

١ ـ **الدكتور/ رجب محمد عبد الحليم**

معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

٢ ـ المهندس/ سعيد بن محمد الصقلاوي

٣ ـ عبدالله بن ناصر الحارثي

من جامعة السلطان قابوس

٤ ـ علي بن محسن آل حفيظ

مدير دائرة تطوير المناهج ، بوزارة التربية والتعليم

٥ ـ سعيد بن محمد الغيلاني

من جامعة السلطان قابوس

ونظرا لأهمية الموضوعات المطروحة في هذه الندوة فقد رأت الوزارة انه من المفيد للمهتمين بالدراسات التاريخية أن يكلف عدد من الباحثين المعروفين بالتعقيب على هذه الموضوعات وذلك باعداد دراسات تتناول صلب الموضوع من وجهة النظر وقد تسلط الضوء على بعض النقاط أوتضيف اليها المعلومة في محاولة جادة للخروج بهذه الندوة بالشكل اللائق والمشرف وليكون بساط البحث على قدر همة المسؤولين عن اعداد هذه البحوث وشارك في اعدادها كل من :

١ ـ سعادة عبدالقادر بن سالم الغساني

المستشار التربوي بمكتب معالي وزير التربية والتعليم

٢ ـ الدكتور/ ابراهيم الزين الصغيرون

من جامعة السلطان قابوس

٣ ـ الدكتور/ محمد صابر عرب

من جامعة السلطان قابوس

٤ ـ أحمد بن سليمان الكندي

مدير عام المديرية العامة للتربية والتعليم بالمنطقة الداخلية .

٥ ـ **خليل بن حمدان طبش**

من دائرة تطوير المناهج ـ بوزارة التربية والتعليم

٦ ـ **سالم بن محمد العبري**

المستشار بوزارة الاعلام

٧ ـ **الشيخ أحمد بن سعود السيابي**

مدير عام الشؤون الاسلامية بوزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية

وفي اطار الاعداد لهذه الندوة قام المشرفون على تنظيمها بتشكيل العديد من اللجان من الوزارة والمنتدى الأدبي للقيام بالتحضير والاعداد والأمانة العامة والعلاقات العامة والسكرتارية والصياغة وغيرها مما له علاقة في انجاح فعاليات الندوة . كما حرص المشرفون على الندوة ومن واقع رغبتهم الأكيدة في أن يشركوا في فعالياتها أكبر عدد ممكن من المهتمين بالدراسات التاريخية واساتذة وطلبة جامعة السلطان قابوس ، والمؤسسات الثقافية والعلمية المعنية بحيث تم الاعلان عن الندوة عبر القنوات الرسمية والشعبية ورجال الصحافة والاعلام ، واننا إذ نتوجه بطباعة بحوث ودراسات ندوة العلاقات العمانية المصرية التاريخية لتجد طريقها الى ايدي المفكرين والمؤرخين فاننا لندعو من قلوبنا أن تكون الندوة قد حققت الثمار المرجوة من انعقادها وأن يكون مردود فعالياتها كما توقعه الجميع .

والله ندعو أن يحفظ بعنايته ويكلأ برعايته قائد المسيرة الظافرة مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم باني نهضة عمان الحديثة ومحقق امجادها السامقة .

والله ولي التوفيق . .

فيصل بن علي بن فيصل ال سعيد

وزير التراث القومي والثقافة

كلمة
معالي السيد سلطان بن حمد السمار
محافـظ مســقط (راعي فعاليات الندوة)

أحمدك اللهم سبحانك أنت القائل في محكم كتابك ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ واصلي واسلم على حبيبك وصفيك محمد ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وصفوة الخلق ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد . .

ضيوفنا الكرام . . أصحاب السمو والمعالي . . أصحاب السعادة . . أيها الجمع الفاضل . .

إذا كانت حضـارة الأمم تقاس بمقدار ما خلفه السلف للخلف ، من تركة تراثية وانسانية فإن وقفة لنا متأنية مع تاريخ أمتنا تطرق أسماعنا لتذكرنا بأن لهذا البلد حضارة موغلة في عمر التاريخ .

ولعـل الآثار التي تمخضت عن البعثات الاثرية العاملة بالسلطنة تكشف لنا بصدر رحب وتأييد منقطع النظير بأن عمان منذ القدم كانت لها صلات طيبة ومتميزة بمختلف الدول التي ظهـرت فيهـا الحضـارات القديمة ، بل انه يمكن القول انه منذ ظهرت الحضارات الانسانية على وجه الأرض كانت عمان بحكم موقعها الجغرافي مكان التقاء بل وتمازج تلك الحضارات .

فعلى أرض مجان (الاسم القديم لعمان) تلاقت ثقافات ما بين النهرين والهند والسند وحضارة وادي النيل وغيرها لتشكل تراثا عمانيا انسانيا عريقا . . حيث أكسب موقع عمان الهام في قلب العالم المتحضر أهمية قصوى لها ، وجعل منها الحارس اليقظ الأمين على مدخل الجـزيـرة العـربيـة ، وقد استغل العمانيون هذا الموقع ايما استغلال . . فدرسوا اتجاهات الريح ، وجابت سفنهم البحار والمحيطات وكان لهم اسطول من أقوى الأساطيل البحرية في

فترة الق الامبراطورية العمانية ، وانعكست آثار ذلك على الشخصية العمانية خاصة وبعد أن استجاب العمانيون لداعية دين الله طوعا وعن طيب خاطر ، وهم يدفعهم الايمان الى رفع رايات دين الله خفاقة عالية ، اينما حلوا وأنى اتجهوا ، واستطاعوا أن يستقلوا بشخصيتهم وان يحافظوا عليها قوية مكتملة عبر عصور التاريخ دون أن تتعرض للذوبان والانصهار .

ضيوفنا الكرام . . أصحاب السمو والمعالي . . أصحاب السعادة . . أيها الجمع الفاضل . .

وإذا كانت المدونات التاريخية تشير الى وجود علاقات مزدهرة بين حضارة الفراعنة في مصر وبين حضارة انسان عمان منذ عهد الأسرة السادسة ، فإن ما يثلج صدرنا أن هذه العلاقات قد وطدت وشائجها باخوة الاسلام وتلاحم الصف ووحدة المصير بين سلطنتنا الفتية بقيادة مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ، وبين الشقيقة جمهورية مصر العربية بقيادة فخامة الرئيس محمد حسني مبارك ، وان نرى من نتاج هذه الروابط الأخوية هذه الندوة العلمية والثقافية والتاريخية والتي نسجل من خلالها سلسلة ماسية من العلاقات المتميزة ما بين البلدين الشقيقين عبر حلقات التاريخ . . هذه الندوة التي يسعدني أن أعرب عن اغتباطي وسروري برعايتها ، وهنا لا يسعني الا أن أتوجه بالشكر إلى صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة الذي آثرني برعاية هذه الملحمة الثقافية كما أتوجه بالشكر إلى المنتدى الأدبي والعاملين فيه على الجهود التي بذلوها لانجاح الندوة ، كما لا يفوتني أن أخص بالشكر اخواننا من الأساتذة والعلماء والباحثين من جمهورية مصر العربية ومن السلطنة لما سيقدمونه لنا من عصارة فكرهم المتوقد من بحوث ودراسات أضفت على الندوة هذا الزخم العلمي الكبير .

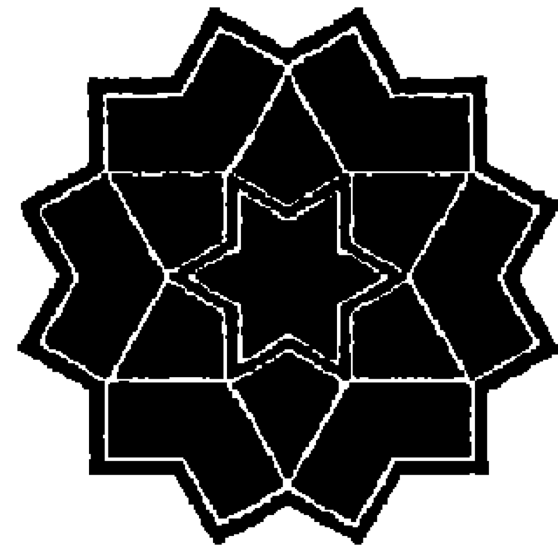
ضيوفنا الكرام . . أصحاب السمو والمعالي . . أصحاب السعادة . . أيها الجمع الفاضل . .

وإذا كانت عمان قد مرت عليها فترة جعلت تاريخها الناصع يقبع في صفحات مطوية

فإن الفضل كل الفضل في فتح هذه الصفحات واعادة الحياة اليها يعود الى مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم الذي بدأ عهده الميمون كأحسن ما تكون البداية بالتعليم ولو تحت ظلال الشجر لأنه بالعلم ترقى الأمم فانتشرت المدارس والمعاهد والمؤسسات الثقافية بالبلاد ، كما توج كل هذا بجامعة السلطان قابوس لتكون احدى منابر العلم والثقافة في المنطقة ، كما صدرت أوامر جلالته حفظه الله بانشاء النادي الثقافي والمنتدى الأدبي بمثابة دوحتين يستظل في فيئهما طلاب العلم والثقافة وعشاق الفكر والأدب ، كل ذلك نبع من ادراك عميق لحكومة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم بأن هذه الأمة سادت بفضل العلم ، وشادت حضارات انسانية وقفت شامخة الى يومنا هذا فالعلم اكسير الحياة ورحم الله الشاعر القائل :

هو العلم يعلو بالبلاد سعادة ... ويجعلها كالعلم محمودة العقبى
فكل بلاد جادها العلم امرعت ... رباها وانبتت العز لا العشبا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته !!





جانب من فعاليات الندوة

كلمة

سعادة سالم بن محمد الغيلاني

رئيس المنتدى الأدبي / أمين عام الندوة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد :

معالي راعي الحفل السيد سلطان بن حمد السمار محافظ مسقط

ضيوفنا الأفاضل . . أصحاب السمو والمعالي . . أصحاب السعادة . . أيها الحفل الكريم

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن أقف بينكم وسط هذه التظاهرة الثقافية التاريخية لأرحب معكم بضيوفنا الأساتذة من جمهورية مصر العربية الشقيقة المشاركين في ندوة العلاقات العمانية المصرية التاريخية والتي تأتي انطلاقا من حرص السلطنة ممثلة بوزارة التراث القومي والثقافة وحرص جمهورية مصر العربية الشقيقة ممثلة في جامعة الزقازيق ورغبتهما الأكيدة الصادقة في دعم أواصر الأخوة والمودة بينهما .

كما يسعدنا حقا أن تأتي هذه الندوة تتويجا للعلاقات بين بلدينا الشقيقين وفي اطار تنفيذ الاتفاقية الثقافية الموقعة بينهما ، وإيمانا منهما بأنه من الصعب حجز الآثار الانسانية خلف أسوار من الاقليمية أو القومية لأن حجزها ليس في قدرة الانسان فهي تتسرب مع الرياح وتنطلق مع الهواء ، وتطرق كل القلوب بلا استثناء وهنا يطفو إلى السطح دور الثقافة الواعية والمثقفين الأكفياء في العمل على كسر تلك الحواجز الزجاجية انطلاقا من مفهومهم بأن الثقافة هي مجموع مكونات شخصية المجتمع وما يميزه عن الجانب الآخر سواء ذلك من الجانب التطبيقي أو النظري وإدراكا منهم لأهمية الاحتكاك الثقافي بين الأمم وتأثر وتأثير بعضها بالبعض وإننا إذا أخلصنا النية في هذا الاتجاه سنصل في نهاية المطاف إلى محاولة تتبع جذور

بعض الأفكار التي وجدت في ثقافتنا بما يدفعنا حين نتناول قضايانا العلمية والأدبية بشكل عام والتـاريخيـة بشكـل خاص أن نتناولها من منظور تصنيفي يهيمن عليه هاجس البحث والتنقيب عن التطابقات أو التماثلات أو التشابهات .

وانه مادام معيار التصنيف ومقياسه هو وحدة الموقف وتماثله على الرغم من الاختلافات التي قد تقوم بين أصحابه فإن ما نود أن نخرج به هنا ومن ندوتنا التاريخية هذه أن نثبت أن هذه الوحدة التاريخية التي نتحدث عنها ممعنة في القدم موغلة في جذور التاريخ ، ضاربين صفحا عن كل اختلاف وذلك لحساب الهوية .

معالي راعي الحفل . .

ضيوفنا الأفاضل . . أصحاب السمو والمعالي . . أصحاب السعادة . . أيها الحفل الكريم

وإنه لما كان العقل والفكر هما عينا الحضارة المبصرتان ، كان من الطبيعي أن يبحث الانسان الذي ميزه الله بالعقل ومنذ خلافته في الأرض عما يوضح له أسرار ما حوله في محاولة منه لتفسير ظواهر الطبيعة وما يكشف عن أسرارها ، والتنقل من مكان إلى مكان وقد يصل إلى ضالته المنشودة وقد يتعثر فيأتي غيره ليكمل المشوار وهنا يكمن دور المؤرخ في التسجيل لهذه الفترة المبكرة في عمر الانسان وفي ربطه للأحداث والحقائق ربطا منطقيا ، قارنا العلة بالمعلول ، والمنـطق بالاستقـراء مسلطا الضوء على انسان هذه الفترة وطرق معاشه وأنماط تفكـيره وأمـاكن استقـراره ومـدى استئنـاسه للحيوان ومعرفته للزراعة وبنائه المستوطنات السكنية ، وركوبه متون البحار وتمكنه من استغلال خامات بيئته وإذا كان ما تقدم يطلق عليه المؤرخـون حضـارة انسان ما قبل التاريخ فإننا نذكر بكل اعتزاز ان في السلطنة أكثر من (٥٠٠) موقـع أثـري كشفت المسوحات والتنقيبات الأثرية التي قامت بها البعثات العاملة بالتنقيب فيها بالسلطنة وتحت إشراف دائرة الآثار بوزارة التراث القومي والثقافة ، انه في الوقت الذي زاول فيه انسان وادي النيل في مصر نشاطا حضاريا مازال يذكر له باعجاب ،

كانت هناك حضارة عمانية تعود إلى عصر الأسرات بل إلى ما قبل هذا العصر كما كشفت عن أن انسان عمان عرف أنماطا من طرق الري تشبه إلى حد بعيد نظام الأفلاج المعروف في عمان وانـه استـأنس الحيوانات كما تمكن من استغلال خامات بيئته ، كما ان معدن النحاس في (مجان) « اسم عمان القـديم » يعتبر عنصرا طبيعيا وحضاريا مهما للغاية في تاريخ التراث الحضاري العماني القديم لأن هذا المعدن قد ثبت أثريا توفره في عمان واستغلاله على نطاق تجاري كما اهتم أهـل عمان منذ العصور القديمة بما تنتجه أرضهم من خيرات وقد مثلت محاصيل عمان أهمية خاصة بين حضارات العالم القديم حيث مثل اللبان الذي كان ينتج منذ غابر العصور في ظفار أهم السلع الاستراتيجية في العالم القديم كما كشفت هذه المسوحات عن وجود علاقات تجارية مزدهرة وتمازج وتشابه بين حضارتي انسان عمان وانسان وادي النيل .

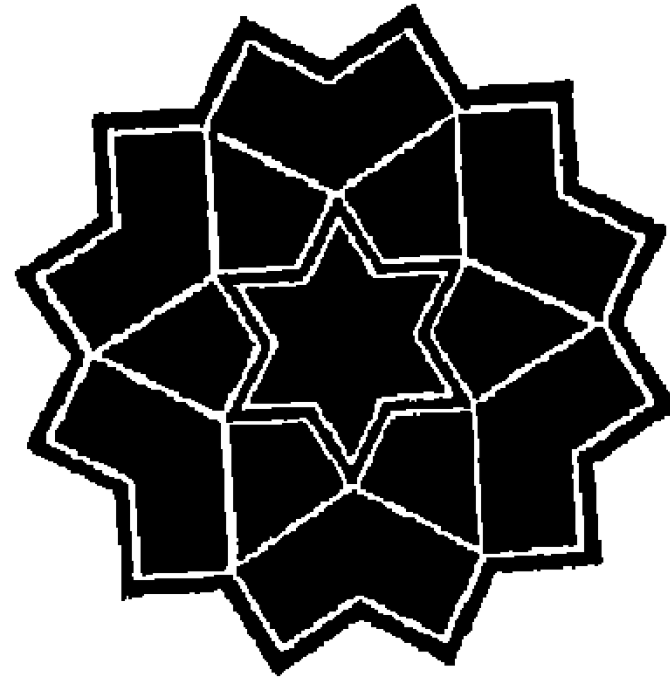
ولعل هذا من الأمور التي دفعت الوزارة وعلى رأسها صاحب السمو السيد فيصل بن علي آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة إلى إقامة هذه الندوة التي نرجو لها أن تحقق الغاية المرجوة منها وان تكلل أعمالها بالنجاح ، وأن يحالفها عامل التوفيق لما فيه خير وصالح ونفع القطرين الشقيقين ، هذه الندوة التي نعتز ان تقام على أرض السلطنة الحبيبة كما نعتز حقا فيها بمشاركة نخبة من أساتذة الفكر ممن عرفوا على الساحة الفكرية وتألقت أسماؤهم في دنيا المعرفة وإنه نظرا لأهمية الموضوعات المطروحة في هذه الندوة فقد رأى سمو السيد الوزير أن المفيد للمهتمين بالدراسات التاريخية ان يكلف عدد من الباحثين المعروفين بالتعقيب على هذه الأبحاث وذلك باعداد دراسات تتناول صلبها وتنهل من معينها وقد تسلط الضوء على بعض النقاط أو تضيف اليها المعلومة (والشيء بالشيء يذكر) في محاولة تسمو إلى الجدية وتصبو إلى الاقـتراب من الكـمال (والكمال لله وحده) للخروج بهذه الندوة بالشكل اللائق والمشرف وليكـون بسـاط البحث على قدر همة المسؤولـين عن إعـداده (وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم) وقد كنا نتمنى أن يكتمل العقد وان يشمل التعقيب كل البحوث ولكن أسبابا أدت

إلى عدم تحقيق هذه الرغبة (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن) حيث تأخر تسليم البحوث من قبل الأخوة المكلفين باعدادها بالسلطنة والحق فإن لهم أكثر من عذر في ذلك ولا يسعنا هنا إلا أن نتوجه للجميع بالشكر والتقدير ـ باسم سمو السيد الوزير ـ على الجهود المخلصة التي بذلـوها لانجاح هذه الندوة ، كما نتوجه بالشكر إلى صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة والذي كان معنا في تعليماته ومتابعاته لكل عمليات الاعداد والتحضير للندوة ، كما نتوجه بالشكر الخاص لضيوفنا الأفاضل الذين تجشموا مشاق السفر ليشاركونا هذه التظاهرة الثقافية وليكونوا معنا قلبا وقالبا . سائلين المولى ـ عز وجل ـ أن يديم على سلطنتنا الحبيبة وافر النعمة ودوام الاستقرار ، وراغد العيش ، في ظل مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ، وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه .

معالي راعي الحفل السيد سلطان بن حمد السمار محافظ مسقط

ضيوفنا الأفاضل . . أصحاب السمو والمعالي . . أصحاب السعادة . . أيها الحفل الكريم

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .



كلمة
الاستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ
عميد كلية الآداب بجامعة الزقازيق/ الأمين العام المساعد للندوة

معالي السيد سلطان بن حمد السمار

محافــظ مســقط (راعي فعاليات الندوة)

أصحاب السمو والمعالي . . أصحاب السعادة . .

أيها الحفل الكريم من الزملاء الباحثين من السلطنة ومن مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نجتمـع اليوم على أرض السلطنة وفي ظل وزارة التراث القومي والثقافة لنستعرض بحوثا ونتناول الصلات التاريخية بين عمان ومصر عبر العصور التاريخية وهي صلات شهدت على الدوام ولله الحمد ايجابيات تدعمت وتعمقت لصالح الشعبين الشقيقين .

فقـد شارك أبنـاء عمان في فتح مصر زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وأقامت واستوطنت مصر بعض قبائل عمان وساهموا في تعريب مصر وانتشار الاسلام في ربوع الكنانة .

وكان هناك تقدير متبادل بين حكام وأبناء السلطنة من ناحية وأبناء مصر من ناحية ثانية ، مثال ذلك الاحترام المتبادل والتقدير الكبير الذي ابداه حاكم مصر محمد علي للسيد

سعيد بن سلطان حاكم عمان وشرق افريقيا ثم التقدير والتعاون بين الخديوي اسماعيل حفيد محمد علي والسلاطين العمانيين بشرق افريقيا السيد ماجد بن سعيد والسيد برغش والأمثلة على ذلك كثيرة .

وكان موقف السلطنة وجلالة السلطان قابوس بن سعيد بصفة خاصة بالنسبة لمصر بتدعيم العلاقات بين القطرين الشقيقين سواء حين كان يحكم مصر الرئيس محمد أنور السادات أو منذ حكمها الرئيس محمد حسني مبارك علاقة مميزة في الصلات التاريخية ليس فقط على المستوى الثنائي وانما أيضا على المستوى العربي والمستوى العالمي .

فما زال شعب مصر يقدر لجلالة السلطان قابوس موقفه إلى جوار مصر في حرب العاشر من رمضان وبعدها حين كانت السلطنة هي الدولة العربية الوحيدة في المشرق العربي كله التي حافظت على صلاتها الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية مع مصر طوال فترة الثمانينات من هذا القرن .

كما ان شعب مصر يقدر لجلالة السلطان سياسته العربية والدولية ذات الجذور التاريخية ، حيث تميزت تلك السياسة بالحكمة والاعتدال ولم تلجأ الى الانغماس في علاقات دولية تبعد السلطنة عن سياستها الرشيدة مما أكسبها احترام العالم كله .

ويقدر شعب مصر طيبة وكرم وحسن المعشر الذي يبديه أبناء عمان نحو أبناء مصر وأؤكد أننا في مصر نستقبل أبناء السلطنة أحسن استقبال ونسعد بهم سواء في جامعاتنا أو في المجالات الأخرى حيث يتميز أبناء السلطنة بالالتزام وحسن الخلق مما يشير إلى أصالتهم الحضارية وجذورهم التاريخية العريقة .

وبالنسبة لندوتنا هذه (العلاقات العمانية المصرية) فإن لها تاريخا أيضا حيث كان لي الشرف بزيارة السلطنة منذ السبعينات من هذا القرن بدعوة من صاحب السمو السيد

فيصل بن علي بن فيصل وزير التراث القومي والثقافة وشاركت في أسابيع ثقافية كما شاركت في مهرجان التراث العماني .

وفي اطار الصلات الوثيقة التي تربطنا بوزارة التراث القومي والثقافة فقد تشرفت بالكتابة لصاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد أعرض على سموه فكرة اقامة ندوة عن الصلات التاريخية بين السلطنة ومصر وكان ذلك عام ١٩٨٩م في اطار الندوات التي نظمتها كلية الآداب بجامعة الزقازيق مع المملكة العربية السعودية ومع الجمهورية العراقية ومع الجمهورية العربية اليمنية .

وقد استجاب سموه وكلف سعادة السفير سالم بن محمد الغيلاني مستشار التراث الشعبي بوزارة التراث القومي والثقافة/ رئيس المنتدى الأدبي بالسفر إلى الزقازيق حيث سعدنا بلقائه وناقشنا الأمر وبدأ منذ ذلك الوقت اعداد الترتيبات لعقد هذه الندوة حتى استقر أمر اقامتها بمسقط في اليوم الثاني من شهر مارس ١٩٩١م .

وقد شارك في هذه الندوة ببحوث علمية رصينة مجموعة من الباحثين من مصر يمثلون جامعات الزقازيق والقاهرة وعين شمس والاسكندرية ، ومن وزارة التراث القومي والثقافة ومن جامعة السلطان قابوس .

وبهذه المناسبة يسعدني أن أتقدم - باعتباري أمينا مساعدا للندوة - عن الجانب المصري بالشكر والتقدير والاحترام لجلالة السلطان قابوس بن سعيد الذي يحقق ويدعم مع شقيقه الرئيس محمد حسني مبارك أسس العلاقات المتميزة بين القطرين الشقيقين لما فيه خير الشعبين الشقيقين وخير العروبة والاسلام ، وهي علاقات يمكن أن تكون نموذجا يحتذى به في مجال العلاقات الدولية وسوف نحمل أنا وزملائي أعضاء الوفد المصري ذكريات طيبة عن السلطنة وعن شعبها الشقيق بقيادة حضرة صاحب الجلالة قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله .

كما يسعدني أن أتقدم بالشكر لصاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة صاحب الفضل في الاستجابة السريعة لفكرة عقد هذه الندوة بين قطرين شقيقين وشعبين عربيين مسلمين شقيقين .

كما أتقدم بالشكر إلى معالي السيد سلطان بن حمد السمار محافظ مسقط على تفضله برعاية هذا الحفل وهي لفتة كريمة نقدرها حيث ان ذلك اسهام لتعميق وتدعيم الصلات بين السلطنة ومصر تنفيذا لتوجيهات جلالة السلطان المعظم والرئيس محمد حسني مبارك .

وفي الختام أتقدم بالشكر لأصحاب السعادة السفير سالم بن محمد الغيلاني أمين عام الندوة/ رئيس المنتدى الأدبي والشيخ عبدالله بن صخر العامري المستشار بوزارة التراث القومي والثقافة/ رئيس لجنة الاعداد والتحضير للندوة وغيرهما من رجال وزارة التراث القومي والثقافة الذين أسهموا اسهامات كبيرة ولم يبخلوا بأي جهد للمشاركة في تنظيم هذه الندوة القومية العربية والعمل على نجاحها .

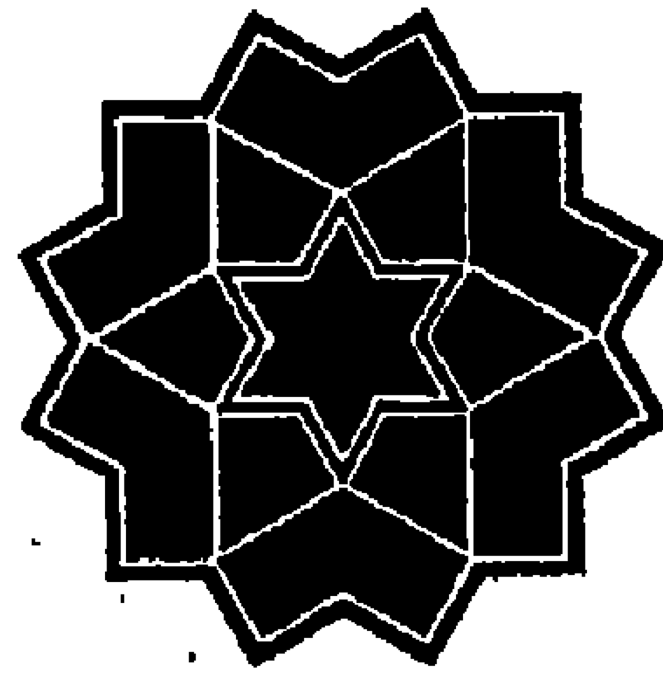
وأما زملائي الباحثين والاعلاميين الذين قدموا من مصر أرض الكنانة فانني أحيي جهودهم التي بذلوها والتي سوف يبذلونها لتحقيق الهدف من عقد هذه الندوة وأدعو لهم بالتوفيق ، وقد شعروا منذ وطئت أقدامهم أرض السلطنة أنهم في بلدهم الثاني وبين أهليهم وهو شعور يؤكد وحدة الفكر والمصير بين أبناء القطرين الشقيقين .

أيها الحفل الكريم . .

هذه كلمات سقتها معبرا بها عن نفسي وعن زملائي أعضاء الوفد المصري شاكرين للمسئولين في وزارة التراث القومي والثقافة حسن الاستقبال وكرم الضيافة بما يؤكد عمق الصلات الأخوية بين أبناء سلطنة عمان وأبناء مصر الكنانة ، وما نحن هنا الا رمز لهذه الصلات ندعو الله أن تتدعم هذه الصلات أحسن وأكثر تقدما ان شاء الله في ظل رعاية كل

من جلالـة السلطان قابـوس بن سعيـد المعـظم والسيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .





الجلسة الأولى في الندوة

فعاليات النـدوة

الــدراســـات والبـحـــوث

(مرتبــة حســب الأقدميــة التاريخيــة)

(١)

عروبة مصر القديمة

وصلاتها التجارية بأرض اللبان

علي بن محسن ال حفيظ
مدير دائرة تطوير المناهج
بوزارة التربية والتعليم

إن دراسة العلاقات التجارية بين مصر وعمان في العصور القديمة لابد أن يتضمن دراسة هذه العلاقات من خلال العلاقات مع بلاد العرب الجنوبية المتمثلة في بلاد اليمن وحضرموت والمهرة وعمان ، حيث إن هذه المناطق كانت تمثل وحدة طبيعية متكاملة ، خضعت في الألف الثانية ق.م وما تلاها من فترات تاريخية استمرت حتى أوائل القرن السادس الميلادي لدول حضارية متقدمة قامت في هذا الجزء من الجزيرة العربية .

كما ان هذه المنطقة من الجزيرة العربية تميزت عن سائر المناطق بثروتها الزراعية ونباتاتها وأشجارها التي اشتهرت بها كأشجار البخور والصبر والكافور والنخيل وذات الروائح العطرية مثل شجر اللادن (اللبان) والبخور .

فضلا عن الزراعة التي قامت في عدة مراكز وذلك بسبب توافر مياه الأمطار التي استفادوا منها في إقامة السدود والقنوات المائية التي استغلت في زراعة الغلات المختلفة . وتوافرت في بلاد العرب الجنوبية الثروات المعدنية التي كان من أهمها الذهب والنحاس والأحجار الكريمة .

وفي مضمار التجارة كانت لهم حركة واسعة نشطة سواء في مجال التجارة

البحرية أو التجارة البرية وأقاموا بها مستعمرات على طول طرقهم البحرية ، وكذلك على امتداد قوافلهم البرية نحو الشمال عبر الجزيرة العربية إلى بلاد الشام ومصر والرافدين .

وإذا تتبعنا العلاقات التجارية بين الجنوب العربي (عمان وما جاورها) منذ الألف الثانية ق.م وبين مصر حتى أوائل القرن السادس الميلادي فسوف يكون ذلك من خلال تتبع الدول التي قامت في الجنوب العربي طوال هذه الفترة .

ولقد اختلف المؤرخون ودارسو لغات الشرق القديمة اختلافات شتى ، حول طبيعة العلاقات التاريخية بين مصر القديمة وجنوب شبه الجزيرة العربية .

والباحث في اختلافات العلماء في هذا الصدد يجد أن سببها اختلاف النصوص المدونة عن تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية ولاسيما الطابع الاسطوري للكثير من القصص المروي ، فضلا عن القصور[1] الذي لايزال يكتنف فهم العلماء للغة النقوش القديمة والأثرية بصفة عامة إلى وقتنا هذا .

وكما ظهر اختلاف علماء التاريخ والآثار حول معاني النقوش والمدونات القديمة ، كذلك اختلفوا على مدى أهمية مادة اللبان ، حيث أكسبها بعضهم صفة القداسة ، بينما قلل البعض الآخر من شأنها ، مقدما سلعا أخرى عليها ، من حيث الأهمية كالصبر والمر وغيرهما .

أمر آخر يثير الانتباه هو : اختلاف العلماء أيضا حول بلاد بونت أو بنت التي ذكرت في النقوش المصرية بأنها أرض اللبان . فقد اعتبرها بعضهم منطقة

---

(١) انظر : أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ص٤٧-٤٨ جـ١ .
د. يوسف محمد عبدالله . اصدار وزارة الاعلام . صنعاء . وانظر : محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الاسلام ، أغناطيوس جويدي ، ترجمة ابراهيم السامرائي ، ص ٨٦ .

القرن الأفريقي ، بينما يرى البعض الآخر أنها تشمل مواقع أشجار اللبان أينما وجدت .

ولعل الذي أدى إلى هذا الخلاف هو اعتبار وجود أشجار اللبان تأكيدا لبلاد بونت . علما أن أشجار اللبان(*) وجدت وتوجد في أكثر من موطن غير جنوب شبه الجزيرة العربية ، مثل شرق إفريقيا ، وفي بلاد الصومال على وجه التحديد ، وكذلك في مرتفعات ارتيريا ، على الضفاف الغربية من البحر الأحمر ، وكذلك توجد هذه الشجرة في بعض مناطق الهند وان كانت الشهرة التاريخية لشجرة اللبان ـ مادة وموقعا ـ قد حظيت بها المواقع العربية عبر الأزمان والعصور ، ونعني بالمواقع العربية مواقع لشجرة اللبان ـ منطقة الشحر ـ بالمفهوم التاريخي القديم ، بما في ذلك جزيرة سقطرى .

ومنطقة الشحر القديمة بالمفهوم التاريخي ، هي المنطقة التي ينسب إليها أجود أنواع اللبان ، وأشهر موانئه ، وهي في عرف القدماء من المؤرخين والجغرافيين العرب ، المنطقة الممتدة ما بين عدن وعمان ، حيث قالوا في وصفهم للبان الشحر وعنبرها قالوا :(1) إن خير اللبان ، لبان الشحر ، وأفضل العنبر العنبر الشحري ، وإن كانت مادة العنبر تأتي من عمق البحر ، ويمكن الحصول عليها في غير منطقة الشحر ، إلا أن عنبر الشحر قد أصبح مشهورا إلى جانب اللبان ، ويضرب المثل بجودته .

وأما المقصود بمصر القديمة في بحثنا هذا المتواضع ، فهو ما تمكنا من الحصول عليه من أخبار ومعلومات عن صلات مصر التجارية مع جنوب شبه الجزيرة العربية ، لفترات ما قبل الاسلام .

(*) وهذا مخالف لما ورد في معجم البلدان جـ٥ ص٢٣٤ والذي نصه « أن اللبان لا يوجد في الدنيا الا في جبال ظفار » .

(1) جواهر تاريخ الاحقاف لابي حنان جـ ٢ ص ٦٧ـ٦٨ .

فكما نعلم جميعا بأن عوالم وأجناسا بشرية شتى قد تعاقبت على أرض مصر لأزمـان موغلة في عمق الزمن طولا ، مشكلة دولا وحضارات لايزال صداها ، يعمر الآفاق ، ونتاجها الحضاري يشغل العلماء والباحثين ، باعتبار ذلك من[٢] أقدم الحضارات أو المدنيات البشرية إلى جانب مدنيات أو حضارات بلاد ما بين النهرين .

وإذا ما فتحنا مفكرة تاريخ مصر القديمة نجد أسماء أمم ودول وحضارات متعاقبة كسلسلة متواصلة أحيانا ، بينما يصيبها البتر والانقطاع أحيانا أخرى .

ولعل مرد هذا إلى اختلاف ثقافات وأعراف تلك الأجناس التي ظهرت في وادي النيل ، بصورة عامة وشاملة .

فكـما هو معـروف ، فإن الـدول التي ظهـرت في مصر في فترات ما قبل الاسلام ، يمكن تصنيفها إلى نوعين من الدول هي :

دول وطنية مصرية قومية ، كانت تظهر بين فترة وأخرى من داخل مصر نفسها ، ومن تفاعلات المجتمع المصري القديم ، وصدق هذا تماما على الممالك الفرعونية المتعاقبة وكذلك الدويلات والامارات الصغيرة التي كانت تظهر في أرجاء مختلفة من وادي النيل تبعا للمناخات السياسية والاقتصادية والظروف الاجتماعية آنذاك .

أما النوع الآخر من الدول ، فهو : دول أجنبية على أرض مصر ، يقيمها الغزاة ، كالهكسوس والفرس ثم اليونان والرومان .

وإذا ما بدأنا بفكرة الدويلات الصغيرة التي ظهرت في وادي النيل والدلتا

(٢) موجز تاريخ العالم . هـ . ج ويلز . ترجمة د. عبدالعزيز توفيق ص٨٠ .

(في الفترة ما قبل الأسرات) فإنها كانت نتيجة للهجرات المتتالية في حقب زمنية متعاقبة من شبه الجزيرة العربية ، كما يؤكد ذلك مؤرخو الغرب أمثال بروكسن والبيروس الألمانيان ولوث النرويجي وروجيه الفرنسي الذين يجمعون على ان أوائل المصريين الأقدمين قد هبطوا من أرض آسيا إلى وادي النيل [1] وأن هذه الهجرات قد أتت إلى وادي النيل في النصف الثاني من الألف الرابعة قبل الميلاد . وذلك عن طريق شبه جزيرة سيناء وعبر البحر الأحمر إلى هضبة الحبشة أو اجتياز البحر الأحمر فوادي الحمامات ، وصولاً إلى قفط (شمال طيبة) في مصر العليا[2]

وقد كانت هذه الشعوب المهاجرة إلى وادي النيل على صلة ببلاد سومر في جنوب بلاد ما بين النهرين ، حيث كانت تصدر اليها النحاس[3] الذي يستخرج من مناجم ماجان أي عمان والتي كانت في الوقت نفسه على صلة بمصر العليا .

ولقد ارتبط هذا التطور الحضاري الهام في وادي النيل الذي شمل مختلف النشاطات المادية والفكرية تطورا في الأوضاع السياسية ، إذ تمكنت مصر في أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد ، وبعد مراحل طويلة من الصراع الداخلي ، من تحقيق الوحدة السياسية التي جمعت بين مملكتي الشمال والجنوب اللتين كانتا قد تكونتا في فترة زمنية سابقة . وكما يقال ، فإن الفضل يرجع في تحقيق هذه الوحدة إلى الملك مينا أو نارمر[4] مؤسس الأسرة الأولى ٣٢٠٠ ق . م (أواخر الألف الرابعة ق . م) .

وقد حافظت مصر على قوتها ووحدتها حتى نهاية الأسرة السادسة ٢١٨٠ قبل الميلاد ، ثم مرت البلاد بحالة من الفوضى استمرت حتى سنة ٢١٠٠ ق.م حيث تمكنت أسرة طيبة من تأسيس الأسرة الحادية عشرة وتوحيد البلاد تحت

---

(١) فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص٨٨ زكريا هاشم زكريا . وتاريخ الجنس العربي ص١١-١٢ جـ١ محمد عزت دروزه .

(٢) محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ص٩٩ د. محمود أمهز .

(٣) محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ص٩٩-١٠١ ـ مصدر سابق .

(٤) تاريخ وحضارة مصر والشرق القديم ص١٥ ، مجموعة من الاساتذة ـ اصدار وزارة التربية والتعليم . القاهرة . والمصدر السابق ص٩٩ .

سيطرتها بعد التخلص من ملوك أهناسيا(*) آخر ملوك الأسرة العاشرة .

وقد شهدت مصر خلال الأسرتين الحادية عشرة[1] والثانية عشرة استقرارا سمح باستعادة نشاطها التجاري والعمراني ، وبخاصة في عهد امنمحات الثاني وسنوسرت الثالث الذي قضى على حكام الاقاليم وجردهم من امتيازاتهم الخاصة . وشهدت العلاقات التجارية المصرية مع جيرانها الآسيويين نشاطا كبيرا ، حيث أعيد حفر القناة التي تربط بين النيل والبحر الأحمر ، (قناة سيزوستريس) مما ساعد على الحركة التجارية البحرية مع الشعوب التي تطل على البحر الاحمر ، والمحيط الهندي وبخاصة بلاد بونت .

أما في أواخر عهد الأسرة الثانية عشرة ، فبدأت عوامل الضعف تتسرب اليها نتيجة للصراع الداخلي بين أفراد البيت الحاكم والخطر الخارجي للغزو الأجنبي الذي تعرضت له البلاد من جانب الهكسوس (ملوك الرعاة) الذين وفدوا الى مصر بعد اجتياح سوريا وفلسطين عبر سيناء ، واستطاعوا إقامة دولة أجنبية في منطقة الدلتا فرضت نفوذها على قسم كبير من وادي النيل ١٧٣٠ ق.م . وكان هذا الغزو الآسيوي ـ كما يدعى ـ بمثابة ضربة عنيفة لمصر ، إذ حكمتها (للمرة الأولى في تاريخها) شعوب من خارج البلاد . وكان سبب انتصار الهكسوس على المصريين ، تفوقهم العسكري[2] واستعمالهم أدوات قتالية جديدة ، كالعربات الحربية التي تجرها الخيول ، والاقواس المركبة التي تقذف بالنبال الى مسافات بعيدة .

(*) أهناسيا مدينة قديمة في محافظة الفيوم بمصر لاتزال تعرف بهذا الاسم الى وقتنا هذا .

(١) تاريخ الجنس العربي جـ٢ ص٨٩-١٠٩ ـ محمد عزت دروزه .

(٢) موجز تاريخ العالم هـ.ج . ويلز . ترجمة د. عبدالعزيز توفيق ص٩٣ .

فقد استمر حكم الهكسوس بمصر طوال قرن ونصف القرن ، حتى تمكن المصريون في أواخر الأسرة السابعة عشرة من طرد الغزاة على يد أمراء طيبة الذين عقدوا تحالفا مع أمراء الجنوب ، لطرد الهكسوس الآسيويين من البلاد ١٥٨٠ ق.م .

ثم بدأ عصر جديد في تاريخ مصر خلال عهد الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة حين ظهرت الامبراطورية المصرية التي امتدت جنوبا الى (بلاد كوسش أو الشلال) الرابع وشرقا حتى نهر الفرات ، ولم يكتف ملوك هذه الفترة بطرد الهكسوس من بلادهم فحسب ، بل طاردوهم في أرض فلسطين وسوريا ، وقضوا على تحالفهم العسكري ، وأخضعوا « جميع بلاد الشام » لسيطرتهم . وكان على رأس ملوك هذه الفترة تحتمس الثالث الذي وطد النفوذ المصري في تلك البلاد ، ورمسيس الثاني الذي حافظ على هذه الامبراطورية .

ولقد شهد هذا العصر ازدهارا للحركة التجارية بين مصر والبلاد المجاورة نتيجة استتباب الأمن ، وقوة مصر العسكرية ، وقد نشطت حركة القوافل البرية والرحلات البحرية وبخاصة في عهد الملكة حتشبسوت التي وجهت عنايتها لتوسيع نطاق التجارة ، حيث كانت الملكة في حاجة الى بعض أشياء كمالية لمعابدها ومقبرتها ، فأرسلت حملة الى بلاد بنت (بونت) .

وقد كان أسطول الملكة حتشبسوت(*) الى بلاد بونت مكونا من خمسة مراكب كما (تتحدث النقوش التي سجلت أخبار هذه الرحلة على معبدها في الجهة الغربية من النيل في طيبة) بأنه تم تحميل المراكب بجميع الأشياء في بلاد بونت من

---

(١) انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) ص١٢٧ـ١٢٨ جيمس هنري برستد . ترجمة د. أحمد فخري .

(*) أورد الدكتور أنور عبدالعليم في كتابه : العرب وعلوم البحار من سلسلة : عالم المعرفة ص١٥ : أن بعثة حتشبسوت البحرية الى بلاد بونت عام ١٤٩٥ ق.م أقرب ما تكون شبها ببعثات الكشف العلمي الحديث .

الأخشـاب والعطور وأكوام البخور والعاج وخشب القرفة ، والكحل ، والقرود وجلود الفهود ، وكذلك بعض الأهالي وأطفالهم .

كما شهد هذا العصر أول ثورة دينية قادها امنحوتب الرابع (اخناتون) ضد كهنة أمون مما كان له أثره بعد ذلك في إضعاف الامبراطورية نتيجة للاضطرابات ضد الحيثيين والميتانيين .

فسرعـان ما تقلص النفـوذ المصري بعد وفاة رمسيس الثالث آخر الملوك الأقـوياء في الأسرة العشرين الـذي حاول المحافظة على مجد أسلافه ، وساءت الأحـوال الاقتصادية والاجتماعية ، وأعاد كهنة أمون سيطرتهم ، مما مكنهم من تأسيس الأسرة الحادية والعشرين .

ولقد شهدت مصر خلال الفترة التالية ، صراعا بين حكام الأقاليم ، وغزاة من ليبيا والنـوبة ، أسسوا عددا من الأسرات الثانية والعشرين والثالثة والرابعة والخامسة والعشرين ، كما تعرضت البلاد لغزو الأشوريين من جانب سنحاريب وآشور بانيبال .

إلا أن أحد أمراء سايس المدعو (أبسماتيك) استطاع طرد الغزاة ، وتأسيس الأسرة السادسة والعشرين في منتصف القرن السابع قبل الميلاد .

وظلت مصر تنعم بالاستقلال حتى زحفت عليها جيوش الفرس في عهد أبسـماتيك الثـالث ٥٢٧ ق.م . بقيادة قمبيز الـذي نجح في احتلال البلاد ، ووضعهـا تحت السيطرة الفارسية . وظلت أحوال مصر مضطربة حتى استطاع الأغريق (الاسكندر المقدوني) احتلالها ٣٣٣ ق.م ، وتأسست بها بعد وفاته دولة البطالمة الاغريقية التي حكمت البلاد نحو ثلاثة قرون ، ثم انتزعها منهم الرومان

عام ٣٠ ق.م .

ولم يكن بقاء التأثير المصري على الشرق ـ وشبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص ، آنيا ، بل طويلا ، تعاقبت على تأكيده وترسيخه ، دول قوية وحكام أشداء ، خاضوا حروبا طويلة ومنهكة ضد الممالك البابلية والأشورية وغيرها من الممالك القديمة في كل من الشام والعراق القديم . ويقدر علماء التاريخ القديم مدة هذه الحروب التي استمرت بين مصر القديمة ، وممالك ما بين النهرين ، أو ما يعرف بالهلال الخصيب اليوم ، بما يزيد على عشرة قرون[١] ، كانت الغلبة فيها لمصر تارة ، وعليها تارة أخرى .

وفيما يتعلق بالتجارة والازدهار التجاري ، فيبدو أن جل ذلك قد تمثل في عهد الدولة الحديثة من حياة مصر الفرعونية ، حيث يقدر العلماء أن عهد الملكة حاناسور ، ولعلها حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة ، وكذلك الملك رمسيس أو رع مسيس أو رع مسوس من الأسرة التاسعة عشرة قد مثل ازدهارا تجاريا ، وامتدادا واسعا مع جنوب شبه الجزيرة العربية ، والسواحل الشرقية لافريقيا ، أو ما اطلق عليه بلاد بونت .

ومن الجدير بالذكر ، أن رع مسيس هذا ، يحسبه بعض المؤرخين أنه فرعون[٢] موسى ، بينما يسميه البعض الآخر مرنبتاح ، ويطلق عليه المؤرخون المسلمون اسم الوليد ، معتبرين نسبه يرجع إلى قضاعة حمير .

وهذا ما ورد في كتاب الأنساب للعوتبي[٣] الصحاري العماني من أعلام القرن الخامس الهجري حين قال :

---

(١) موجز تاريخ العالم ص٧٣ مصدر سابق .
(٢) جزيرة العرب جـ١ ص٣٣ الدكتور جمال عبدالهادي ، والدكتوره وفاء محمد رفعت ـ دار الوفاء ـ السعودية ١٩٨٤ .
(٣) كتاب الأنساب للعوتبي اصدار وزارة التراث القومي والثقافة .

ان فرعون موسى هو : الوليد بن مصعب بن قاران بن بلبي « وان بلبي هو أحد فروع قضاعة التي انساحت الى أرض الحبش وصعيد مصر وبلاد النوبة في أزمان غابرة كما ذكر » . وقد نقل العوتبي عمن قبله من المؤرخين الاسلاميين .

وإذا كانت مصر القديمة قد توالت عليها امبراطوريات عديدة تمثلت بالممالك الفرعونية المتعاقبة وفقا لسياق المنحى التاريخي لمصر القديمة ، وما أوثر عن اثارها البديعة ، فإن اليونان والرومان من بعدهم ، قد أقاموا ظلا حضاريا على أنقاض الحضارة الفرعونية .

ويكفي اليونان أن يذكر لهم تشييد مدنية الاسكندرية فحسب . ومع هذا ، فيمكن القول بأن الحضارة[1] الفرعونية قد حملت بين كاهليها الحضارة اليونانية على وجه الخصوص .

يقول بيير روسي . « إن الاغريق كانوا يعترفون بأنهم تلاميذ المصريين والبابليين » ويقول في مكان آخر : « لو لم يتأدب الاغريق في ظل الثقافة العربية لما وجد أرسطو بالتأكيد » . ويعني بالثقافة العربية ثقافة مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين وسوريا القديمة .

ونحن نعلم بأن الكثيرين من أعلام[2] الحضارة اليونانية قد أنجبتهم أرض مصر إبان احتلالها من قبل الأغريق أو قبل ذلك .

والأمر الآخر الذي نريد تأكيده ، ونحن في سبيل التمهيد للحديث عن الصلات التجارية بين مصر القديمة وأرض اللبان ، هو أن الحضارة الفرعونية

---

(١) التاريخ الحقيقي للعرب ص٢٨-٤٨ بيير روسي ، ترجمة فريد جحا - إصدارات وزارة التعليم العالي - الجمهورية العربية السورية .

(٢) المصدر السابق ص٤٤ .

يجب اعتبارها حضارة عربية قديمة متميزة ، باعتبار أن الجنس العربي هو الفاعل النشط الأساسي فيها ، كما هو اتجاه علماء التاريخ المصري القديم .

بمعنى أن الجنس العربي السامي أو السامي العربي ـ لا فرق[1] ـ هو الذي أقام هذه الحضارة ، وبشهادة الكثيرين من علماء التاريخ ، وما يطلق عليه اليوم اللغات « السامية » قديما وحديثا .

وانطلاقا من هذا الاتجاه ، فقد حاولت الاعتماد ـ قدر جهدي ـ على مبدأ الاستقراء التاريخي للحقائق ، وبصورة عامة في الحديث ، ووفقا لمنحى ما توافر من مصادر ومراجع المعلومات ، على تضاربها في الفكر والأسلوب ، واختلافها في المنهاج والدلالات وغير ذلك . مع شيء من خصوصية التركيز والتمييز أكثر لهوية الحضارة الفرعونية وخلفية بداياتها الأولى ، ويتجسد ذلك بالانسان وأدواته المعينة والفاعلة .

ومن هنا فإن بحثي يتحدد بعد التوطئة بالآتي :

١ ـ الخلفية العربية ، والثقافية لحضارة مصر القديمة .
٢ ـ الصلات التجارية بين مصر القديمة ، ومناطق اللبان .
٣ ـ بلاد بونت والخلاف حول موقعها .
٤ ـ التجارة والسياسة إبان دول اليمن القديمة .

---

(١) المصدر السابق ص٣٧ .

الخلفية العرقية والثقافية لحضارة مصر القديمة :

لقد رسخت الحضارة المصرية القديمة ، وتأكدت في وجدان الزمن ، باعتبارها من أقدم الحضارات العظيمة في تاريخ الانسانية .

ونظرا لما تأكد بما لا يقبل الشك من ذلك الترابط الوجداني الذي قاسمه المشترك الثقافة ، وصلات الطبيعة ، ما بين كل من وادي النيل وشبه الجزيرة العربية ، فإن حضارة مصر الفرعونية هي حضارة أتت بداياتها[1] من جنوب شبه الجزيرة العربية . مع أن الجدل لايزال قائما بين العديد من علماء التاريخ ، والآثار ، وعلماء اللغات الشرقية .

وهذا الجدل يدور حول هوية الحضارة الفرعونية ، وانتماء شخصيتها ، فهل هي حضارة آرية ، أي أقامها الجنس الآري الغربي ، كما يسمى اليوم ؟

أم هي حضارة حامية بحتة ، أي شمالية افريقية ؟

أم هي حضارة سامية مشرقية بمعنى عربية الأصل ؟

ولربما لم يحسم هذا الجدل من وجهة نظر البعض ، بينما حسمه البعض الآخر باعتبار حضارة مصر حضارة عربية « سامية » حيث غلب عليها الطابع الشرقي السامي أي العربي .

ولقد ميز العلماء هويات ثلاثا لحضارة مصر قبل الاسلام هي :

الحضارة الفرعونية ، وهي الأصل .

---

(١) تاريخ الجنس العربي جـ١+٢ ص٧ـ١٢+موجز تاريخ العالم . مصدر سابق ص٩٣ .

ثم الحضارة الاغريقية ، وبعدها الحضارة الرومانية . ولم يذكر للفرس الذين احتلوا مصر شخصية حضارية ، يعتد بها في مصر ، وهذا يمثل المسار العام للحضارة المصرية قبل الاسلام .

ولقد حاولت دراسات عديدة إبعاد ، وطمس ذكر أي صلة بين حضارة مصر الفرعونية ، وخلفيتها العربية القديمة[1] ، وذلك من خلال استقراء العديد من السجلات التاريخية المكتوبة ، والمنقوشة على الآثار .

علما بأن استنطاق الآثار المنقوشة والمطبوعة على وجه الأرض ، قد « يحمل الكثير من المزالق وزلات القلم » كما يقول المؤرخ والأديب السعودي الشيخ حمد الجاسر . الذي يؤكد أن العالم الأثري يحاول في أغلب الأحيان إثبات قضية تاريخية معتدا بها برموز ناقصة . ومع هذا ، فإن المقارنات اللسانية[2] بين المدونات المصرية القديمة والمدونات العربية القديمة أيضا ، والمتعددة الأوجه ، في كل من شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية ، تؤكد أن الحضارة الفرعونية ، قد أبدعها جنس عربي ، انساح الى وادي النيل من أكثر من مسلك ، وعبر فترات زمانية متلاحقة ، ومتباعدة[3] ، قد يفصل الواحدة منها عن الاخرى نحو ألف سنة على وجه التقريب . ولهذا يقول بيير روسي[4] إن « الشعوب المصرية والكنعانية والأناضولية والسورية والبابلية ، تنتمي الى الأسرة العربية » .

ولقد وجد بعض المشتغلين بالتاريخ المصري القديم ، وهم من الذين آلوا على أنفسهم بترئي صلة بين تاريخ مصر الفرعونية ، وتاريخ العرب القديم قبل الاسلام ، باعتبار العرب جنسا لم يعرف من وجهة نظر هؤلاء الا بظهور الدعوة

---

(١) تاريخ الجنس العربي جـ١+٢ . محمد عزة دروزة .

(٢) مجلة العرب عدد يوليو ١٩٨٩ ص٢٨٩-٢٩٧ الشيخ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية .

(٣) تاريخ العرب الحقيقي ـ مصدر سابق ص٣٨ .

(٤) التجارة والملاحة في الخليج العربي ص٢٠-٢١ سليمان العسكري .

الاسلامية ، نقول ، وجد هؤلاء معضلة كبيرة بفك هذا الرباط بين حضارة مصر الفرعونية ، وما خلفه الجنس العربي من مكونات حضارية مشهودة اليوم ـ على نقصها ـ في كل من جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها .

وحينما أعياها الأمر قالوا : إن حضارة مصر الفرعونية هي حضارة سامية ، قد أبدعها جنس سامي أتى من الشرق !! وكأنهم لم يعلموا أو لعلهم لا يريدون أن يعلموا بأن الساميين هم العرب فقط ، فما يعرف بالجنس السامي اليوم ، هم العرب لا غيرهم .

إذ أن نسبة (سامي) اشتقاق من سام بن نوح عليهما السلام .

ومصادر[1] التاريخ الاسلامي تقول لنا بأن سام بن نوح بعد الطوفان عاش في منطقة الشحر ، وذلك استنادا ، الى ما جاء في القرآن الكريم .

والقرآن الكريم ثقة وثبت ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾ لأنه كلام الله عز وجل .

أما قصة سيدنا سام كما تقصها المصادر الاسلامية ، فملخصها كما يلي :

« ذهب [2] سام بن نوح بعد الطوفان الى اليمن ، واستقر في جنوبها ، بأرض يقال لها الشحر ، تشرف على البحر ، قادما ومن معه من أرض السواد والجزيرة . (دلتا دجلة والفرات) وقد كان سام بن نوح مسلما موحدا ربى أولاده وأحفاده على الاسلام الذي تلقاه عن أبيه نوح عليهم السلام » .

وهذا يشير إلى أن سام بن نوح ، هو أبو العرب ، ويعني أيضا ، أن أول[3]

(١) انظر : كتاب جزيرة العرب ص٢٣ـ٢٥ الدكتور جمال عبدالهادي والدكتور ، وفاء محمد ـ مصدر سابق .
(٢) مجلة العرب ـ حمد الجاسر ـ مصدر سابق .
(٣) الجزيرة العربية جـ١+٢ الدكتور جمال الدين عبدالهادي ، والدكتورة وفاء محمد رفعت ص٢٣ـ٣٠ مصدر سابق .

دين عرفته الجزيرة العربية هو : الاسلام . كما يقول الدكتور جمال الدين عبدالهادي والدكتورة وفاء محمد رفعت في بحثهما في تاريخ الجزيرة العربية .

ثم يظهر بعد أجيال قوم عاد وهم أحفاد سام بن نوح في جنوب شبه الجزيرة العربية ، ويتنكرون للدين الحق ، فيظهر بينهم « هود » رسولا اليهم من رب العالمين ، ليهديهم سواء السبيل .

قال تعالى ﴿**واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف**﴾ صدق الله العظيم .

وكما هو معروف اليوم ، أصبح مصطلح « سامي » لدى العديد من مفكري عصرنا هذا ذا وقع خاص ورنين متميز ، يضع اليهود موضع السيادة والتمكن من إفساد حقيقة التاريخ البشري .

ومع هذا الخلط وقلب حقائق التاريخ رأسا على عقب ، فقد انبرى بعض[1] مفكري الغرب المنصفين ، لايضاح مثل هذا الكذب والزيف ، فأظهروا بطلان مزاعم مفكري الصهيونية حول مفهوم السامية ، وأكدوا أن هذا المصطلح لا ينطبق الا على الجنس العربي ، وأن من ينتمي اليه من غير العرب ، ما هو الا فرع منه ، وليس أصلا . أي : فرع من العرب . وهذا لا يتضمن بالطبع الا اليهود العرب فقط .

---

(١) التاريخ الحقيقي للعرب ص١٧-٥٠ ، بيير روسي ترجمة فريد جحا اصدار وزارة التعليم العالي - دمشق .

(*) يقول الشيخ حمد الجاسر[1] « ان في القرآن الكريم ملامح واضحة توجه إلى الانتفاع بالآثار والاستفادة والاتعاظ بمشاهدتها ، فالقرآن الكريم اسمى جميع المصادر منزلة » . وأوثقها وأجلها في مقام الاستدلال ، وهو كتاب هداية وارشاد واعتبار وعظة ، وليس كتاب تاريخ يسرد الحوادث كاملة ، وإنما يكتفي بالاشارة إلى مواضع العبرة من الحادثة حين يسوق خبرها .

(*) يقول الدكتور أحمد شلبي : « وليس الغربيون وحدهم الذين خدعهم ما كتبه اليهود ، بل ان كثيرا من العرب والمسلمين خدعوا أيضا » . العرب واليهود في التاريخ ص٦٤ مصدر سابق .

وقد كانت العرب قديما تعرف بأسماء قبائلها أو مواقع سكناها ، أو بشهرة أعلامها ، أو بتسميات حرفها أو صناعاتها أو آلهة عبادتها . . . الخ .

وكما أسلفنا ، فإن الله تعالى قد استخلف عادا من بعد نوح ـ قال تعالى على لسان نبي الله هود عليه السلام مذكرا قومه بأخبار السابقين ـ ﴿**أو عجبتم**[1] **أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ، لينذركم ، واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في الخلق بسطة**﴾ . صدق الله العظيم .

وعاد قبل موسى ، والدليل أيضا من القرآن الكريم :

قال تعالى على لسان سيدنا موسى يعظ قومه ﴿**يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود**[2]﴾ . صدق الله العظيم .

وهذا على لسان سيدنا موسى ، وهو يدعو فرعون مصر الى الايمان برب العالمين . علما بأن العديد[3] من المستشرقين[*] المعاصرين والمحدثين لا يسلمون بوجود عاد وثمود كحقيقة تاريخية ، فهم يقولون إن « عادا وثمود » ـ كحقيقة تاريخية ـ ، « ليسا من التاريخ الحقيقي في شيء ، وإنما هما جزء من المثيولوجيا العربية ، أو التاريخ الاسطوري » .

ولكننا نحن المسلمين نؤمن بوجود عاد وثمود وغيرهما من الأقوام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم .

وقد حدد المؤرخون الاسلاميون مواقع عاد ، وهي في أرض الأحقاف وبلاد

(١) سورة الاعراف آية ٦٩ .
(٢) سورة غافر آية ٣٠-٣١ .
(٣) جزيرة العرب ص ٣٠-٣١ د. جمال عبدالهادي ، والدكتورة وفاء محمد رفعت ـ مصدر سابق يدحضان مزاعم المشككين بوجود عاد في التاريخ .
(*) محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الاسلام ص٨٥ أغناطيوس جويدي . مصدر سابق .

الشحـر ، وهي كما قالـوا : المنطقة الممتدة ما بين عمان وحضرموت . بينما ظن البعض منهم أن مهد عاد شمال شبه الجزيرة العربية ، لاكتشاف آثار عادية هناك .

يقـول ابن كثـير في البـداية والنهـاية عن قوم عاد « كانـوا عربا يسكنون الأحقاف ، وهي جبال الرمل بين عمان وحضرموت ، بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر » .

فمن هنا نجد الربط منطقيا بين حركة الانسان العربي ومنذ أقدم الأزمنة في شبه الجزيرة العربية ، وامتداداته الى وادي النيل عبر العصور .
ليس هذا فحسب ، بل إن فكرة [1] التوحيد التي عرفت لدى فراعنة مصر في بعض فترات ما قبـل التـاريخ ليست الا انعكاسا وامتدادا لرسالة هود عليه السلام في قومه عاد في جنوب شبه الجزيرة العربية من وجهة نظر بعض الباحثين .

كما كانت لعاد دولة أو دول ، بل يذهـب العديد من المؤرخين بأن « دولة[2] معين* المعروفة في التاريخ ، قد قامت على أكتاف العاديين » . وكذلك « دولة أكاد في جنوب العراق يعتقد أنها دولة أعرابية عادية » .

وهذا الصحابي الجليل أبو الدرداء يعظ أهل دمشق قائلا « ألا إن عادا* ملكت ما بين عدن وعمان خيلا وركابا ، فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين » ؟ .

---

(١) جزيرة العرب جـ١ ص١٧ـ٣٥ ـ المصدر السابق .
(٢) عبقرية اللغة العربية ص٢٨١ الدكتور عمر فروخ .
(*) يرجع العلماء حضارة دولة معين ما بين القرنين الرابع والثالث عشر قبل الميلاد وهي أقدم حضارة مادية عثر عليها في شبه الجزيرة العربية .
انظر : جزيرة العرب للدكتور جمال عبدالهادي ، والدكتوره، وفاء محمد رفعت ص٣٣ .
(*) وهذا يدل على ما وصلت اليه عاد من قوة وسلطان وانها ليست أسطورة كما يذهب بعض المستشرقين الذين يكذبون حتى بالديانات السماوية .

أما العناصر المادية التي استدل بها علماء التاريخ والآثار على الصلات العرقية بين فراعنة مصر ، والأجناس العربية القديمة في شبه الجزيرة العربية ، وجنوبها على وجه الخصوص ، فيتمثل في الآتي :

مقارنة النقوش والكتابات القديمة من حيث الشكل ، وأسلوب الكتابة واتجاهها ، والرموز المحددة أو الفاصلة أو الدالة ، والأدوات المستخدمة ، ومسار تطورها ، ثم المقارنة اللغوية ، من حيث صيغ الجمل والأفعال والاسماء ، والاسماء العلمية ، وأسماء الشهرة . . وغير هذا كثير .

كذلك التعامل الديني والحياة العقدية إن جاز التعبير ، ونوع العقيدة أو العقائد ، وحدانية هي أم مشركة ووثنية ، وأسلوب التعامل مع هذه الآلهة المتعددة ، إن كانت مشركة أو وثنية ، وكذلك طبيعة وحدانية الديانة إن كان الايمان بالاله الواحد هو السائد .

كذلك مظاهر الحياة الاخرى ذات العلاقة بحياة الناس اليومية ، والمظهر العام من خلال الرسوم الاثرية كالتماثيل وغيرها من المخلفات الاثرية ، وقياس المظهر العام لمستوى التمدن أو التحضر ، بما في ذلك الحياة الثقافية : مظاهرها وأنواعها . إضافة الى أمور أخرى كثيرة ، لا مجال لحصرها في هذا البحث المختصر .

وهذا كله من استقراء السجلات التاريخية المنقوشة على الآثار والنصوص المدونة والروايات المتواترة ، فضلا عن[1] المقارنات اللسانية بين اللغة المصرية القديمة ، واللغات العربية المتعددة ، والجنوبية أو اليمنية القديمة على وجه

---

(١) موجز تاريخ العالم ص٩٣ مصدر سابق .

أخص . إضافة إلى المقارنات الكتابية بين الخطوط المصرية القديمة ، وخطوط الكتابات العربية القديمة في كل من جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية .

وإن كان بعض [1] خلاف العلماء ، وعلماء الاثـريات القـديمة على وجه التحديد ، يعود الى صعوبة فهم النقوش الاثرية فهما حقيقيا ، إذ يعتقد بعض الباحثين أن العديد مما عرف من هذه الخطوط حتى الآن « ما هو الا مجرد فروض وحدسيات للعلماء ، يناقض بعضها بعضا ، نتيجة لمستوى العلماء في فهم مفردات اللغات التي يترجمون نصوصها » وكذلك اختلاف قناعاتهم المسبقة .

وكما هو معلوم ، فإن الاختلاف بين العلماء في هذا المجال ، غالبا ما يدور حول بدايات ونهايات الممالك والحضارات القديمة وترتيب حكام الدول وزمن كل واحد منهم وغير ذلك .

كذلك المكتشفات المستجدة من الآثار ، التي قد تخالف تماما أطروحات سابقة ، وتضيف أبعادا تاريخية جديدة ، كاكتشاف العديد من الموميات[2] المحنطة أخيرا في إحدى مناطق اليمن ، مثلما هي لدى المصريين القدماء ، مما أثار الظن بأن تكون فكرة التحنيط لدى قدماء المصريين مجلوبة أصلا من جنوب شبه الجزيرة العربية .

ومع كل ما أسلفنا ذكره سابقا من اختلاف علماء العصر الحديث في تفسير النصـوص المنقـوشـة وتبـاينهم في فهم اللغـات القديمة ، وإقامة جزء كبير من أحكـامهم على الحـدس والتخمين ، فإن أغلب المشتغلين بتاريخ مصر القديم وعلماء آثـارهـا يتفقـون على أن « مصر كانت مبـاءة لعناصر آسيوية من الجنس

(١) أضواء على تاريخ اليمن البحري ص٥٤ حسن صالح شهاب .
(٢) تاريخ الجنس العربي ص٥-٦ جـ١+٢ مصدر سابق .

الابيض ، كان يطرأ عليها في عصور ما قبل التاريخ أو بعده ، حيث امتزج هذا العنصر الآسيوي بالعناصر الافريقية الموجودة فيها » .

فقد أيد هذا جمع كبير من العلماء المعتد بهم وبأمانتهم العلمية ، أن معظم هذه العناصر الوافدة الى أرض مصر من الجنس الذي أطلق عليه تعبير« ساميين » خطأ وجزافا واستنتاجا من سفر التكوين من التوراة .

ومن المفيد ايراد بعض من أقوال علماء التاريخ في هذا المجال .

يقول محمد عزت دروزة في كتابه تاريخ الجنس العربي ، نقلا عن جميس هنري بريستيد صاحب كتاب تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي « إن أقواما ساميين من عرب آسيا ، طرأوا على وادي النيل ، وعمموا فيه لغتهم وصبغوه بصبغتهم كما هو ظاهر من النقوش المصرية القديمة » .

ونقل دروزة أيضا عن كتاب تاريخ السوْدان القديم للدكتور كمال حسن « ان المصريين والسودانيين القدماء من أصل واحد ، وانهم جاءوا الى وادي النيل من بلاد العرب عن طريق الصومال على ما تدل عليه البحوث والاستقراءات » ويورد أيضا قول : ديو دور الصقلي صاحب الرحلات المشهورة : « إن أصل المصريين القدماء من بلاد العرب الجنوبية نزلوا الى شواطىء أثيوبيا ، ثم تقدموا نحو الشمال ، حتى دخلوا مصر » .

يقول : الاستاذ الباحث(١) حسن صالح شهاب « إن الهجرات العربية القديمة كانت تتدفق الى شرق افريقيا من المناطق الفقيرة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، ذات قلة الخصوبة الزراعية مثل منطقة حضرموت ، وبلاد مهرة وتهامة

(١) اضواء على تاريخ اليمن البحري ـ مصدر سابق .

وبقية بلاد العرب الجنوبية » . ويضيف : « وهذا ما أدى الى ظهور أجيال متوالية من العرب على الجانب الافريقي امتزج فيه الدم[1] العربي بالدم الافريقي . إذ لم يأنف المهاجرون العرب من الاختلاط بالافريقيين » .

وينقل عن صاحب كتاب الطواف حول البحر الارتيري قوله : « إن العرب المهاجرين ساكنوا السكان الاصليين الأفارقة ، واختلطوا معهم في متطلبات الحياة المختلفة بما في ذلك الزواج » .

وهذا بدوره نتج عنه تأثيرات ثقافية ، واجتماعية عبر الحقب والدهور ، جعل بعض المحدثين من علماء الأجناس المعاصرين يعتقدون أن سكان الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة العربية من أصول افريقية .

إلا أن هذا الرأي قد عارضه كثير من علماء الأجناس ونقدوه .

يقول العالم الأثري المصري أحمد كمال[2] « إن أصل اللغة المصرية القديمة واللغة العربية واحد ، وان الاختلاف الظاهر بينهما ليس الا نتيجة اسقاط بعض كلمات في بلاد العرب ، وبقائها في وادي النيل أو العكس » . وقد أورد هذا في كتابه : العقد الثمين مضيفا : « أن المصريين القدماء كانوا يطلقون على حضرموت واليمن ، أو اليمن وحضرموت اسم (بون) وكانوا يعتقدون أن أصلهم منها » .

أما المؤرخ التركي أحمد رفيق فينقل عنه دروزة من كتابه الضخم التاريخ العام الكبير ، الذي ينقل بدوره عن مجموعة من المصادر التاريخية الالمانية مثل : تاريخ مصر القديم لادوار ماير ومصر وحياتها في العصور القديمة لأدولف أرمان ،

---

(١) أضواء على تاريخ اليمن البحري ص٥٤ ـ مصدر سابق .
(٢) انظر كتاب الجنس العربي جـ١+٢ ـ مصدر سابق .

وتـاريخ مصر لدير مان ، وتاريخ مصر مع حكم الفراعنة لبورغش ، والتاريخ العام لشبامر ، وتاريخ الأمم القديمة لماكس دوفكر ، فعن هؤلاء يقول : « إن المصريين القدماء ، قد جاءوا من آسيا الغربية ، (شبه الجزيرة العربية) منهم من جاء عن طريق باب المنـدب من الجنـوب ، ومنهم من جاء عن طريق برزخ السـويس من الشمال ، وإن بين لغتهم واللغات السامية « في مفرداتها وأحرفها ونحوها مشابهة كثيرة » .

وهذا ما يقرره أيضا العلامة الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه : الحضارة المصرية ويؤكده زيادة عالم اللغات السامية المصري محمد عطية الابراشي وآخرون معـه في كتابهم[1] في الأمم السامية والذين يقولون فيه « إن المدنية الانسانية قد ابتدأت في وادي النيل ، وإن سكان هذا الوادي ، وإن كانوا مزيجا من عناصر مختلفة فإن العنصر السائد فيها ، الذي أنتج أول مدنية إنسانية هو العنصر العربي » .

كما قال جوستاف هيكي[2] أحد المعروفين المتخصصين في الاثريات المصرية في كتابه تاريخ المدنية المصرية : « إن سكان مصر القدماء جاءوا اليها من شبه الجزيرة العربية قبل ستة آلاف سنة » .

وهذا يعني أن الهجرات العربية القديمة كانت تتدفق الى وادي النيل من شبه الجزيرة العربية ، وجنوبها الشرقي في الأغلب ، وذلك عبر البحر الأحمر ، وطريق أعالي النيل ، وفلسطين فسيناء ، فشرقي الدلتا . . . الخ .

وقـد جلب هؤلاء في هجراتهم هذه الى وادي النيل ، كما تؤكد الشواهد

(١) تاريخ الجنس العربي جـ١+٢ ص٩ ـ مصدر سابق .
(٢) تاريخ الجنس العربي ص ١١ ـ مصدر سابق .

الاثرية ، مدنية أرقى من مدنية الجنس الحامي الأصل ، الذي لم يكمن يعرف الا الآلات الحجرية . فقد أدخل المهاجرون العرب معهم الى مصر مثلا « معرفة المعادن ، وبخاصة النحاس ، وادخلوا كذلك عبادتهم للأموات ، وديانتهم وكتابتهم وفنونهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية » .

ومع هذا كله ؛ يأنف العديد من دارسي التاريخ ، ومتخصصي علم الآثار أن يفصحوا عن هوية هذه الحضارة العروبية القديمة وما تخرجه الحضارة السامية بدلا من العربية أو العروبية القديمة ، الا رغبة بانتقاص مكانة العرب في التاريخ ألقديم ، وطمس مكانتهم بين الأمم القديمة ، إذ أن المعنى المرادف للفظة (سامي) هو عربي . لأن العرب[٣] هم الساميون ، أي : هم الأصل ، وليسوا فرعا من السامية كما يذهب البعض .

ولربما انطلاقا من هذا الفهم ، أطلق على مدينة صنعاء[٢] اليمنية « مدينة سام » ومنذ وجودها باعتبار سام جد العرب الأكبر الذي بناها كما تقول الأسطورة ليس هذا فحسب ، بل إن المؤرخ الالماني ديورنت خرج بنتيجة في كتابه الضخم « قصة الحضارة » أن جل الحضارات القديمة فيها ما يسمى بالشرق الأوسط اليوم ، هي حضارات عربية أو عروبية وقد سماها « الحضارات العروبية » .

وهذا يعني : أن ما يطلق عليه اليوم الحضارات السامية ، هي حضارات عربية . فالبابليون عرب ، لأنهم ساميون ، أو ساميون لأنهم عرب ، وكذلك الأشوريون والكلدانيون والأكاديون والفنيقيون ثم الأراميون بعدهم ، جميع هؤلاء أجناس عربية ، وبشهادة وتأكيد علماء التاريخ الحديث ، وكذلك علماء اللغات الشرقية ، والذين لم يصلوا الى هذه القناعة بهذا الاتجاه ، الا بعد تمحيصات علمية

---

(١) العرب واليهود في التاريخ ص٥٤ د. أحمد سوسه .
(٢) تاريخ صنعاء للرازي تحقيق د. حسين عبدالله العمري ص٧٤-١١٠ - دار الفكر المعاصر - بيروت ط٣-١٩٨٩ .

جمة ، قامت على التحليل والمقارنات المختلفة .

حتى العبرانيون القدماء[1]قوم من العرب ، وما اللغة العبرية القديمة الا احدى لغات العرب ، أو اللهجات العربية القديمة ، والجنوبية على وجه الخصوص فالعرب كانت لهم لغات شتى لا لغة واحدة قبل أن توحدهم لغة القرآن الكريم .

ومن كل ما أسلفنا ذكره يترجح لدينا أن الصلات القديمة بشتى أنواعها ، بين مصر القديمة ، وجنوب شبه الجزيرة العربية ، هو أمر مسلم به عقلا ومنطقا . فما ذلك الا صلة بين الفرع والاصل ، بين المنبع والمعين ، إذا جاز لنا القول . فالانسان بطبعه دائم الحنين الى أصله ومعينه ، وهذا بدوره مجلبة الى تعميق الأواصر ، وتجانس المعطيات الثقافية والاجتماعية ومجموع القيم المشتركة ، كما نعتقد ، قبل ارتباط المصالح التجارية ، وما تؤدي اليه من ارتباط وصلات متعددة الأوجه والألوان .

ليس هذا فقط ، بل يصدق هذا أيضا على مجموع القيم الاعتقادية المرتبطة بالعقائد الدينية القديمة ، بما لها من طقوس وهالات ومراسم متميزة ، تكاد تكون متقاربة ، إن لم تكن مشتركة ومتشابهة ، تدرجا من تعدد آلهة الشرك وتشتت الاعتقاد ، وصولا الى فكرة الاله الواحد التي تنسب الى اخناتون ، قبل ظهور سيدنا موسى بعده .

وفكرة التوحيد هذه المنسوبة الى اخناتون ـ كما نوهنا بها آنفا ـ يرجعها العديد من المتخصصين في البحث التاريخي الى رسالة هود عليه السلام[2]، باعتبارها امتدادا لدعوة سيدنا هود الى قومه عاد ، استنادا الى سياق الخبر الوارد في القرآن الكريم .

(١) التوراة جاءت من جزيرة العرب ص١١-١٩ ـ كمال الصليبي ـ ترجمة عفيف الرزاز مؤسسة الأبحاث العربية ط٢ . ١٩٨٦ .

(٢) سلسلة أخطاء يجب أن تصحح « جزيرة العرب » جـ١ ص٣٥ ـ مصدر سابق .

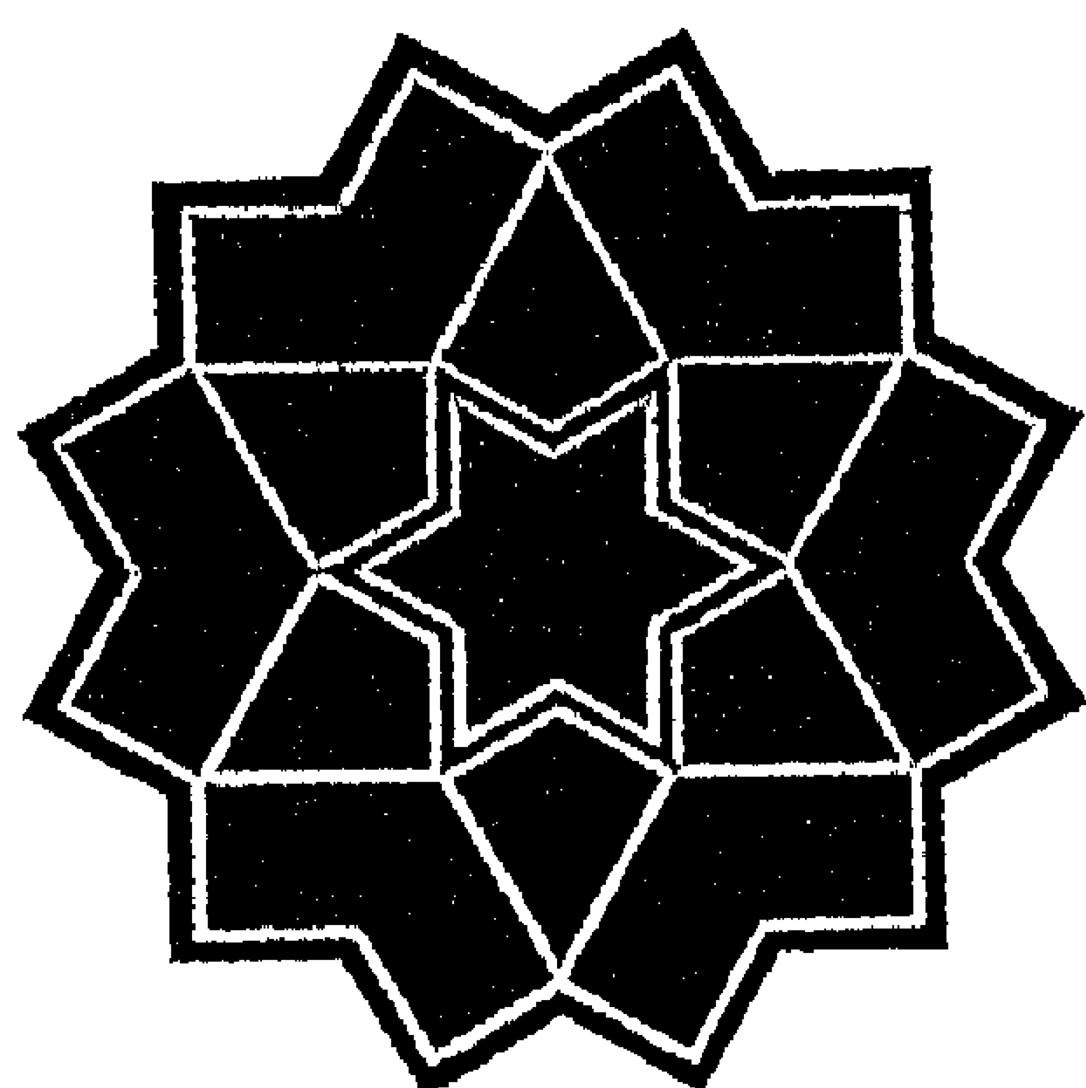
وهذا ليس بدعا ، إذ أن فكرة الديانات التوحيدية لم تظهر الا في الجنس العربي وفي مجاله الجغرافي .

يقول بيير روسي[1] « إن الكون الشرقي الذي كان يسود ذات يوم بين النيل ونهر السند قد ظهرت فيه فكرة الديانة بصورة عامة . ويكفي الشرق شرفا أنه صاحب فضل على الغرب في هذه الناحية » .

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا إنه ما حدث من حدث في وادي النيل قديما الا ويناظره حدث مماثل أو شبيه له في شبه الجزيرة العربية ، من شمالها الى جنوبها ، ومن شرقها الى غربها . فمن المعتقد أن أفكارا وفلسفات ، ومعتقدات شتى كانت ذات يوم سائدة قد طواها الدهر فيما طوى ، وغشيها النسيان فيما غشي ، بعد أن أصيبت بالضعف والوهن ، استعدادا للحدث الأعظم ، وهو : الدعوة المحمدية الغراء التي شاء الله أن يجعلها خاتمة رسالات السماء ، وشاء لها أن تظهر في مكة نورا وبهجة ، يعمران الكون كله ، خاتمة لنشاط الرسل والأنبياء ، قوامة على هدي الجنس البشري أجمع دون تفرقة أو تمييز بين لون ، أو مرتبة ، أو مستوى .

---

(١) تاريخ العرب الحقيقي ص١٢ ـ مصدر سابق .



وحدة الجغرافيا الطبيعية بين آسيا العربية وشرق افريقيا :

توجد قناعة عامة بين علماء الجغرافيا ، وطبقات الأرض على وجه الخصوص . أن القارة الافريقية وشبه الجزيرة العربية ، كانت أرضا واحدة في يوم من الأيام ، وأن حركة الانسان من والى وعلى هذه الرقعة من الأرض كانت حرة وغير محدودة ، يتوجه فيها متى شاء ، والى أي مكان شاء .

وما البحر الأحمر المعروف لدينا اليوم ، الا مخاضة أو بحيرة صغيرة أو أخدود مائي تحفه اليابسة من جميع الجهات ، وسعته العصور والدهور . بفعل الانكسارات الأرضية والانفجارات البركانية ، حتى أصبح اليوم أحد بحار العالم المشهورة ، رابطا بين قارات العالم المهمة الثلاث ، آسيا ، وافريقيا ، وأوروبا عبر قناة السويس .

وإذا كان العلماء قد اتفقوا على الالتحام الطبيعي ذات يوم بين كل من السواحل الشرقية لافريقيا ، وما يقابلها من السواحل العربية الغربية لشبه الجزيرة العربية ، الا انهم مختلفون حول أسبقية التحضر البشري أو التمدن الانساني . فهناك مجموعة من النظريات حول هذا الصدد ، نلخصها بفكرتين متضادتين هما .

- إن الوجود الانساني الفاعل أسبق[1] « في شرق افريقيا ، تفرعت عنه ثقافات متعددة ليس في افريقيا وحدها ، بل في آسيا أيضا » .

- أما الفكرة المضادة الأخرى فتقول : « إن البلاد العربية الجنوبية . هي الاقدم ، وان الثقافة قد انتقلت منها في العصور الحجرية القديمة الى شرق افريقيا » .

---

(١) انتصار الحضارة : ص٣٣-٣٤ جيمس هنري برستيد تعريب د. أحمد فخري .

يقول الدكتور أحمد فخري « سواء[1] أصحت» النظرية الأولى أو الثانية « فإن أمامنا حقيقة ثابتة وهي وجود ثقافة من العصر الحجري القديم في بلاد العرب ، وأن هذه الثقافة تشبه الى حد كبير ما عثر عليه في افريقيا ، كما تشبه أيضا ـ مع وجود اختلافات غير قليلة ـ . ما عثر عليه الباحثون من آثار عصر ما قبل التاريخ في سوريا والعراق » .

أما الفترة التاريخية التي يعول عليها علماء الآثار في الحديث عما يسمى حضارات قديمة وصلات تجارية وانسانية مختلفة في كل من شبه الجزيرة العربية ، ووادي النيل ، فهي لا تتعدى القرن[2] التاسع قبل الميلاد . « أي مدى ألف وخمسمائة سنة قبل الاسلام » . على ما يظن الدكتور فخري .

ويعتقد الكثيرون من علماء البحث التاريخي ، أن موقع شبه الجزيرة العربية ، وتوسطه ما بين أقدم[3] حضارات العالم القديم ، ووادي النيل وبلاد ما بين النهرين ووادي السند كذلك قد رشحه لريادة التأثير المسبق والمبكر في المجالين التجاري والثقافي منذ عصور غابرة .

وقد قسم العلماء شبه الجزيرة العربية الى وحدتين جغرافيتين هما : الشمال ، والذي سمة سكانه البداوة كما يزعمون ، حيث « يفضلون أكثر » حياة الانطلاق ، ولا يؤثرون شيئا على استقلال الفرد حريته « كما يقول الدكتور أحمد فخري ، مما جعلهم أي سكان نجد والحجاز غير متماسكين » . أي « لم يصبحوا قوة متماسكة ذات نفوذ الا بعد ظهور الاسلام » .

---

(١) دراسات في تاريخ الشرق القديم . ص١٢٣ـ١٢٥ الدكتور أحمد فخري . ط٤ ، ١٩٨٤ ـ القاهرة .

(٢) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٢٥ د. أحمد فخري .

(٣) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣١ المصدر السابق .

أما سكان جنوب [1] شبه الجزيرة العربية ، فهم سكان سهول ومدن « ألفوا حياة التحضر والاستقرار منذ القدم . وهذا ما جعل منهم قوة تأثيرية فاعلة على المستويين الثقافي والتجاري » ، وجعل منهم جسورا ديموغرافية الى الحواضر الواقعة شمال وغرب شبه جزيرتهم . فقد كانت حركة هؤلاء العرب الجنوبيين التمدينية قديما جدا ، يرجع العلماء جذورها الى الألف الرابعة قبل الميلاد أو أبعد من ذلك .

كما مثل هؤلاء العرب ، همزة الوصل بين الحضارات القديمة ، حيث إن الفضل يعود اليهم بما جسدوه من مظاهر الاتصال المدني - إن جاز لنا القول - بين الحضارات القديمة في كل من مصر القديمة ، وبلاد ما بين النهرين ، والقارة الهندية . وهذا بدوره ، جلب فوائد جمة على تلك الجماعات « والشعوب القاطنة على الطرق التجارية » كما يقول الدكتور فخري . فمن وجهة نظره ، فإن الاتصال التجاري مظهر من مظاهر المدنية التي جسدها عرب جنوب شبه الجزيرة منذ الأزمنة القديمة . وهذا ما وجد مرسوما على الآثار .

فقد « نجح [2] الجنوبيون في التجارة منذ القدم فأصبحوا في مقدمة الشعوب القديمة التي مارست حياة التجارة والتحضر » . حيث « إنهم أسسوا المحطات والمراكز التجارية » منذ وقت مبكر جدا . وكانت هذه المراكز التجارية التي غالبا ما يقيمونها في الطرق التجارية كمحطات ، يخصص لها جماعات من السكان الجنوبيين لحماية طرق القوافل من السطو والاعتداء . كما كانت هذه الجماعات الحامية للمراكز أو المحطات التجارية تعرف « بالمعينيين أو السبئيين » في مواقعهم الجديدة . أي أنهم جنوبيون أو يمانيون ، وفقا لتصنيف ذلك الوقت . إذ أن لفظة

---

(١) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣١-١٣٣ - المصدر السابق .
(٢) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣٢-١٣٣ مصدر سابق .

« عرب » لم تكتسب[1] مدلولها القومي(*) .

ونتيجة لهذا النشاط التجاري المبكر ، فقد « عبر[2] بعضهم منذ أقدم العصور ، إلى الشاطىء الافريقي ، وتاجروا ، واستقرت جاليات منهم في اريتريا والصومال » . ومنهم من انساح الى وادي النيل .

كما ان الصلات التجارية المؤكدة بين كل[3] من مصر القديمة ، وبلاد ما بين النهرين ، مثل بابل وأشور وغيرهما ، كانت للوهلة الأولى عبر البحر من الجهة الجنوبية ، وقد لعب الجنوب دورا بارزا بربط الصلات التجارية بين مصر وبابل على وجه الخصوص ، بوساطة سفنهم ذات الشكل المتميز منذ القدم بارتفاع كل من مؤخرتها ومقدمتها على سطح البحر .

فقد أصبح معلوما لدى العلماء أن عرب الجنوب كانوا ملاحين موهوبين منذ أقدم العصور ، وأنهم الذين « أوصلوا حضارة وادي النيل ببابل ، ووادي السند » .

أما صفة الشكل المتميز لسفن عرب الجنوب القديمة ، كما وجدت مرسومة أشكالها على جدران المعابد المصرية فلعلها تذكرنا للوهلة الأولى بسفن العمانيين في العصر الحديث من نوع (البدن) التي لاتزال الى وقت قريب تمخر سواحل عمان الى اليمن ، ثم الى شرق افريقيا محملة بأنواع من البضائع العمانية كالسمك المجفف والتمر ، والجلود والسمن البقري واللبان وزيت الاسماك وغيرها من المنتوجات العمانية ، لتعود محملة ببضائع اليمن وشرق افريقيا . فكما يصف

---

(١) المفصل في تاريخ العرب ـ د. جواد علي ص٢٥٤ ج١ .

(*) كان لفظ اليمن يطلق على كافة عرب جنوب بلاد العرب . ص١٢٠ العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الاسلام . وراجع أيضا : صاحب الاستيعاب جـ١ ص٣٧٥ .

(٢) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣٣-١٣٤ ـ مصدر سابق .

(٣) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣٢-١٣٤ ـ مصدر سابق .

الـدكتـور أحمد فخري تلك السفن العربية القديمة « التي كانت تمخر[1] عباب البحـر الأحمـر » والمحيط الهندي ، وصولا الى بابل منذ عصر ما قبل الاسرات المصرية (٣٢٠٠ ق.م) بأنها كانت متميزة بارتفاع مقدمتها ومؤخرتها ، وأنها كانت تلازم السواحل في إبحارها . وأن قوما من العرب قد وفدوا فيها الى مصر ، ووصلوا الى وادي النيل من الجنوب ، ومن الشرق ، حيث اتخذوا طريق القصير من البحر الأحمر . إلى مصر . وهذا يجعلنا نقول مطمئنين ان هذا الوصف يشبه الى حد ما السفن العمانية من نوع (البدن وجمعها بدانات) التي نوهنا بها .

فقد كانت السواحل الجنوبية ، وسواحل الشاطىء الافريقي تحليها أشرعة البدانات العمانية ببياضها الناصع ، كالنجوم الزاهرة ، وكأنها أقمار متلألئة على سطح البحر بزرقته الصافية . وكما نقرأ عن وظيفة السفن القديمة بامداد الانسان بما يحتاج اليه ، فقد كانت البدانات العمانية تقوم بامداد الكثير من القرى المنقطعة على الساحلين العـربي والافـريقي ، وبشكـل دوري منتـظم بما تحتـاجـه من البضائع ، حيث كانت عمليات البيع تتم بالنقد ، أو عن طريق المقايضة . فلعل هؤلاء هم الأحفاد البررة لأولئك الذين كانوا في فجر ما قبل التاريخ من الملاحين العرب الذين ربطوا بابل وأشور بوادي النيل ، وبلاد السند .

ومن المفيد ذكره أن السفن صناعة [2] عمانية قديمة ، وأن عمان كانت تصدر السفن الى اليمن ، منذ القرن الثاني قبل الميلاد كما ينقل عن كتاب الطواف حول البحر الارتيري .

وقد علم من المكتشفات الاثرية الحديثة عن ناتج تلك الصلات القديمة بين كل من مصر القديمة ، وبلاد العرب الجنوبية ، حيث تمثل ذلك بمجموعة

---

(١) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣٣-١٣٥ ـ مصدر سابق .
(٢) العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الاسلام ص٤٦-٤٧ ـ د. رجب محمد عبدالحليم .

من التأثيرات ، في مقدمتها التأثير[1] الفكري والتجاري الذي عكس نفسه على شكل تماثل في الأزياء ، والاعتقادات الدينية ، والمبادلات التجارية المتنوعة ، وغير ذلك .

كما جسد ذلك ارسال بعثات الاستكشاف ، والبعثات التجارية[2] ومظاهر استقبالها الاحتفالية تعبيرا عن حسن العلاقات والروابط الوثيقة . وقد وجد التعبير عن هذا مرسوما على جدران المعابد وصخور الصحراء في كل من مصر وشبه الجزيرة العربية وغيرهما من الأماكن الأخرى .

ولقد كانت الصلات التجارية بين العالم القديم وجنوب شبه الجزيرة العربية أو ما يمكن أن يطلق عليه أرض اللبان ،[3] « يجلب مجموعة من التأثيرات الثقافية والاتجاهات السياسية ، والأنماط الاجتماعية » .

وذلك بفعل الاحتكار المتخصص على حسب تعبير البعض لسكان جنوب شبه الجزيرة لانتاج مادة البخور والمر والصبر ، فضلا عن نقل توابل الهند ، اضافة الى ما ينتجونه الى كل من مصر القديمة ، وبلاد ما بين النهرين .

علما بأن التأثيرات الثقافية والاجتماعية المنقولة مع الصلات التجارية لا تؤدي بالضرورة إلى احداث تغيرات جذرية في التركيب الاجتماعي في المجتمعات القبلية القديمة ، التي تقوم على نظام القبيلة كوحدة اجتماعية ، لا على التنظيم الطبقي الاقطاعي ، الذي يقسم المجتمع الى طبقة السادة . ثم الجند ، ثم العامة ، والعبيد ، كما هو الحال لدى اليونان والرومان ، وربما لدى فراعنة مصر القديمة ، وإن كنا نذهب الى ان النظام الطبقي في مصر القديمة يشابه من

(١) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣٢ ـ مصدر سابق .
(٢) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣٣-١٣٦ ـ مصدر سابق .
(٣) اليمن قبل الاسلام ص٥٥ م . ب بيوتروفسيكي . تعريب : محمد الشعيبي . دار السعود ـ بيروت .

بعض الأوجه ذلك التنظيم الاجتماعي الذي عرف في بلاد ما بين النهرين لدى كل من السومريين والبابليين والأشوريين .

نقول هذا ، استدراكا عل ما نجده في الادبيات التاريخية التي تتحدث عن المجتمعات العربية القبلية القديمة ، حيث تصنف تركيب هذه المجتمعات القديمة تصنيفات اجتماعية ، هي الى النظام الاقطاعي في أوروبا في القرون الوسطى ، أقرب منها الى النظام الاجتماعي القبلي ، الذي يقوم على أساس القبيلة ، كوحدة اجتماعية للانتاج .

فهذا أحد المستشرقين الروس يصف التركيبة الاجتماعية في دول الجنوب القديمة «قائلا[1] وكان المجتمع في هذه الدويلات ينقسم الى طبقات المزارعين والعساكر والكهنة والتجار » ولسنا متحمسين للأخذ بهذا الرأي في المجتمع القبلي الذي يقوم نظامه على أساس التكامل الاجتماعي بين الفرد والقبيلة كوحدة أساسية للانتاج ومتطلبات الحياة الأخرى . فحيث من الصعب القول ، بأن تركيب المجتمعات القديمة أيا كان نوعها يشابه بعضه بعضا « فضلا عن أن يكون متماثلا فإن التركيب الاجتماعي العربي القديم هو التركيب القبلي ، أي المجموع القبلي مقابل التقسيم الطبقي المعهود ، وإن كان التركيب القبلي هو شكل من أشكال التقسيم الاجتماعي ، ولكنه تقسيم بفعل الحياة الاجتماعية ، والواقع الاجتماعي ، تقسيم يفرض نفسه ولا تفرضه عوامل الانتاج المتخصصة ، كما هو متعارف عليه في المجتمعات الاقطاعية .

وهذا لا يعني مدحا في التنظيم القبلي ، ولكن تقريراً لواقع نظن انه تخصص عربي الى حد ما منذ القدم ، قامت على أساسه أنماط النظم الاجتماعية العربية القديمة ، ومازالت مع شيء من العصرنة والحداثة ، ان جاز التعبير .

---

(١) اليمن قبل الاسلام ص٥٥-٥٧ - مصدر سابق .

وإذا ما عدنـا للحـديث مبـاشرة عن ذلك الزخم المتواصل من المجتمع المصري القديم لتعميق صلاته التجارية بمواقع انتاج اللبان ، والمواد الانتاجية الأخرى ، فإننا نجد تأكيد المتخصصين بتاريخ مصر القديمة بأن أوج ذلك قد حدث منـذ الاسرة الثـانية عشرة[1] « على الأرجـح ما يقـارب أربعـة آلاف سنة ق.م ، حين استطاع الفراعنة الوصول الى البحر الأحمر بوساطة قناة خاصة ، مما ادى الى انتظام أحوال تجارتهم أكثر من ذي قبل » مع البلاد العربية الجنوبية ، وافريقيا الشرقية .

ومن المثير للانتباه حقا ، أن يكون ذلك الاتصال التجاري والاجتماعي اكثر سعـة وعمقـا مما تحدثنا عنه النقوش وبعض الكتابات القديمة من جانب مصر القديمة ، مع شبه الجزيرة العربية شمالها وجنوبها أكثر فأكثر من غيرها من البلاد الأخرى المجاورة لها .

ليس هذا فحسب ، بل إن الـدكتـور شوقي ضيف يعتقـد بأن مصر القديمة[2] « هي أول النيل ، ومن آسيا الصغرى الى بلاد البنت والنوبة » . فإذا كانت هذه النظرية صحيحة فتكون مصر القديمة سباقة منذ العصور الغابرة الى مفهوم التكتل السياسي والاقتصادي مع العرب مجتمعا وموطنا وهذا كما نظن ان صح فإن محركه أكثر من عامل اجتماعي واقتصادي وسياسي . مع تحفظنا على تعبير « الشرق الأوسط » والـذي هو من مصـطلحـات الجغرافيا السياسية في عصرنا هذا ، وهو مصطلح جغرافي سياسي يضم دولا وشعوبا عربية ، وغيرعربية .

نقـطة أخرى تستوجب الاهتمام والتنبيه . وهي كثرة الحديث عن النظام الضرائبي المعمـول به قديما في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وكثرة الاقتطاعات

(١) دراسات في تاريخ الشرق القديم . ص١٣٣ ـ مصدر سابق .
(٢) تاريخ الأدب العربي : عصر الدول والامارات . ص٣٣٣ . د. شوقي ضيف .

القسرية من أصحـاب السلع والبضائع ، حيث عليهم ان يوزعوا[1] أجزاء من انتاجهم ألبانا كان ذلك أو بخورا وطيوبا أُخر ، جزاء المرور والسلامة ! !

والناظر في هذا الامر يجد فيه شيئا من المغالاة ، ومن المخالفة للعديد من الاعراف القبلية والسنن الاجتماعية ، المتعارف عليها قديما بين المجتمعات العربية القـديمـة ، كالتكـريم أو الهبـة والـرفادة والاهداء لحفظ الود وتقريب الأواصر وتعميقها ، والتنافس في سبيل التكريم والذكر بالكرم ، لما لذلك من تعزيز معنوي واجتماعي للفرد وللجماعة .

ولعل هذا ما جبل عليه العربي منذ القدم ، دون فرض أو نظام ضرائبي يفرض عليه . وهذا لا يعني أننا ننكر بعضا من تكوين الدولة القديم الاقتصادي والديني في المجتمع القديم ، كضريبة الكهنة مثلا حراس المعابد والآلهة ، وغير ذلك ، ولكننا نقصد أن الكثير من الروابط والمعاملات في المجتمع العربي القديم مدفوعة بنظام التعامل بالمثل أي : أكرم تكرم ، وأحم تحمى . وانجد تنجد . وغير ذلك كثير .

ومـازالت بعض هذه العـادات ، التي هي شبيهـة بالعقـائد المرسومة أو المنصوص عليها ، مثل :

توزيع نتاج أول يوم من حصاد الزرع في المناطق الزراعية بالمجان ، وتوزيع أول محصول البحر من الاسماك بالمجان ، وتوزيع جزء مخصص من منتوج اللبان بالمجان أيضا . وهذا كله يرجع الى قيم وتأثيرات ثقافية بالغة في القدم ، وان كان الهدف القريب منها هو هدف البركة ، وتجنب الغيرة والحسد وتنفيع المحتاجين .

---

(١) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣٤ ـ مصدر سابق .

ويحضرني هنا قصة طريفة على حقيقتها ، ملخصها أن أحد تجار اللبان في ظفار في العشرينات من هذا القرن كان مع قافلة له لجلب كمية من اللبان من « المنزلة » الخاصة به ، وحين عودة القافلة من المنزلة محملة باللبان ، وبينما القوم في وسط شعبٍ من الشعاب في منتصف الليل ، إذا بطائر يغرد من أعلى الوادي ، وإذا بصاحب القافلة يأمر بحط الرحال ، وايقاد النار ووضع كمية من اللبان عليها لتبخير الوادي في منتصف ذلك الليل . معتقدا أن ذلك الطائر من الأرواح التي تلوم الأحياء .

ولم يقتصر الأمر على حرق قليل من البخور في الوادي ، وانما أمر بترك كمية من اللبان على احدى الصخور لمن يأتي بعدهم من « الجن أو الانس » .

مثال آخر مازال موجودا ، وهو : أن بعض الأشخاص يحصلون على مبالغ أو هدايا عينية بهدف الترضية ، والافساح المعنوي من قبلهم للعمل في البحر أو حراثة الأرض أو الرعي فيها ، اعتقادا من المستثمر أو من المستثمرين بأن أمثال هؤلاء لهم سلطة أو روابط خفية مع مصدر الانتاج أو الرزق ، لا يمكن ضمان الحصول عليه ، الا « بشكمهم » وهذه اللفظة أي الشكم أشبه ما تكون بمصطلح قاعدي متعارف عليه بين المتعاملين . وحالات كثيرة من هذا القبيل ، لم تزل موجودة ، وإن كانت على نطاق ضيق . تمارس طواعية من قبل الأفراد والجماعات ، ربما لخلفيات دينية قديمة ، لا يمكن اعتبارها بمثابة ضريبة أو جزية ، نظرا لمفهوم الالزام والقسر اللذين يكتنفان مفهوم ، الضريبة والجزية . وهذا أيضا بخلاف الأجر مقابل عمل أي نوع من أنواع العمل ، أو أجر مقابل حرية الانتفاع بعين المال ، أو ما يعرف اليوم بالاستثمار مقابل أجر مقطوع .

وهذا ما كان ساريا مفعولا لاستثمار « منازل » اللبان في ظفار والى وقت قريب جدا ، حيث يمكن استئجار منزلة من منازل اللبان ـ الموقع ـ مقابل أجر مقطوع ، تماما كما يحدث في عالم اليوم في مجال الاستثمار .

أهمية اللبان :

يمثل اللبان أولى السلع الأساسية التي يتم جلبها قديما من ظفار وجزيرة سقـطري الى كل من وادي النيل ، وبلاد ما بين النهرين ، وسوريا القديمة ، فضلا عن[1] الهند والصين . وقد ذكر لبان منطقة ظفار كثيرا ، وأشيد به باعتباره أفضل أنواع اللبان ، ويعتقد بعض الكتاب أن صفة السعادة التي أطلقت قديما على بلاد العـرب الجنوبية هي بفعل وجود اللبان ، بل لقد حصر بعضهم هذه الصفة ، أي البلاد السعيدة أو العربية السعيدة على مواقع اللبان . وهذا يدل على المكانة الكبيرة التي كان يحظى بها اللبان ومادة البخور بشكل عام .

كما روجت قصص واشاعات كثيرة حول كيفية استخراج مادة اللبان ، أو حراسة مواقعه ، ووصفت شجرة اللبان وهي شجرة « المغرة » أو « المغراة » أوصافا خيالية ، لا تنم في غالب الأحيان عن حقيقة شكلها .

ولعل أبرز عامل روج لتجارة البخور قديما هو العامل الديني ، حيث ارتبط انتاج اللبان ، باحتياجات المعابد الدينية في العصور القديمة ، في كل بلاد العالم القديم ، بمختلف دياناتها .

وهذا ما أضفى على مادة اللبان صفة القداسة لدى القدماء ، ولربما الى جانب السلع القديمة الاخرى ، مثل الصبر والمر وغيرهما.

أجل . أضفى على مادة اللبان وحدها هالات قدسية كثيرة هي أقرب الى الخرافة والاسطورة منها الى الحقيقة .

وربما سلع أخرى قديمة كانت أهم من مادة اللبان ، من حيث تعدد فوائد استعمالاتها .

(١) العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الاسلام ص٦٦ .
د. رجب محمد عبدالحليم ، مسقط ١٩٨٩م التوراة ، الخروج ، الأصحاح الأول وسفر التكوين الأصحاح العاشر ، ذكر التحنيط وقصة تحنيط والد سيدنا يوسف عليه السلام ، كما تقول التوراة .

وانه لا يختلف اثنان على أن مادة اللبان قد مثلت والى وقت قريب السلعة التجارية الأولى لسكان أرض اللبان ، أيا كان موقع انتاجها ظفار وجزيرة سقطرى وساحل الصومال ومنطقة التجراي(*) أو بلاد اريتريا ، علما بأن الشهرة التاريخية التي وصلت لدرجة الخيال الاسطوري قد حظيت بها منطقة ظفار ، كأكبر منطقة لانتاج أجود أنواع اللبان منذ القدم .

والباحث في المصادر الموثقة لمعرفة أنواع السلع القديمة التي اشتهرت بانتاجها بلاد العرب الجنوبية يجد اختلافات كثيرة بين الكتاب من حيث وصفهم لأهمية هذه السلع ، واستعمالاتها ، وكيفية استهلاكها ، من قبل الانسان القديم . فمنهم من حصر استعمال مادة اللبان في النواحي الدينية فحسب ، أي حرق كمية اللبان لتطييب أجواء المعابد ، كما كان يفعل قدماء المصريين ـ واليونانيون والرومان وغيرهم من الممالك القديمة الأخرى . بينما يرى البعض الآخر أن قدماء المصريين قد استعملوا مادة اللبان في الأساس في التحضير الطبي أو المستحضرات الطبية ، كالتحنيط[1] على وجه الخصوص ، وأنواع الاستعمالات الطبية الاخرى ، فضلا عن ادخال مادة اللبان والمر والصبر في بعض المأكولات والمشروبات المختلفة ، بهدف تطهير الجسم من علاته .

ويظن ان مادة الصبر ، وكذلك مادة المر تأتيان في مقدمة أهمية الاستعمال والتعويل على جدواهما أكثر من اللبان . وان كانت شجرة اللبان أظهر وأبرز من حيث الشكل وكثرة الانتاج من شجيرة المر أو الصبر كما قيل .

وسواء أكان هذا أو ذاك ، فإن مادة اللبان والمر والصبر ـ قد مثلت جميعها أهمية كبيرة لمنتجيها ، ولمستعمليها حقبا طويلة من الزمان ، وكان درها على منتجها

(*) التجراي في الحبشة وهي غير اقليم اريتريا .

(١) أضواء على تاريخ اليمن البحري ص٣٧ حسن صالح شهاب .

فوائد جمة ، امتد من العصور الغابرة الى وقت قريب منا في استعمالات شتى مفيدة وذلك بعد أن انقلب استعمال البخور من حرقه اكداسا في أفناء المعابد وساحاتها الى استعمالات أخرى مفيدة بعد أن عقل الانسان فوائد الأشياء في أمور كثيرة ، أفضل من ذي قبل .

كان لبان ظفار الفاخر ، يجلب منذ القدم ، وبكميات كبيرة الى معابد مصر القديمة ، وبلاد ما بين النهرين ، لتعطير أجواء تلك المعابد . وهذا هو الشائع بين علماء التاريخ ، ومنقبي الآثار بوجه خاص . فقد وجدت رسومات السفن الناقلة ، وهي سفن آتية من بلاد العرب الجنوبية عبر البحر الأحمر ، كما وجدت رسومات قوافل النقل البري التي كانت تخترق شبه الجزيرة العربية من جنوبها الى شمالها ، وصولا الى وادي النيل عبر سيناء . وخبر هذا كله وجد على جدران المعابد القديمة ، كما وجد في بعض الكتابات المنقولة من عهود اليونان والرومان ، فضلا عما ورد من قصص نقل اللبان وغزو مناطقه في التوراة والانجيل ، وهي قصص لا يعول عليها كثيرا من وجهة نظرنا ، لما تتضمنه من روح الخرافة والأساطير ، مثل قصة سفن سيدنا سليمان التي بعث بها لاحضار أعدال اللبان وجرار الذهب من[1] « أوفير أو سفار » ، وهي قصة لم تثبتها الآثار المكتشفة حتى الآن .

هذا ، وان كانت قصة التوراة هذه ، تعطي اتجاها ودلالة على أهمية اللبان ، باعتباره سلعة مقدسة[2] بالنسبة لأرباب الديانات القديمة ، وهي ديانات غير وحدانية ، ونحن نربأ بعقيدة نبي الله سليمان عن هذا التقديس لمادة اللبان ، كما ذكر الأمر لدى قدماء المصريين والبابليين وغيرهم .

وانه ليضيف البعض : أن قدماء المصريين [3] والأشوريين ـ قد حملهم معنى

---

(١) أضواء على تاريخ اليمن البحري ص١٣٧ حسن صالح شهاب .
(٢) أضواء على تاريخ اليمن البحري ص١٣١ ـ المصدر السابق .
(٣) رمال العرب ص٤٤ ولفريد ثيسيغر تعريب نجدة هاجر وإبراهيم عبدالستار ١٩٦١ .

تقديس اللبان ، أو اعتباره من المواد المقدسة ، على التفكير في غزو مواقع أشجار اللبان لاحتلالها وامتلاكها . ولعل هذا شبيه بما حدث ويحدث في عصرنا الحاضر بالنسبة لما يطلق عليه المواد الاستراتيجية بلغة اليوم من بترول ومعادن أخرى .

ولربما ان لفظ « مواد مقدسة » لدى القدماء المصريين يماثل مواد استراتيجية في عصرنا اليوم من حيث اللفظ والمفهوم المعنوي .

يذكر الدكتور جواد علي في كتابه ، المفصل أنه « لم تتوقف نية الدول القديمة لاحتلال مواقع اللبان عند الرغبة والتمني ، فحسب ، بل جسدها القائد الروماني[1] اليوس جالوس حاكم مصر عام ٢٤ قبل الميلاد ، تنفيذا لرغبة الامبراطور أغسطوس بامتلاك مواقع اللبان ، وجميع أنواع الصمغ الأخرى » .

ويعلل الدكتور جواد علي هذا الاصرار على احتلال مواقع اللبان من قبل الدول القديمة ، بأن امتلاك ناصية انتاج اللبان لم يكن هو الهدف الحقيقي في حد ذاته ، وانما استعمل واعلن عنه للتغطية والتمويه ، كحيلة حربية للوصول الى الهدف الاسمى ، وهو احتلال جميع موانىء جنوب بلاد العرب الجنوبية ، حيث تتم بذلك السيطرة على الطرق التجارية المؤدية الى كل من المحيط الهندي والبحر الاحمر . ثم يضيف : « ان فكرة الاحتلال هذه كانت من أيام الاسكندر[2] الأكبر الذي وافته المنية قبل تحقيق حلمه » .

ويبدو أن أحلام القائد الاغريقي لم تخب في اذهان وعقول خلفائه من بعده . فقد نفذ هذا الهجوم لاحتلال مناطق اللبان ، الامبراطور أغسطس قيصر بحملته الفاشلة نتيجة جهله « الفاضح » كما يقول جواد علي عن أحوال الصحراء العربية ومسالكها .

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ص١٠ ـ ١١ جـ٢ د. جواد علي .
(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ص١٠ ـ ١٤ جـ٢ د. جواد علي .

وقـد أرجـع فشـل هذه الحملة الى العطش ، وان جنود القيصر قد ماتوا عطشا !! كما نقل عن استرابون[1] صديق قائد الحملة ومرافقه . وكأنما الارض خالية من سكانها والمدافعين عن حياضها !!

لم يذكر الكتاب الاغريق شيئا عن مقاومة السكان العرب غزو بلادهم ، ومع هذا ، فإننا نظن أن جيش القيصر قد وجد مقاومة صلبة من القبائل بددت فلوله وكسرت شوكته .

ومهـما يكن الأمـر ، فقـد فشلت حملة القيصر الـروماني لاحتلال مواقع اللبان ، ولعلها أول هزيمة لدولة كبرى على الارض العربية في التاريخ .

أما هدف احتلال الموانىء العربية القديمة في بلاد العرب الجنوبية ، فيعود ـ كما أسلفنا الذكر ـ إلى أهميته في السيطرة على طرق الملاحة القديمة . فقد طمع الاغـريق بانتـزاع السيطرة على المسـالك التجارية القديمة من عرب الجنوب ، وحـرمانهم من ميزة موقع بلادهم ، كما هدف البرتغاليون في العصر الحديث في فتـوحـاتهم الاستعـمارية ضد البلدان الاسلامية ، حيث كانت الطرق البحرية هدفهم وغايتهم الأولى .

لقـد [2] « لعب ساحل بلاد العرب الجنوبي منذ العصور القديمة ، دورا كبيرا في النشاط البحري في غربي المحيط الهندي ، في العصور التي بدأ فيها التبادل التجـاري بين الشرق والغـرب وبـدأ يأخذ مجراه في المياه المحيطة بشبه الجزيرة العربية ، وكانت له صلات بحرية مغرقة في القدم مازالت مستمرة حتى الآن في سواحل شرق افريقيا ، والهند وشرق آسيا الجنوبي » .

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ص٥٩ جـ٢ د. جواد علي .

(٢) أضواء على تاريخ اليمن البحري ص٣٢٢-٣٢٤ ـ مصدر سابق .

ولعل الصلات التجارية بين مصر القديمة ، وأرض اللبان سابقة على غيرها من البلاد المجاورة ، وذلك لعدة أوجه منها :

الزخم الحضاري الواسع الذي ظهر في مصر زمن الاسرات المتعاقبة .

وحاجة المعابد الى كميات من اللبان .

وظهور الرباط الديني بين اللبان ، والصبر والمر ، من منتوجات بلاد العرب الجنوبية ، وعقائد المصريين القدماء .

وكذلك سهولة وأمن الوصول الى وادي النيل عبر الممر البحري المعروف .

وقد أوضحت النقوش والرسوم التي وجدت على المعابد المصرية القديمة ، وكذلك كتابات اليونان والرومان القديمة دلالة هذا كله .

ومع مالهذين المصدرين التاريخين من وجاهة للثقة بهما . أي ما خلفه اليونان والرومان من كتابات زيادة على النقوش الاثرية المكتشفة حديثا ، فإن التعويل عليهما بواقعهما الحالي محفوف بمجموعة من الاحتمالات ، قد تجعل هدف تأكيد صحة ما ينقل عنهما من معلومات أمرا نسبيا .

ومن هذه الاحتمالات :

١ - صعوبة قراءة النقوش القديمة أيا كان نوعها ، قراءة متقنة ، لا لبس فيها ولا تخمين .

ومرد هذا الى تصدع النقوش من ناحية ، ولاختلاف لسان علماء النقوش عن النبر الشرقي في تركيب الاصوات أو نطقها إذا جاز التعبير من ناحية أخرى ، حيث أكثر علماء النقوش الشرقية من الأوربيين ، وغالبا ما يبني هؤلاء العديد من

استنتاجاتهم في تفسير بعض الجمل الناقصة من النقوش على قناعات أو مقارنات سالفـة . أي اصدار حكم على قناعة مسبقة ، وهو حكم الى الفرضية النظرية أقرب منه الى تقعيد علمي ممنهج . مثل اسم : سمهرم ، أو سمهرام(*) والذي هو اقرب الى سام إرم من غيره .

٢ ـ ان قدم الكتابات اليونانية والرومانية ، وكثرة تداولها بين السن مختلفة عبر الحقب الزمانية المتعاقبة يجعلها عرضة للتحريف ، إسقاطا أو تصحيفا أو غير ذلك ، مما يفتح باب المغالطات في علم التاريخ القديم في بعض نواحيه .

ولعل ما هو موجود في بعض هذه الكتابات المتداولة اليوم بين أيدي الناس مخالفا لما هو حقيقة وواقع ذات يوم .

٣ ـ اختلاف الكتاب الذين يعالجون قضايا التاريخ القديم ، من حيث المستوى العلمي والثقافي ، والنظرة الاجتماعية والانسانية ، ومن حيث القدرة على التحرر من الأهواء العصبية ، والانتماء الى منهج العلم قبل الانتماء الى مشاعر الجنس ، أو العرق أو الأمة ، أو سابق معتقد ينافي الموضوع المعالج .

فكل هذه الاحتمالات تجعلنا نتعامل بحذر وحيطة مع النصوص التاريخية لما أسلفنا ذكره .

وهـذا بخـلاف بعض المضامين القصصية ذات الطابع الخرافي والاسطوري ، الذي قد يكون مقصودا لذاته لأحداث معينة تتعلق بالعصر الذي تدور حوله الكتابة .

كالحديث عن الثعابين الطائرة ، التي تحرس مواقع اللبان ، أو مملكة الثعابين في جزيرة السعادة . . . الخ .

(*) سمهرم أو سمهرام اسم يطلق على منطقة أثرية في ظفار ، وهو اسم بدون معنى في حد ذاته ، والأصح منه سام إرم .

الخلاف على موقع بونت :

أما بونت هذا الاسم اللغز ، أو الشبيه باللغز ، فقد اختلف العلماء حول تحديد موقعها ، فمنهم من حصرها ببلاد الصومال[1] فحسب ، ومنهم من عممها على الساحل الافريقي الشرقي كله ، وآخرون قالوا ان بونت أو بنت ، هي مداخل البحر الأحمر الغربية والشرقية ، أي السواحل الواقعة على ضفتي البحر الأحمر الآسيوية والافريقية .

وهناك رأي مخالف لجميع الآراء السابقة يقول : إن بونت هي ظفار عمان ويدخل معها جزيرة سقطرى .

وليس هناك من دليل لوجهات النظر هذه ، الا البعثات الملكية المصرية سالفة الذكر الى بلاد بونت التي وجدت مخلدة على جدران معابدها .
أما الذي تأكد لعلماء الآثار المصرية . فهو انه كانت صلة[2] مصر ببلاد بونت صلة وثيقة ومستمرة . « وان أول صلة ببونت على هذا المستوى ، تمثل في البعثة التي أمر بارسالها أحد ملوك مصر ، وهناك خلاف حول اسم هذا الملك ، فبعضهم يرى انها الملكة المصرية حتشبسوت ، والبعض الآخر يرى انه الملك ساحورع من الاسرة الخامسة اي حوالي ٢٥٥٠ قبل الميلاد . ولقد صورت البعثات ومناظرها على بقايا جدران المعابد كمعبد أبي صير ، ومعبد طيبة . كما جاء ذكرها مرة أخرى على بعض الأحجار المكتشفة أكثر من مرة في بعض المناطق المصرية الأخرى » .

ولقد حملت الآثار المرسومة « صور مقتنيات هذه البعثات مثل : جلود

(١) المفصل في تاريخ العرب ص٢٣٦ ـ مصدر سابق .
(٢) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣٧ـ١٣٨ .

الحيوانـات ، والعـاج ، وريش النعام ، والاحجار الكريمة الى جانب البخور وبعض أنواع العطور ، التي كانت السبب الرئيسي ـ من وجهة نظر بعض العلماء ـ لهذه الرحلات » .

كما يذكر الدكتور أحمد فخري ، زيادة صلات مصر ، أكثر ببلاد بونت مع الاسرة السادسة والاسرة الحادية عشرة أي ٢١٠٠ قبل الميلاد . ثم يضيف : « أن الملك منتوحوتب ـ أو متوحوتب الرابع أرسل مدير خزانته واسمه حنتوّ أو حننو ، لاحضار البخور ، فذهب معه ثلاثة آلاف رجل عن طريق وادي الحمامات والبحر الأحمر ، وقد نجح في مهمته » .

كما تكررت الحملات من الاسرة[1] الثانية عشرة . ويبدو أن حملات هذه الاسرة كانت الى مسافات أبعد من ضفاف البحر الأحمر ، حيث حدث فيها غرق السفينة أو السفن المرسلة ولم يبق فيها الا شخص واحد ، لجأ الى جزيرة تحكمها الثعابين .

وهـذا الشخص ، هو الملاح المصري الـذي نجـا من الغـرق صاحب الاسطورة الشهيرة في جزيرة السعادة ، كما تورد في الكتابات بأساليب متعددة ، أما الجزيرة المقصودة فهي سقطرة .

فيما يتعلق بالبعثة التي أمرت بانفاذها الى بلاد بونت الملكة حتشبسوت من الاسرة الثامنة عشرة حوالي (١٤٩٠) قبل الميلاد ، ذكر انها كانت بقيادة الوزير نحسى ، وقد وجد تخليدها على جدران معبد الدير البحري في طيبة .

وكما أسلفنا فإن ملخص أفكار العلماء واختلافها في موقع بلاد بونت ، هناك رأي أقرب الى المنطق المقبول ، وهو : ان اسم بونت ، هو اسم عام[2] يطلق على كافة أرض اللبان . وبينما دليل الذين يظنون ان بونت هي بلاد الصومال يعتمد

---

(١) دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٣٨-١٤٠ ـ مصدر سابق .
(٢) انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) ص١٢٧-١٢٨ جيمس هنري برستد . ترجمة الدكتور أحمد فخري .

على وجود العاج وريش النعام المرسوم على جدران المعابد القديمة والذي يسهل جلبه من افريقيا ، اما المخالفون لهذا الاتجاه ، فيقولون :

« إن ما ذكر يمكن الحصول عليه من الشاطىء الآسيوي وأكثره محليّ . وبعضه عن طريق التجارة » .

بينما يصر بعضهم على أن بلاد الشحر القديمة ، هي بلاد بونت ، ودليل هؤلاء هو : أن « خير أنواع اللبان يأتي من بلاد الشحر ، وهي : ظفار وسقطرى وحضرموت » فقالوا : لا بنت الا ببلاد الشحر .

ومن خلال الفحص المعملي لرسومات أشجار اللبان على جدران المعابد المصرية القديمة ، وهي أشجار مجلوبة من بلاد بونت ، وجد نوعان من الأشجار ، هما :

١ - أشجار لبان طويلة ذات أوراق كثيفة ، وهذه لا تنبت من وجهة نظر العلماء ، الا في ظفار .

٢ - أشجار تنحو الى القصر وأوراقها ذات اشكال صغيرة ، وهذه تنبت في الصومال .

ولهذا كله ذهب أكثر العلماء الى ان بلاد بونت[1] اسم عام على المنطقة التي تنبت البخور في جنوب البحر الأحمر ، وتشمل الشاطئين الافريقي والآسيوي .

يرى أحمد فخري « أن خير أنواع البخور واللبان لا تنبت في الشاطىء الافريقي ، بل في بلاد الشحر[2] والمكلا وظفار وجزيرة سوقطرة ، وكلها على الشاطىء الجنوبي لجزيرة العرب » .

وفضلا عما سبق فإن نشاط العرب التجاري كان سابقا لكثير من الأمم في التاريخ . فهناك من يعتقد أن أهل عمان كانوا يتاجرون مع الهند لحقب زمنية طويلة قبل الميلاد ، نتيجة لبعض الأثريات المكتشفة في بعض مناطق الهند .

(١) دراسات في تاريخ الشرق القديم . ص١٤٠ - مصدر سابق .

(٢) المجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية ، وبلاد الرافدين والشام الى مصر . ص١٥٣ . الدكتور محمود عبدالحميد أحمد - طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق .

ومن هذا نخلص الى أن بلاد بونت أو بنت ، هي بلاد أشجار اللبان ، ولعلها احدى المواقع المذكورة آنفا ، أو انها تشتمل على جميع مناطق أشجار اللبان . كما ان هذه البلاد كانت وجهة تجارية للممالك المصرية القديمة ، لجلب منتوجاتها من اللبان وغيره ، وأن هذه الرحلات المصرية القديمة الى بلاد بونت شبيهة من بعض الأوجه برحلة سفن الملك سليمان الى بلاد أوفير أو سفار لاحضار أعدال اللبان وجرار الذهب . وان كانت رحلات سفن الملك سليمان لم توثقها الآثار ، كما وثقت رحلات ملوك مصر القديمة .

بل ان بعض المؤرخين يعتقدون أن هذه الرحلة المنسوبة الى سفن سيدنا سليمان ، هي من قبيل الأدب الخرافي .

وهذا بيير روسي يقول[1] « ان التاريخ لا يعترف لداود ، أو سليمان في الحقيقة ، وانه من السفه أن تحسب الوثائق التوراتية . المؤلفة باليونانية بعد حوالي ١٣٠٠ الى ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد التي تلت الاحداث » .

وقصة سفن الملك سليمان الى بلاد بونت ، هي في الواقع شبيهة بقصة احتلال جيوش الاسكندر الاكبر لمواقع اللبان في جنوب بلاد العرب ، تحقيقا لوصية أحد أساتذته . مع أن هذا لم يثبت علميا بعد ، وينكره جمع كبير من علماء التاريخ .

فالاتجاه العام لدى علماء التاريخ القديم ، هو : أن الاسكندر مات قبل أن يحقق أمنيته في السيطرة على مواقع اللبان في أرض العرب ، أو السيطرة على منافذ الطرق التجارية الى كل من المحيط الهندي ، والبحر الأحمر ، كما يذهب جواد علي وآخرون .

أمر آخر يثير الانتباه وهو أن سفن الملك سليمان قد وصلت الى « أوفير أو سفار » لا الى بونت ، كما تقول التوراة !!

(١) التاريخ الحقيقي للعرب ص٤٨-٤٩ بيير روسي - ترجمة فريد جحا - مصدر سابق .

فإذا كان العلماء قد ظنوا ان المقصود بأوفير أو سفار هو ظفار ، نظرا لمناسبة اللفظ ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو : أي ظفار هذه المقصود بها أوفير أو سفار؟ وإذا قيل : ان أوفير هي[1] ظفار عمان ، فإننا نجد أن اسم ظفار[3] متأخر وحديث ؛ حيث لم يطلق عليها الا في عصور اسلامية متأخرة .

علما بأن هناك رأيا ضعيفا ، يقول : ان اسم ظفار ، كان يطلق في عصور سابقة على منطقة الشحر القديمة أو بلاد مهرة بالمفهوم القديم ، وان ظفار حمير عاصمة الملوك الواقعة بقرب مدينة صنعاء ، قد سميت ، تيمنا بظفار القديمة .

الا ان هذا الرأي هو الى الظن والاستنتاج أقرب منه الى اليقين العلمي الصريح ، فالرأى السائد ، هو أن تسمية ظفار[2] عمان ، تسمية اسلامية متأخرة وان كانت تيمنا بتسمية عاصمة الحميريين .

والخلاصة ، ان الصومال اليوم قد تبنوا اسم بونت لبلادهم بعد الاستقلال ، وأصدروا صحفا ونشرات سياسية بهذا الاسم معتبرين أن منطقتهم هي المعنية بهذه التسمية ، وانها كانت قبلة البعثات المصرية القديمة لجلب اللبان الى معابد مصر .

---

(١) العمانيون والملاحة والتجارة ص٤٥ د. رجب محمد عبد الحليم ـ مصدر سابق .

(٢) تاريخ حضرموت ص٥٩٠ جـ٢ صالح الحامد العلوي ـ مكتبة الارشاد ـ جدة ط١ ١٩٦٨م .

التجارة والسياسة إبان دول اليمن القديمة

أولا : الدولة المعينية :

برزت هذه الدولة في القرن الرابع عشر ق.م في المنطقة السهلية الممتدة بين حضرموت ونجران في منطقة الجوف اليماني . ومدت سلطانها شرقا حتى الخليج العربي وجنوبا الى بحر العرب والمحيط الهندي وغربا الى البحر الاحمر . وتميزت شهرتها بالتجارة حيث سيطر المعينيون على الطرق التجارية البحرية والبرية ، حتى ان الجزء الاكبر من التجارة الدولية بين الدول احتكره المعينيون الذين أقاموا المحطات التجارية البحرية ، على سواحل البحر الأحمر ومن أمثلتها المحطة التجارية التي أقاموها شمال الحبشة ، فضلا عن محطاتهم البرية التجارية ، التي كانت تحميها قوات عسكرية تحت امرة أحد رجال معين من الحكام وانتشرت ، حتى شمال الحجاز بدليل وجود النقوش المعينية ، التي عثر عليها في العلا (شمال المدينة المنورة) وفي الصفا (شرق حوران) .

وكان أشهر موانئهم عدن وقانا (حصن الغراب) وظفار ، وكانت السفن تأتي الى هذه الموانىء من سواحل الهند وافريقية حاملة السلع المختلفة ، وفي مقدمتها خشب الأبنوس ، وريش النعام ، والذهب والعاج والطيوب والبخور والمر اللذان كان لهما سوق رائجة في المعابد ، وكذلك العقاقير والأصباغ والحرير والمنسوجات ، فيتلقفها تجار المعينيين ويسيرون بها وسط الصحاري المذكورة متنقلين من محطة لأخرى ، وكانوا قد أقاموا هذه المحطات وحصنوها لسلامة قوافلهم ، حتى يصلوا الى العراق أو الشام أو مصر التي كان أهلها يتهافتون على شراء هذه السلع . ثم تعود تلك القوافل محملة بمنتجات الشرق الأدنى كالحبوب والزيوت والخمور والمصنوعات المختلفة ، ثم تبعث بها في سفن المحيط الهندي الى بلاد الشرق الأقصى .

وقد أثرى المعينيون من هذه التجارة ، والنقل ثراء عظيما ، وازدهرت حضارتهم وبنوا عدة مدن في الجوف .

وعاصرت الدولة المعينية كلا من عصر الدولة الحديثة ، والعصر المتأخر في مصر ، الذي شهد التدخل الأجنبي وبخاصة من جانب الأشوريين . ومن الدلائل على وجود هذه العلاقات العثور على كتابات معينية في اقليم منف القديمة (الجيزة الآن)[1] على نقش بجدران أحد المعابد يذكر فيه اسم رجل معيني يسمى زيد إيل بن زيد من ظران كان يقوم بامداد المعابد المصرية بالمر واللبان والبخور ، ويستورد من مصر الاقمشة الكتانية[2] كما عثر على أحد النقوش المعروفة بنفش جلاسر ما يثبت ان القوافل المعينية كانت لها تجارة مع مصر ومن حسن الحظ أن هذا النقش مؤرخ بالعام الثاني والعشرين من حكم بطليموس الثاني (٢٦٤ ق.م) . وهذا الاثر إن دل على شيء ، فإنما يدل على انه بالرغم من فقد المعينيين نفوذهم السياسي في القرن السابع ق.م الا ان نفوذهم التجاري كان لايزال نشطا . ولم يقتصر على مصر فحسب ، بل امتدت آثارهم الى جزيرة ديلوس ببلاد اليونان ، والصفا شمال حوران بسوريا . كما عثر على نقوش معينية في كل من أور والوركاء بجنوب العراق .

ثانيا : الدولة السبئية :

بدأ ظهور هذه الدولة في الجنوب العربي في القرن التاسع ق.م كامارة صغيرة ضمن نفوذ الدولة المعينية ، حيث أقام السبئيون بجوار المعينيين وخالطوهم واقتبسوا نظمهم ودياناتهم وحضارتهم وجعلوا عاصمتهم صرواح . وتشتهر هذه

(١) د. السيد عبدالعزيز سالم . تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص١٢٠ وما بعدها .
(٢) د. مصطفى العبادي . تاريخ العرب قبل الاسلام ص٦٤ .

الدولة باسم الدولة القحطانية ، ثم اتخذ السبئيون من مأرب عاصمة لهم (وكانت تعرف قديما باسم سبأ نسبة الى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) وتقع مأرب الى الجنوب الشرقي من صنعاء ، وتبعد عنها بنحو ٦٠٠ ميل . وترتفع على سطح البحر بنحو ٣٩٠٠ قدم . وازدهرت هذه المدينة في عصر السبئيين ، وتألقت كمركز تجاري هام لطريق القوافل بين حضرموت في الجنوب ، والحجاز في الشمال . وكان يحيط بها الجنات والبساتين . وقد ورد ذكر هذه المدينة في القرآن الكريم باعتبارها « بلدة طيبة » وتنعكس آثار الازدهار الذي أصابته مأرب في ظل السبئيين فيما شيدوه من معابد وقصور وحصون بقيت آثارها حتى اليوم .

وقد عاش السبئيون تحت سلطان المعينيين خلال القرون (التاسع والثامن وفترة من القرن السابع) ق. م حتى بدأ الضعف والوهن يصيب المعينيين الذين انصرفوا عن البناء والاجتهاد ، الى الترف ، واستغل هذا الضعف السبئيون الذي قضوا على الدولة ، وان لم يقضوا على نفوذ معين التجاري . وأسسوا دولة كبيرة ، امتدت شرقا الى الخليج العربي ، وغربا الى البحر الأحمر . وإذا كانت معين تميزت بأنها دولة تجارية فإن سبأ زادت على ذلك اهتمامها بالزراعة حيث بنى السبئيون مجموعة السدود والقنوات المائية ، مستفيدة من الامطار الموسمية كان أشهرها سد مأرب ، الذي كان يعتبر من أعظم أعمال العمران في العصور القديمة ، أقيم عند فم وادي أذنة بين جبلي بلق لتجميع سيول جبال اليمن الشرقية ، وتتصرف مياهه لري السهول الممتدة حول مأرب . وهذه السهول التي امتدت عن يمين وشمال مأرب ورد ذكرها في القرآن الكريم (سورة سبأ) .

واستطاعت دولة سبأ أن تنمو وتزدهر لعظم ثراء شعبها لاحترافهم الزراعة وسيطرتهم على الطريق التجاري البري ، الذي يربط الجنوب بالشمال والبحار الجنوبية ، حتى أطلق عليهم اسم فينيقيي البحر الجنوبي . وقد عني ملوك هذه

الدولة بمحطاتهم التجارية القائمة على طرق قوافلهم ، وكانوا يمدونها بالحاميات العسكرية لبقاء هذه المحطات تحت نفوذهم . ومما يدل على عظمة سبأ إقامتهم مستعمرة يمنية على الشاطىء الافريقي بشمال الحبشة[1] عام ٥٠٠ ق.م ويؤكد ذلك كتاب (الملاحة حول سواحل البحر الارتيري) حيث لاحظ مدى انتشار العرب اليمنيين على الساحل الأثيوبي ، وذكر ان تلك المناطق من ساحل افريقيا الشرقي كانت تسمى بأرض أوسان نسبة الى قبيلة أوسان اليمنية ، حيث كان لأهلها نشاط تجاري كبير . وانتظمت طرق الملاحة بين اليمن وافريقيا ناقلة السلع المختلفة ، مثل : العاج والابنوس الى جانب التوابل والبخور .

ونشطت حركة التجارة بين سبأ ومصر في القرن السادس ق.م حيث كانت مصر تحت حكم نخاو الثاني ، الذي ساعد على تنشيط التجارة باعادة حفر القناة التي تربط بين البحر الأحمر والنيل .

وفي القرن الرابع ق.م ومنذ حملات الاسكندر الأكبر ، وفتوحاته في الشرق دخلت اقاليم الشرق الأوسط ضمن اطار النفوذ والمعرفة اليونانية ، وبقيام الممالك المقدونية في الشام ومصر بدأت كل منها تمد نشاطها نحو الشرق والجنوب في اتجاه الجزيرة العربية وشرق افريقيا والهند[2] واخذت السفن اليونانية تسير في البحر الأحمر ذهابا وايابا جالبة ما كانت تلك المناطق الجنوبية تنتجه من البخور والطيب والتوابل والعقاقير ، التي كانت تتحكم فيها قبائل وممالك الجنوب العربي في ذلك الوقت وبقيام الدولة البطلمية في مصر تزعمت الاسكندرية حركة التجارة الشرقية حيث أخذت تمد نشاطها نحو الجنوب . وأخذت سفنها تجوب البحر الأحمر وتنتقل بين موانىء الجنوب العربي وشرق افريقيا من جهة والموانىء المصرية على البحر الأحمر ومنها الى الاسكندرية من جهة ثانية .

---

(١) قدري قلعجي . الخليج العربي ص٣٤٨ .

(٢) مصطفى العبادي . محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام ص٤٠ ، ١٢٧ .

ومنـذ القرن الثاني ق.م بدأت كمية التجارة الشرقية تزداد نشاطا وأهمية بسبب ازدياد الحـركـة التجـارية في البحـر المتـوسط ، نتيجة لنمو سلطان روما وسيطرتها تدريجيا على سواحله . كما زاد رأس المال الذي استثمره تجار الاسكندرية في التجارة الشرقية . وهكذا نشأت منافسة حادة بين تجارة الاسكندرية التي كانت تعتمد على النقل البحري (في البحر الأحمر) وبين تجارة الجنوب العربي التي كانت تعتمد على طرق القوافل عبر الجزيرة العربية . وكان تجار الاسكندرية مضطرين الى الاعتماد على تجار الجنوب العربي كوسطاء للسلع الواردة من الهند طالما كانت الرحلة الى الهند تحت سيطرة تجار الجنوب الذين شعروا بضرورة التعاون فيما بينهم ضد هذا الخطر الجديد .

وازدادت المنـافسـة خطورة وقـوة خلال القـرن الأول ق.م حين حاول ملاحـو الاسكندرية الوصول الى الهند مباشرة دون الاعتماد على وساطة تجار الجنوب العربي مما كان يضطرهم الى الابحار مسافات طويلة حول جنوب الجزيرة العربية ، فقد نجحوا في الوصول الى سواحل الهند باكتشاف الرياح الموسمية ، واستخدامها في الملاحة المباشرة بين البحر الأحمر ، وسواحل شرق افريقيا الى الهند . وينسب هذا الكشف الى ملاح اسكندري يسمى هيبالوس . ومن ابرز نتائج هذا الكشف أن أصبحت الرحلة ممكنة مباشرة بين مصر والهند وتم اختصارها من سنتين الى سنة واحدة . والسرعة في النقل تعني للتاجر زيادة في الربح . ولم يكن غريبا على ان يقبل تجار الاسكندرية على استثمار أموالهم في التجارة الشرقية ، وازداد عدد السفن التي تعمل في تلك التجارة أضعاف ما كانت عليه من قبل . وقد ساعد على ازدياد هذا النشـاط التجـاري ما كتبـه الـرحـالون والتجار اليونانيون الذين عاشوا في الاسكندرية (في العصر البطلمي) ومنهم أجاثا رخيدس أحد التجار الذين عاشوا في القرن الثاني ق.م بالاسكندرية ، حيث كتب وصفا لسواحل البحر الأحمر بما

فيها اليمن . واعتبرت كتاباته كنوع من الأدلة السياحية التي استعان بها الملاحون والتجار الذين يسافرون الى تلك البلاد فهو يصف السواحل والاراضي التي تمر بها الرحلة ، ونوع الموانىء والشعوب التي تسكنها ، والمسافات بين الموانىء المختلفة ، والمحاصيل التي تنتجها كل منطقة . ويصف بلاد اليمن ، وما يتمتع به أهلها وملوكها من ترف ورخاء ويتحدث عما تنتجه من بخور وطيوب(١) .

وكان نتيجة للمنافسة التجارية البطلمية للتجارة اليمنية ان بدأت سلطة الدولة السبئية تضعف على أقاليمها مما دفعها الى التمرد والاستقلال مثل قتبان في القرن الثالث ق.م. حيث أصبح في مقدورها فرض الجمارك على التجارة التي تصل من ظفار الى (ثمنا) عاصمة (قتبان) الا ان السبب الرئيسي في انهيار سبأ يعود الى التطاحن القبلي ، الذي أدى الى موجات متوالية من هجرات القبائل العربية من أرض سبأ قبل تصدع سد مأرب في القرن الثاني ق.م وفقدت البلاد ما كانت تجنيه من مكاسب فتفرق أهلها في الأرض حتى قيل « ذهبوا أيدي سبأ » أي : تفرقوا (٢) .

ثالثا : الدولة الحميرية :

كان الحميريون فرعا تابعا للسبئيين ، حيث كانوا خاضعين للدولة السبئية . وعندما بدأت في الانهيار ، استطاع الحميريون تأسيس دولتهم في القرن الثاني ق.م وكان ملوكهم يدعون ملوك سبأ وريدان . ولما فتحوا حضرموت ، أضافوا كلمة حضرموت ، ونقلوا عاصمتهم الى صنعاء .

والدولة الحميرية دولة عسكرية ، بالاضافة الى ما ورثته عن سابقتيها (معين

(١) مصطفى العبادي . محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام ص١٢٧ .
(٢) ياقوت الحموي . (معجم البلدان) مجلد ٣ ص١٨٠ .

وسبأ) بالنسبة للتجارة والزراعة . كما استطاعت هذه الدولة ان تمد نفوذها على كل الجنوب العربي ، بدءا من سواحل البحر الأحمر غربا الى سواحل الخليج العربي شرقا . كما تشرف أملاكها جنوبا على سواحل البحر العربي ، والمحيط الهندي .

وقد اهتم ملوك الحميريين بالملاحة البحرية فأكثروا من السفن التي تحمل بضائع الشرق التي كانوا يحتكرون تجارتها بالاضافة الى عنايتهم بالقوافل البرية ، وحماية المحطات التجارية على طول الطريق التجاري من الجنوب الى شمال بلاد العرب . كما بنى الحميريون المدن التي تميزت بقصورها الشاهقة متعددة الطوابق والحصون ، لحماية هذه المدن . وكان من أشهر قصورهم قصر غمدان الذي كان بصنعاء كما أجادوا استثمار جبال اليمن فحولوا منحدراتها الى حقول متدرجة لايزال أعقابهم سكان اليمن الحاضرون يقلدونها وعنوا بترميم السدود كلما تصدعت ، وحفروا المناجم ، واستخرجوا المعادن وصنعوا الطيوب وتاجروا بها [1] .

ومنذ قيام هذه الدولة في القرن الثاني ق.م (١١٥ ق.م) على اثر انهيار مملكة سبأ ، وهي تسعى الى توطيد نفوذها بالجنوب العربي بقوة السلاح ، وتسعى للقضاء على نشاط البطالمة البحري ، الذي أصبحت سفنه تهدد التجارة اليمنية ، مما أدى الى مهاجمة السفن البلطمية في مياه البحرين الأحمر والعربي .

وفي القرن الأول ق.م خضعت مصر للرومان ، كما خضعت من قبل سوريا . وكانت تجارة الاسكندرية قد ازدهرت بسبب نجاح رحلات سفنها عبر البحر الأحمر ، والمحيط الهندي . وأشار الى هذه المكاسب استرابون في نهاية القرن الأول ق.م (وهو عالم وجغرافي يوناني قدم لنا أشمل كتاب في جغرافية العالم القديم) وقد شارك في الحملة التي نفذها الامبراطور الروماني أوغسطس بقيادة والي

(١) احمد وصفي زكريا . رحلتي الى اليمن ص٤٦ .

مصر الروماني ايليوس جالوس ٢٤ ق.م ضد الحميريين بسبب المنافسة التجارية في البحر الأحمر .

وقد سجل استرابون وصفا لهذه الحملة بدءا من خروجها من مصر من ميناء كليوباترس (السويس حاليا) الى ميناء الحوراء على ساحل الجزيرة العربية ، ومنها سارت برا جنوبا ، حتى وصلت الى مأرب . وقابلت الحملة كثيرا من الأهوال والعقبات ، وفشلت في الاستيلاء على مأرب ، وعادت بطريق مختلف بالبر الى الحجر ، ومنه الى ساحل البحر ، وعبروا الى القصير على الشاطىء المصري . ومنها الى قفط على النيل ، ثم الاسكندرية .

وبعد فشل حملة ايليوس جالوس على اليمن ، ومن أجل السيطرة على الطريق التجاري البحري ، فإن الرومان سعوا الى اقامة علاقات ودية مع حكومة الحبشة ، التي كانت تسعى لاضعاف اليمنيين ، وظلت العلاقات التجارية حتى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي نشطة مع مصر .

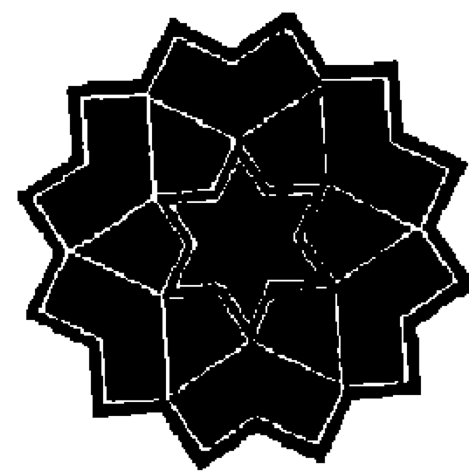
وخلال القرن الثالث الميلادي استطاعت مملكة أكسوم القديمة غزو اليمن ، ويؤكد ذلك وجود كتابات في أكسوم لقب فيها ملكهم (بملك اكسوم وحمير وذريدان والحبشة وسبأ وتهامة والبجاء وكسو)[1] وكان للدافع الاقتصادي العامل الرئيسي في هذا الغزو الحبشي ، الا أن اليمنيين استطاعوا خلال القرن الرابع الميلادي استرداد استقلالهم وطرد الاحباش من بلادهم فيما بين (٣٧٠-٣٧٨م) .

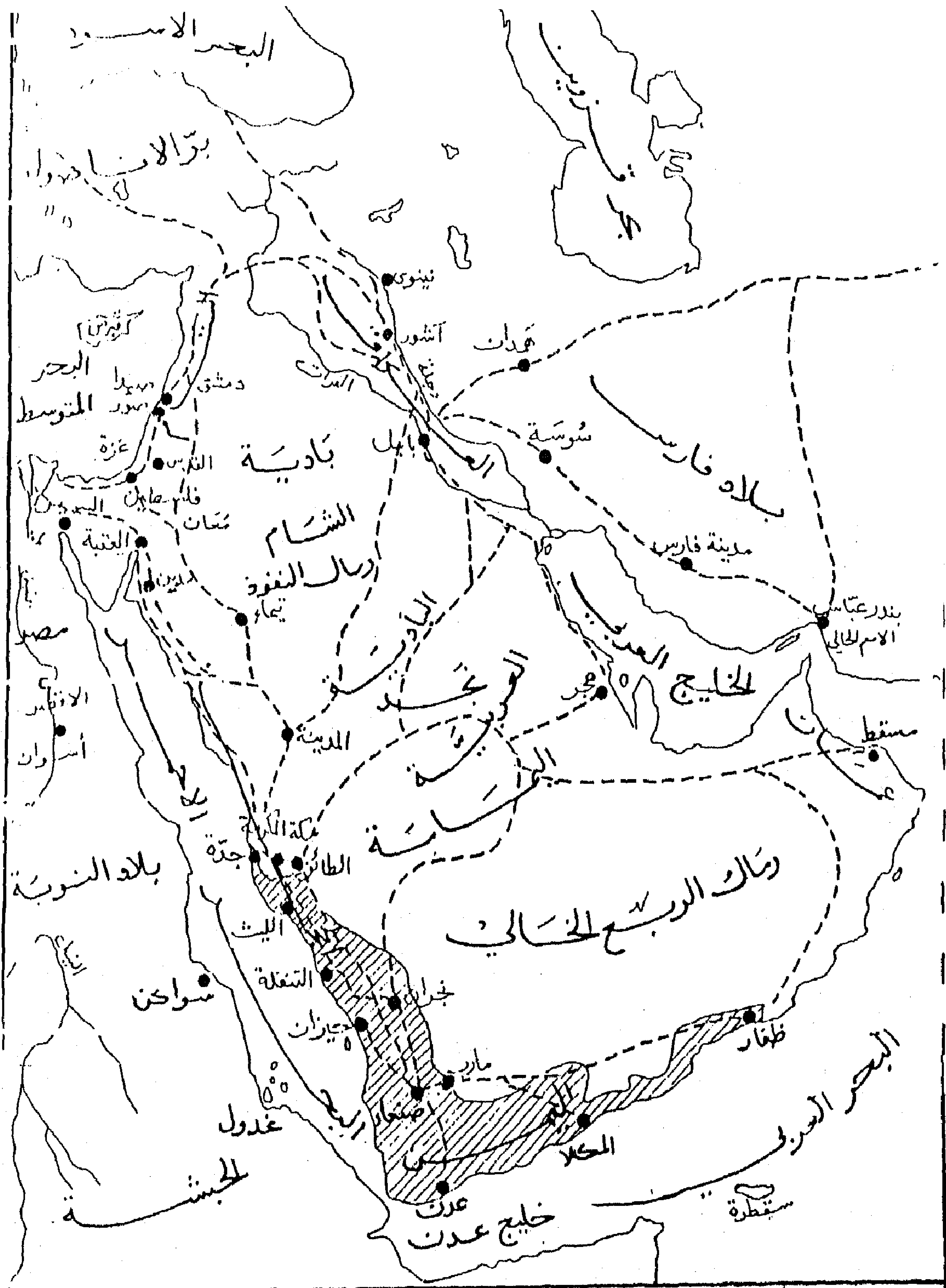
وفي القرن السادس الميلادي زادت حدة الاختلاف بين مملكة حمير ومملكة الأحباش وخاصة ان ملوك حمير اعتنقوا اليهودية ، بينما اعتنق ملوك الحبشة

---

(١) جواد علي جـ٣ ص ١٤٨ .

المسيحية ، مما أدى الى اتهـام ملك حمير يوسف ذي نواس لسكان احد أقاليمه (نجران) بأنهم يتآمرون على بلدهم ،، ويتحالفون ويساعدون التجار الأحباش ، والرومان على بلادهم وخيرهم بين اعتناق اليهودية ، أو قتلهم ، فلما رفضوا حفر لهم الاخدود وقتلهم ، مما اثار حفيظة الامبراطور الروماني الذي كلف ملك الحبشة المسيحي بارسال جيش للثأر لمقتل مسيحيي نجران سنة ٥٢٥م ومنذ ذلك الوقت فقدت اليمن استقلالها تحت حكم الاحباش حتى ٥٧٠م بعد فشل حملتهم على مكة بالحجاز ، مما شجع أحد امراء حمير للثورة والسعي لاسترداد استقلال بلاده ، ولجأ الى كسرى الفرس ، الذي كان (على عداء مع الدولة الرومانية) فأمده بقوات ، وساعده على طرد الاحباش حلفاء الروم ، وانتزاع استقلال اليمن ، الا أن الفرس انتهزوا هذه الفرصة ، وفرضوا حمايتهم ونفوذهم ، وحكمهم المباشر على اليمن حتى أوائل القرن السابع الميلادي ، حيث اعتنق آخر حكامهم الاسلام .




البحر الاسود
بر الاناضول
نينوى
آشور
همدان
بابل
سوسة
بلاد فارس
مدينة فارس
بندر عباس
الخليج العربي
هجر
مسقط
بادية الشام
رمال النفود
تيماء
المدينة
نجد
مكة المكرمة
جدة
الطائف
الليث
القنفذة
نجران
جيزان
مأرب
صنعاء
عدن
خليج عدن
المكلا
ظفار
سقطرة
رمال الربع الخالي
البحر العربي
البحر المتوسط
دمشق
صيدا
صور
غزة
القدس
العقبة
مصر
أسوان
بلاد النوبة
سواكن
الحبشة
كثافة نسبية في السكان
شبه الجزيرة العربية ومسالك التجارة القديمة
طرق القوافل
٢٠٠
٤٠٠
٦٠٠
٨٠٠
١٠٠٠ كم

خريطة زمنية

مصر
- عصر الدولة الحديثة (١٢٠٠ ق م)
- ١٠٨٥ ق م
- العصر المتأخر & الفرس & الآشوريين
- الغزو المقدومي ٣٣٢ ق م
- الدولة البطلمية
- ٣٠ ق م
- الحكم الروماني

الشام
- (**) | (*) | الآراميون
- ٧٣٢ ق م | ٧٢٢
- بابليين
- ٥٨٦ ق م
- الغزو المقدومي
- الدولة السلوقية
- ٦٤ ق م
- في سوريا
- ١٠٥ م
- الحكم الروماني
- ٢٧١ م
- الغساسنة

العراق
- الآشوريين
- ٦١٢ ق م
- الكلدانيون
- ٥٣٩ ق م
- الفرس
- الغزو المقدومي ٣٣٣ ق م
- السلوقيين
- ١٣٥ ق م
- الدولة الفارسية البارثية
- ٢٢٦م
- الدولة الفارسية الساسانية
- المناذرة تحت الحكم الفارسي

اليمن
- معين
- ٩٠٠ ق م معين
- نشأة سبا
- ٦٥٠ ق م
- سبا
- ١١٥ ق م
- حمير

بدء التاريخ الميلادي

المحور الزمني: ١٢٠٠ ق م – ١١٠٠ ق م – ١٠٠٠ ق م – ٩٠٠ ق م – ٨٠٠ ق م – ٧٠٠ ق م – ٦٠٠ ق م – ٥٠٠ ق م – ٤٠٠ ق م – ٣٠٠ ق م – ٢٠٠ ق م – ١٠٠ ق م – ٠ – ١٠٠ – ٢٠٠ – ٣٠٠ – ٤٠٠ – ٥٠٠ – ٦٠٠

(*) الكنعانيون ـ الفلسطينيون

(**) [illegible]

إعداد / علي بن محسن آل حفيظ / سلطنة عمان

المنـاقشـــــات

الاستاذ الدكتور/ عبدالرحمن اسماعيل الصالحي

في الواقع لا أحب أن اطيل كثيرا في تقدير هذه الورقة الجيدة والمتعمقة ، ولا اخفي على أحد بأنني طربت للباحث وهو يلقي ورقة بحثه ، وكأنه يعزف على قيثارة التاريخ ، وان جهد الباحث واضح في محاولته الجمع بين القديم والحديث ، مما يدعو للتساؤل ، (لماذا لا نسخر التاريخ للانطلاق به في المستقبل ، ونسخر المرتكزات لاستشراقات المستقبل ؟) .

الدكتور/ الحسيسي

البحث متعمق شامل ، والنقطة الاساسية التي طرحها وحاول أن يعالجها هي عروبة الحضارة الفرعونية ، هذا جيد . . .

أما التعليق فانما ينصب فقط على نقطة ذكرها الباحث حين تعرض للحديث عن غزو الفرس لمصر عام (٢٥٠٠ ق . م) مشيرا الى أنه لم يبق شيء من آثار هذا الغزو ، وما أود أن اذكره تعقيبا على هذه النقطة أن تأثير الفارسية موجود في اللغة العربية حيث انتشرت كلمات فارسية ، عربت فيما بعد .

حمد بن الناصري

يتساءل عن أهمية اللبان في العلاقات بين الدول ، كما يتساءل فيما إذا كانت (بونت) هي أرض ظفار أم غيرها ؟ .

د. عــايــد

اسمحوا لي أن أشير إلى أن (بونت) في الصومالية القديمة تعني (البقرة الحلوب) التي تدر الحليب .

وأرجو أن تسمحوا لي أيضا بالتعليق على ما جاء في ورقة بحث الاستاذ علي بن محسن آل حفيظ بأن أصل الحضارة الفرعونية هي الحضارة السامية ، وأرجو أن أتناول ما قيل بشكل أوسع فأقول (أصل الحضارة الفرعونية والعربية هي الحضارة السامية) وذلك نسبة الى سام بن نوح (التي استقرت في شبه الجزيرة العربية) والحضارة القائمة في مصر تنتمي إلى سام ، وحام و (مصراي) الذي استقر في مصر ، وسميت مصر على اسمه .

الاستاذ عبدالتواب يوسف

اضم صوتي الى من سبقني حيث لا يسعني الا أن أعرب عن ارتياحي لدى سماعي ورقة بحث الاستاذ علي بن محسن آل حفيظ ، والذي نقلنا معه في رحلة موغلة في عمق التاريخ المصري القديم ، كما سعدت كثيرا بهذه الخريطة التاريخية التي رسمها الباحث في نهاية بحثه ، فقد ذكرتني تلك الخريطة بالاستاذين حسين مؤنس وحسين نشار حيث دارت كتاباتهما حول الحكام المسلمين منذ عصر الاسلام ، ونحن في حاجة لمثل هذه الخرائط التاريخية ، وأملي كبير أن تعلق مثل هذه الخرائط على جدران المؤسسات الثقافية لتذكرنا بالروابط التاريخية التي تجمع أواصر الأمة الواحدة عبر التاريخ .

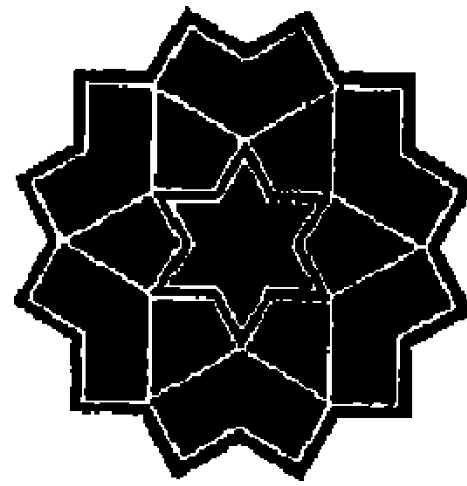
علي بن محسن آل حفيظ

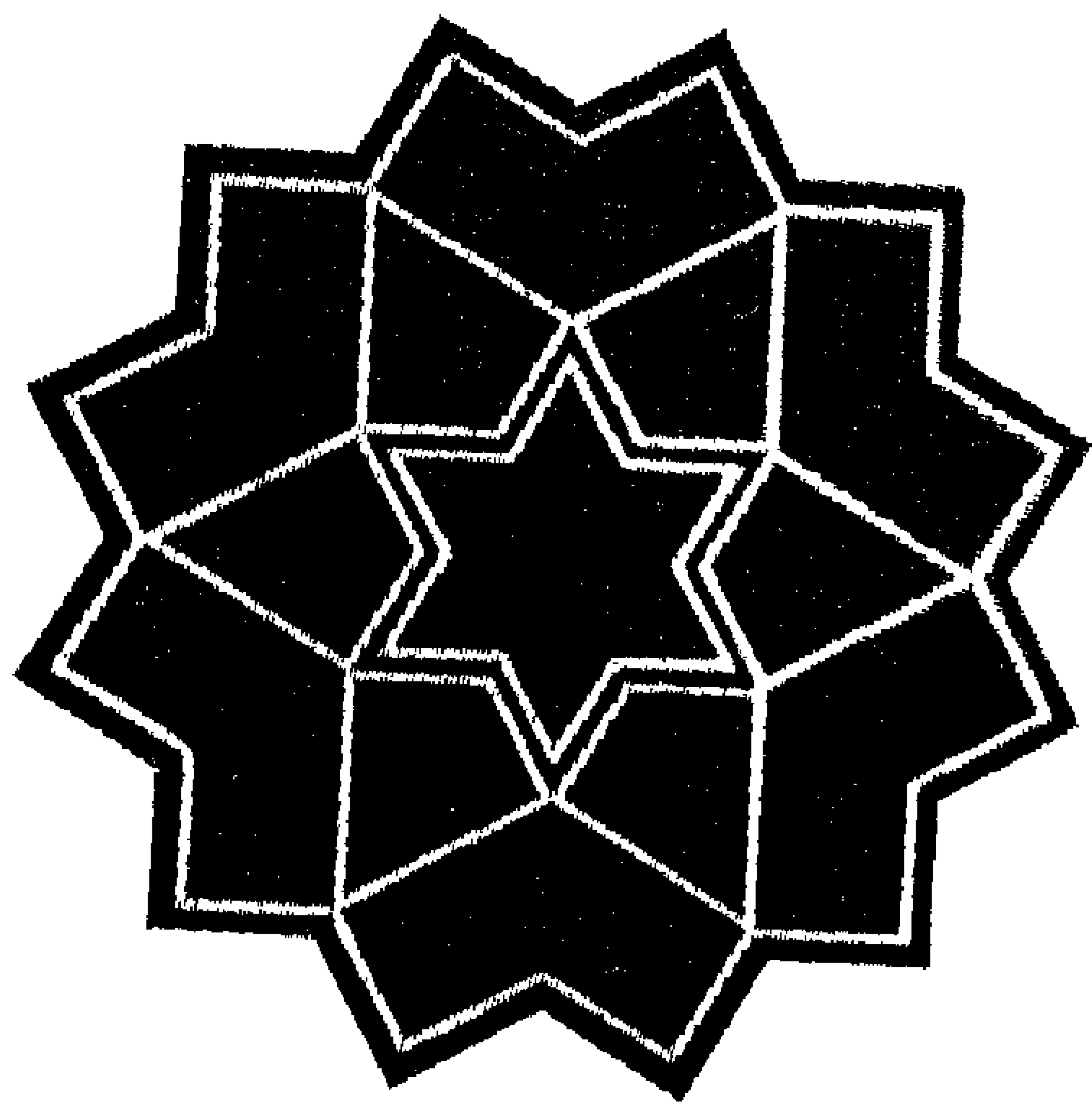
مدير دائرة تطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم والشباب

معقبا على دور اللبان في العلاقات بين الأمم ، مشيدا بالأهمية الاقتصادية للبان ذاهبا إلى القول بأنه صلب الاقتصاد بالنسبة للدول التي كانت تصدره ، وان هذا اللبان قام بدور كبير في العالم القديم سواء في الجانب الديني أو التجاري .

أما بالنسبة لما أثير حول بلاد (بونت) فانه كما قال الدكتور عايد بأن معنى (بونت) في الصومالية القديمة (البقرة الحلوب) ، وهناك آراء مختلفة حول الموقع وعلى ما أعلم فإن الصوماليين أصدروا نشرات بهذا الصدد وأطلقوا (بونت) على بعض المواقع ، وعلى أية حال فأنا لا أختلف مع الدكتور عايد حول هذا الموضوع .

أما فيما يتعلق بأن الحضارة المصرية والعربية حضارة سامية ، فقد وقعت على بحثين أحدهما للدكتور جمال الدين عبدالهادي ، والآخر للدكتوره وفا محمد رفعت ، ولهما سلسلة أبحاث عن تاريخ الجزيرة العربية تحت عنوان (تاريخ الجزيرة العربية ، اخطاء يجب أن تصحح) ومثل هذا الاتجاه ارتاح اليه ، وقد ورد عن ابن كثير أن سيدنا (سام) هاجر واستقر ببلاد الشحر ، وان هذه التسمية لا تزال تعرف الى عهدنا ، وذكرت ان كلمة (ساميين) نسبة إلى(سام) ، ونحن نعتقد أن (سام) مرادف كلمة (العرب) ، فاذا قلت (سامي) تعني (عربي) ، وهذا اتجاه قائم ، هو أن الساميين هم العرب ، وان الفراعنة هم عرب وهم ساميون ، وهناك العديد من المصادر التي تؤكد على هذه المقولة ، ذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر (تاريخ الجنس العربي ، المفصل في تاريخ العرب ، ديورانت) وغيرهم ، فالحضارات الموجودة فيما يسمى حاليا بالشرق الأوسط هي حضارات عربية ، وهذه الأمة عريقة وقديمة .





(٢)

الأزد والمهرة في مصر
ودورهم السياسي والثقافي حتى نهاية الدولة الفاطمية

للدكتور/ رجب محمد عبدالحليم

معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

قبل أن نتحدث عن الأزد والمهرة في مصر وعن دورهم السياسي والثقافي فيها ، لابد أولا أن نمهد لهذا الموضوع بحديث عن الأزد والمهرة قبل أن يصلوا إلى مصر ، أين كانوا يستقرون أولا ، وماذا عن تفرق الأزد في البلدان ، وهل انقسموا إلى أقسام ثلاثة كما قال بعض المؤرخين ، هم أزد شنوءة وأزد السراة وأزد عمان ، وما مدى قوة هذه المجموعات الثلاث ، وبمعنى آخر ما هو وزنها القبلي والسياسي قبيل ظهور الاسلام ؟

من الضروري أن نعرف ذلك كله حتى نستطيع أن نضع يدنا على من اشترك من هؤلاء الأزد في فتح مصر وفي الهجرة اليها بعد الفتح ، ونستطيع أن نميزهم عن غيرهم من مجموعات الأزد الأخرى المتناثرة في البلدان ، ونرى هل كان هؤلاء الأزد الفاتحون والمهاجرون إلى مصر من أزد عمان أم هم من غيرهم من مجموعات الأزد الأخرى ؟

الأزد والمهرة قبل دخولهم مصر :

المعـروف والمشهور أن الأزد[1] كانوا يقيمون في مأرب وفي غيرها من بلاد اليمن منـذ آمـاد طويلة ، وكـان منهم الملوك والحكـام ، وكانوا يعدلون تميما في الجـاهلية . فتميم كانت على رأس أعظم ثلاث قبائل في عدنان ، هي تميم ، وعامر بن صعصعة ، وبكر بن وائل . والأزد كانت على رأس أعظم ثلاث قبائل في قحـطان ، هي الأزد وحمـير ومـذحج . ذلك أنها كانت أقدم العرب ميلادا وأوسعها بلادا[2] .

وما لبث هؤلاء الأزد أن تفرقوا في البلدان قبيل انهيار سد مأرب وبعد هذا الانهيار[3] ، وغادروا بلادهم في اليمن واتجهوا نحو الشمال تجاه بلاد الحجاز التي تعرف عند الجغرافيين باسم جبال السراة . وقد قسمهم بعض المؤرخين القدامى

---

(١) الأزد : يقال لهم الأزد (بفتح الألف وتسكين الزاي) ، والأسد (بفتح الألف وتسكين السين) . والأزد نسبة الى الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، والأزد اسمه دراء ، وكان دراء رجلا كثير المعروف والاحسان حتى ان الرجل كان إذا لقي رجلا آخر قال له : « أسدى إليّ دراء يدا » أو « أزدى اليّ يدا » ، (ازدى) بابدال السين زايا ، ولما كثر استعمال هذا القول سمي به دراء ، فقالوا : الأسد والأزد ، والأزد أشهر ، وان كان الأسد أفصح .

انظر : السمعاني : الأنساب ، دار الجنان ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ ، جـ١ ص١٣٨ ، ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ٣ ص٧١ .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٣ ، ص٤٨٨ ، ٤٨٩ ، المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٦ ، جـ٢ ص٣٥٧-٣٥٨ .

(٣) القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ ، ص٩١-٩٢ .

وقد تفرق الأزد قبيل انهيار سد مأرب بأن خرج منهم زعيمهم عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن مازن بن الأزد ، وخرج معه عظماء قومه من بلادهم في مأرب باليمن عندما دلت الدلائل على قرب انهيار السد ، واحتال عمرو في ذلك بأن طلب من ابنه أن يلطمه أمام الناس ، واتخذ من ذلك ذريعة لبيع ضياعه وأراضيه ، ولما تم له ذلك وجمع أمواله أخبر قومه بقرب انهيار السد ، فخرج وخرجوا معه من بلاد اليمن متجهين ناحية الشمال حيث بلاد عك ونجران وجبال عسير وتهامة .

انظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ١ ص٢٠٣ ، المسعودي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٠٢ ، ٢٠٣ ، العوتبي : الأنساب ، وزارة التراث ، مسقط ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٤ ، جـ٢ تحقيق محمد علي الصليبي ص١٨٢-١٨٩ . وقد سمي عمرو مزيقياء بهذا الاسم لأنه كان يلبس كل يوم حلة جديدة ، فإذا انتهى اليوم خلعها ومزقها كراهة أن يلبسها أحد غيره . كما سمي أبوه عامر ماء السماء بهذا الاسم لأنه عال العرب عندما أصابهم القحط وأجدبت أرضهم سبع سنين ، فأغاثهم كما يغيث المطر أو ماء السماء الناس ، فسمي ماء السماء . انظر ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٥٠ .

مثل ابن منظور والقلقشندي ومن تابعهما من المؤرخين المحدثين إلى ثلاث مجموعات كبرى ، تسمى الأولى أزد شنوءة ، والثانية أزد السراة ، والثالثة أزد عمان[٤] .

والحقيقة أن المجموعات الثلاث ما هي إلا مجموعة واحدة هاجر كثير منها ان لم يكن معظمها إلى بلاد عمان وبقيت منها بقية في بلاد الحجاز والشام . وجبال عسير في شمال بلاد اليمن .

وهذه المجموعة الواحدة قبل أن يخرج منها أزد عمان كانت تسمى بأزد السراة ، وتسمى أيضا باسم أزد شنوءة . فأزد شنوءة هم أنفسهم أزد السراة ، ويمكن تفسير ذلك بعدة أمور :

الأمر الأول ، هو أن النسبة إلى شنوءة لا تدل على مكان معين ، مثلما هو الحال بالنسبة لأزد عمان وأزد السراة [٥] . فالأزد هنا مضافون إلى عمان وإلى السراة ، وهي بلاد معروفة .

والأمر الثاني ، هو أن اسم أزد شنوءة اسم لا ينضوي تحته قبائل معروفة مثلما هو الحال بالنسبة لأزد عمان أو أزد السراة[٦] . فهو اسم على غير مسمى .

والأمر الثالث ، هو أنهم أقاموا في نفس المكان الذي أقام فيه أزد السراة ، وذلك في جبال السراة ، فلم يكونوا منفصلين عن قومهم حتى يختصوا باسم دون غيرهم[٧] .

والأمر الرابع ، هو أنه لا يعرف لأزد شنوءة تاريخ في الجاهلية ، ولذلك ظل المصطلح الشائع « شنوءة » غامضا . وربما جاء هذا الاسم صيحة حرب في

---

(٤) القلقشندي : نفس المصدر ، ص٩١ - ٩٢ ، مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ، وزارة التراث ، مسقط ، سنة ١٩٨٣ ، ص ١٩ .

(٥) السراة : هو الجبل المشرف على عرفة ويمتد إلى صنعاء . انظر : المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، مكتبة العارف ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ١ هامش (٢) ص١٠١ . أو هي الجبال الحاجزة بين تهامة ونجد ولذلك سميت باسم بلاد الحجاز . انظر : ابن حزم : نفس المصدر ، هامش (٢) ص ٥١١ .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، جـ٣ ص١٧٠ .

(٧) اليعقوبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص ٢٠٤ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٩٩ ، ٢٦٥ .

قصيدة للشاعر حاجز بن عوف ، فصار علما على أزد السراة . ولكننا لا نعرف على من أطلقـه من الأزد ، ولـذلك لم يعد أمامنا سبيل إلى التحقق من أي القبائل بالذات كانت تنتسب إلى شنوءة[٨] .

والأمر الخامس ، هو أن المؤرخين القدامى الذين عاشوا قبل ابن منظور والقلقشندي صاحبي تقسيم الأزد إلى ثلاث مجموعات بحوالي خمسة قرون ، لم يقسموهم إلى هذه المجموعات ، وإنما أشار بعضهم إلى أزد السراة ، ولم يشيروا أبدا إلى أزد شنوءة مطلقا مثل المسعودي ، وأشار البعض الآخر إلى أزد شنوءة ولم يشيروا إلى أزد السراة مثل اليعقوبي في تاريخه . مما يدل على أن الاسمين كانا لجماعة واحدة كانت تعرف تارة باسم أزد شنوءة ، وتارة أخرى باسم أزد السراة ، وإذا ذكر أي منهما فهو يجزيء عن الاسم الآخر ويغني عنه ، أي أنهما كوجهي عملة واحدة ، وهذا ما حاول مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية أن يقتربوا منه حيث قالوا « ويظهر أن أزد شنوءة هم في الحقيقة أزد السراة »[٩] .

ومما يؤيد ذلك أيضا ويؤكده ، تلك الاشارات السريعة والغامضة إلى أزد شنوءة التي جاءت عند النسابة العماني سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري في كتابه الأنساب ، الذي ركز فيه على الأزد عامة وعلى أزد عمان خاصة . ذلك أنه لم يزد على أن فسر هذا اللفظ بأنه يعني الشنآن ، أي البغض ، ولم يحدثنا عن طرفي هذا البغض ، أي البـاغضـين المبغوضين ، واكتفى بأن قال ان منهم بني عثمان بن نصر بن زهران .[١٠] وبنو عثمان هؤلاء تفرع منهم قبائل الحدان والمعاول الذين هاجروا إلى عمان من السراة .[١١]

(٨) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ٣ ص١٧٠ .
(٩) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .
(١٠) العوتبي : نفس المرجع ، جـ٢ ص ١٥٩ .
(١١) المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٤٢ - ٢٤٣ .

وعند حديثه عن هجرة بني عثمان هؤلاء وغيرهم من كافة الأزد سواء إلى عمان أو إلى غيرها ، لم يرد على لسانه ذكر لأزد شنوءة مطلقا ، إذ نراه يتحدث عن قبائل الأزد وفرقهم التي افترقوا اليها عند هجرتهم من السراة إلى البلاد التي انطلقوا اليها ، فقال انهم افترقوا فرقا ثلاثا هي أزد عمان وأزد السراة وأزد غسان التي انخزعت منها خزاعة وسكنت مكة ، وظعنت منها الأوس والخزرج فسكنت يثرب[12] ، مما يدل على أن الأزد الذين كانوا يحملون اسم أزد شنوءة هم بعض من أزد السراة ، وهو الاسم الذي كان يجمع جميع الأزد.بعد هجرتهم إلى السراة وقبل تفرقهم منها إلى البلدان .

واذا كانت هذه هي الحقيقة فلماذا تسمى أزد شنوءة بهذا الاسم ؟ وبعبارة أخرى من أين جاء هذا الاسم ؟ ويمكن تفسير ذلك بأحد سببين اثنين :

الأول هو أن شنوءة لقب غلب على نصر بن الأزد الذي تنتمي اليه أزد شنوءة[13] . وقد جاء هذا اللقب نتيجة لحادثين : الحادث الأول هو أن بني نصر بن الأزد وهم قبائل كثيرة منها دوس وغامد وزهران وأحجن وراسب وغيرهم لم ينصروا قومهم من أولاد مازن بن الأزد ، وهم خزاعة والأوس والخزرج في حروبهم ضد جرهم في مكة ، وضد اليهود في يثرب ، فشنأهم قومهم أي أبغضوهم ، ومن ثم جاء هذا الاسم : أزد شنوءة[14] .

---

(١٢) المصدر السابق ، جـ٢ ص١٩٢ - ١٩٤ ، ١٩٩ - ٢٠٦ . .

(١٣) القلقشندي : نفس المصدر ، ص ٩١ .

(١٤) ياقوت : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٩٧٩ ، جـ٥ ص٣٦ ، ٣٧ .
وكان بعض ذرية مازن بن الأزد قد انفصلوا عن قومهم وعطفوا نحو الحجاز وتمكن بعضهم وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء من التغلب على يهود يثرب وملكوها منهم ، وقد سمي الأوس والخزرج بهذا الاسم تشبها بطائرين من سباع الطير كانا يمتازان بالشدة والبأس وكانا يحملان نفس الاسم . كما انخزع حارثة بن عمرو مزيقياء عن قومه أي فارقهم واتجه إلى مكة حيث قاتل جرهما الذين كانوا يسودونها وأخرجهم منها . ولما كان حارثة ومن معه قد انخزعوا عن قومهم وفارقوهم على هذا النحو إلى مكة ، فقد سموا باسم خزاعة .
انظر ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ص٣٦ ، العوتبي : المصدر ، جـ٢ ص٦١ ، ١٦٤ .

أما الحدث الثاني ، فهو أن أزد شنوءة قد شنأوا هم قومهم ، لأن قومهم من الأزد تخلوا عنهم بعد ذلك عندما وقعت الحرب بينهم وبين النزاريين من عرب الشمال والذين زاحمهم الأزد في أوطانهم ، فحاربوهم وأخرجوهم فلحقوا بالسراة ، وتسموا باسم أزد شنوءة لأنهم شنأوا قومهم ومن بني مازن الذين ينتمي إليهم الأوس والخزرج في يثرب ، وخزاعة في مكة ، وأقام أزد شنوءة هؤلاء في ظاهر جبل السراة فأصبحوا يعرفون باسم أزد السراة .

يؤيد ذلك ما ذكره المسعودي بتفصيل حيث قال بأنه كان « للقوم أخبار في تفرقهم ، ومن دخل منهم في معد بن عدنان ، وما كان بينهم من الحروب إلى أن ظفرت بهم بنو معد ، فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة - والسراة جبل الأزد الذي هم به يقال له السراة ، ويقال له : الحجاز ، وانما سمي السراة من هذا الجبل ظهره ، فيقال لظهره السراة ، كما يقال لظهر الدابة السراة . فأقاموا به وكانوا في سهله وجبله وما قاربه وهو جبل على تخوم الشام ، وفرز بينه وبين الحجاز مما يلي أعمال دمشق والأردن وبلاد فلسطين ويلاقي جبل موسى »[١٥] .

وجبل الحجاز أو جبل السراة هو في الواقع سلسلة من الجبال تمتد من اليمن حتى أطراف بادية الشام ، وسمته العرب حجازا لأنه حجز بين السهل الساحلي الذي يطل على البحر الأحمر ويسمى تهامة ، وبين ما يقع شرقي هذا الجبل إلى أطراف العراق والسماوة ويسمى نجدا [١٦] .

وفي ظاهر هذا الجبل الذي يطل على تهامة وفي تهامة نفسها أقام أزد السراة الذين يسمون أيضا باسم أزد شنوءة . يؤيد ذلك مما قاله اليعقوبي في تاريخه بإيجاز

---

(١٥) المسعودي : نفس المصدر ، جـ٢ ص ٢٠٥ .

(١٦) أبو اسحاق الحربي : مناسك الحج ، تحقيق حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨١ ، ص٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ص٢٠٥ ، جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٤٠ .

من أن الأزد عندما خرجوا من اليمن وصلوا إلى بلاد عك ، ثم ارتحلوا عنها إلى نجران ثم إلى مكة ويثرب في بلاد الحجاز ، ثم تفرقوا عندئذ فاستقرت خزاعة في مكة ، والأوس والخزرج في يثرب « وسار باقي القوم يؤمون الشام حتى صاروا إلى أرض السراة ، فأقام أزد شنوءة بالسراة وما حولها » [١٧].

واضح من كلام اليعقوبي والمسعودي أن أزد شنوءة هم أزد السراة ، ولم يكن اسم أزد شنوءة الا نتيجة لحادث من الحادثين اللذين أشرنا اليهما أو لكليهما معا .

أما السبب أو التفسير الثاني لهذا الاسم « أزد شنوءة » فيمكن أن يكون اسما حملوه معهم من بلاد اليمن عندما غادروها إلى جبال السراة . والدليل على ذلك أن ابن خرداذبه أشار إلى مخلاف في اليمن يسمى مخلاف شنوءة وصدى وجعفي ، وهو مخلاف يقع على اليمين البعيد من صنعاء[١٨]، أي ناحية سبأ ومأرب حيث كان يقيم الأزد الأوائل قبل خروجهم من بلاد اليمن .

ولذلك يمكن القول بأن اليعقوبي كان محقا في وصفه للأزد الذين خرجوا من اليمن باسم أزد شنوءة ، وأن المسعودي كان محقا أيضا في وصفه لهم باسم أزد السراة ، نسبة إلى المكان الذي أقاموا فيه وعاشوا فيه فترة من الزمن لا نعرفها على وجه التحقيق ، وخالطوا هناك عرب الشمال وثارت بينهم حروب ومنازعات بطبيعة الحال ، مما أدى إلى تفرقهم مرة أخرى ، ففريق ذهب إلى بلاد الشام وعرفوا هناك باسم الغساسنة ، وهاجر معظم الباقين إلى عمان ، وبقي القليل في جبال السراة (بلاد الحجاز) ، منهم الأوس والخزرج في يثرب ، وخزاعة في مكة ، وآخرون في الجزء الجنوبي من السراة المعروف باسم جبال عسير الذي يقع شمال بلاد اليمن ،

---

(١٧) اليعقوبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١٨) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص١٣٧ .

مثل بني حارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وبني ذهل بن عمرو مزيقياء ، من بني مازن بن الأزد ، وذلك تحت طاعة بني الحرث المذحجيين الذين كانوا يقيمون بنواحي نجران(١٩) .

وعلى ذلك فإن بني مازن بن الأزد لم يبق منهم في بلاد الحجاز الا الأوس والخزرج وخزاعة ، وذهب فريق آخر منهم إلى بلاد الشام وهم الغساسنة ، أما بنو نصر بن الأزد فلم يبق منهم في بلاد الحجاز الا بطن يسمى أسيرة ، وهي بطن من ماسخة(٢٠) ، وكذلك بقي منهم من بني فهم بن غنم بن دوس بنو سليم بن عمرو بن فهم ، وبنو طريف بن عمرو بن فهم ، أبناء أخوة مالك بن فهم ، بينما رحل عمهم مالك بن فهم مع أولاده وباقي قبيلته إلى عمان(٢١) ، ما عدا بعضا من ولد شبابة بن مالك بن فهم فقد ظلوا بالسراة(٢٢) . أما بنو عمرو بن الأزد ، فقد بقي منهم ألمع وجد جنة في بلاد الحجاز ، ورحل عنهم أخواهم ماوية وعرمان الى عمان(٢٣) .

ويبدو ان معظم هذه البقية الباقية من أزد السراة قد هاجرت إلى بلاد العراق ومصر وغيرهما من بلاد الاسلام في بداية عصر الفتوحات الاسلامية ، وصار لا يعرف لهم ذكر في بلاد السراة (الحجاز) ما عدا من بقي منهم من الأوس والخزرج في المدينة ، وخزاعة في مكة ، والغساسنة في بلاد الشام ، وبني زهران في جبال عسير(٢٤) .

أما اليمن فلم يكن فيها منهم أحد تقريبا في عصر ظهور الاسلام عدا وادعة بن عمرو مزيقياء فقد دخلوا في همدان باليمن(٢٥) ، ولذلك لم يذكر البلاذري

(١٩) ابن خلدون : تاريخه ، جـ٣ ص ٥٣٢ ، ٥٣٣ .
(٢٠) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٧٦ .
(٢١) المصدر السابق ، ص٣٧٩ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٧٦ .
(٢٢) ابن حزم : ص٣٨٠ .
(٢٣) المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .
(٢٤) القلقشندي : نفس المصدر ، ص٩٣ ـ ٩٩ .
(٢٥) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٩٤ .

اسم الأزد حينما تحدث عن اليمن وانتشار الاسلام فيها[٢٦]، بينما ذكرهم في أول سطر عند حديثه عن عمان ولم يذكرهم أيضا ابن خرداذبة وابن قدامة ، إذ لم يرد لفظ الأزد في كتابيهما بالمرة . وكذلك لم يذكر أبو سمرة الجعدي ـ وهو أقدم من تحدث عن فقهـاء اليمن ـ شيئا عن أي فرد من الأزد هاجر من اليمن إلى بلاد الحجاز في عصر البعثة النبوية ، عندما سرد أسماء المهاجرين من اليمن ، وذلك في ست صفحات تحت عنوان « تسمية المهاجرين من اليمن إلى رسول الله ﷺ »[٢٧].

فاليمن في عصر البعثة النبوية لم يكن فيها أحد من الأزد تقريبا . وجبال عسير أو السراة لم يكن فيها الا القليل ، ويثرب لم يكن فيها الا الأزد والخزرج ، ومكة لم يكن فيها الا خزاعة وهو قبيل رجل واحد من بني مازن أيضا . أما بلاد الشام فلم يكن فيها منهم الا بنو جفنة ومن لف لفيفهم من الذين عرفوا باسم الغساسنة ، وصار علما عليهم لا يعرفون الا به[٢٨]. ولما كان الأزد قوما من أكبر أقوام قحطان وكانوا « من أعظم الأحياء وأكثرها بطونا وأمدها فروعا »[٢٩]، ولما كان هذا هو حالهم قبـل ظهور الاسلام وتلك قبائلهم ، فأين ذهبت بقيتهم ؟ أو على الأصح أغلبيتهم ؟

---

(٢٦) البلاذري : فتوح البلدان ، مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٣ ، ص٧٥ـ٨٢ .

(٢٧) الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد السيد ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص٨ـ١٤ .

(٢٨) الغساسنة هم بنو جفنة والحارث ومالك وكعب ، أبناء عمرو مزيقياء بن مازن بن الأزد ، وهم الذين استقروا بالشام (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٣٣١) . ويضيف اليهم القلقشندي ثعلبة وحارثة وعوف أبناء عمرو مزيقيا أيضا (قلائد الجمان ، ص٩٤) ، وهو قول فيه نظر ، لأن ثعلبة استقر بولديه الأوس والخزرج في يثرب ، وحارثة استقر في مكة وسمي خزاعة ، أما عوف فقد كان عددهم قليلا وهم بالشام كما قال القلقشندي . ولو أخذنا برأي القلقشندي لاعتبرنا الأوس والخزرج وخزاعة من الغساسنة أيضا ، ولربما كان هذا القول صحيحا لأن اسم الغساسنة أطلق عليهم عند خروجهم من بلاد اليمن وقبل ذهابهم الى بلاد الشام ، لأن الغساسنة لم يكونوا كلهم في بلاد الشام ، اذ عاش بعضهم فيها وهم الذين أشار اليهم ابن حزم ، وعاش آخرون منهم في بلاد السراة (الحجاز) وكذلك في بلاد عمان . ومازال اسم الغساني اسما عائليا في عمان حتى اليوم (انظر : معجم أسماء العرب ، مادة غسان والغساني ، جـ٢ ص١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٠٨، ٢٠٢، ٢٠٣) .

نستطيع أن نقول باطمئنان ان غالبية الأزد ذهبوا في هجرات متلاحقة إلى بلاد عمان منذ القرن الثاني للميلاد ، وكانت أولى هذه الهجرات هي هجرة مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان (عدثان) بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد ، ومعه أولاده وقومه من بني نصر بن الأزد ، حيث انطلقوا من السراة إلى عمان[٣٠] .

ويعود السبب في تسمية من تسمى من بني عمرو مزيقياء باسم الغساسنة إلى أن بني عمرو مزيقياء وهم جفنة والحارث ومالك وكعب وثعلبة وحارثة وعوف وذهل (وائل) ووادعة وعمران وأبو حارثة نزلوا على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع حين خروجهم من بلاد اليمن ، فأقاموا عليه وشربوا منه فسموا (غسان) ، ماعدا أبا حارثة وعمران ووائل (ذهل) من بني عمرو مزيقياء ، فلم يسموا بهذا الاسم لأنهم لم يشربوا من هذا الماء .

انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٣ ص١٠٩ ، المسعودي : مروج الذهب ، ج٢ ص٢٠٤،٢٠٥ ، القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٩٤ .

ويفيدنا النسابة العماني سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري بأن ماء غسان اما انه كان في بلاد اليمن كما سبق القول ، ولكنه ليس بين زبيد ورمع ، فقد كان في مأرب ، واما انه كان في بلاد الحجاز في مكان يسمى المشلل يقع بين قديد والجحفة ، حيث سار ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر ماء السماء بقومه ونزلوا هذا المكان وشربوا من مائه الذي يسمى غسانا فتسموا بهذا الاسم وعرفوا به . ثم سار بهم حتى نزل أرض الشام وعظم شأن آل جفنة وصار منهم ملوك الغساسنة بهذه البلاد . واما أن هذا الماء كان في بلاد الشام نفسها ، وكان هو أول مكان نزلوا به فنسبوا اليه .

انظر : العوتبي : الأنساب ، جـ٢ ص٤٨-٤٩ ، ٢٠٠،٢٠٢ .

أما ان بني جفنة قد تسموا بهذا الاسم ، فذلك نسبة إلى أبيهم جفنة بن عمرو مزيقياء ، أو نسبة إلى حارثة بن جفنة بن عمرو مزيقياء والذي يقول عنه العوتبي انه هو نفسه حفنة . وقد سمي جفنة بهذا الاسم لأنه أول من أطعم الطعام في الجفنة ، فغلبت عليه هذه الصفة وصارت علما له .

انظر ، العوتبي : الأنساب ، جـ٢ ص٥٢ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٣٧٢،٤٧٣ .

(٢٩) القلقشندي : نفس المصدر ، ص٩١ .

(٣٠) تشير بعض كتب التاريخ إلى سبب خروج مالك بن فهم إلى عمان بقولها انه غضب من اعتداء ابن أخ له على كلبة جار له ، فاعتبر مالك بن فهم هذا الاعتداء استباحة لجواره ، فخرج إلى عمان مراغما لأخيه وأولاد أخيه .

انظر ، أبو زكريا الأزدي : تاريخ الموصل ، تحقيق د. علي حبيبة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧ ، ص٩٦-٩٨ ، العوتبي : الأنساب ، جـ٢ ص٢٦٥ ، الازكوي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي ، وزارة التراث ، سلطنة عمان ، سنة ١٩٨٠ ، ص١٩ ، نورالدين السالمي : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، ص٢٠-٢١ .

ولا يبعد أن تكون أرض السراة قد ضاقت بمالك بن فهم وبقومه من الأزد ، ورأى هذا الزعيم القوي أن بني عمومته من الغساسنة أصبح لهم ملك في بلاد الشام ، وأن الأوس والخزرج أصبحت لهم يثرب ، وأن خزاعة أصبحت لهم مكة ، وكلاهما من الأزد ، فأراد أن يكون له ملك مثلما كان لقومه من الأزد وغيرهم ، ولم يكن من المنطقي أن يعود إلى بلاد اليمن لخرابها واندثار مروجها ومزارعها بعد سيل العرم الذي وردت قصته في القرآن الكريم ، وفطن إلى أهمية بلاد نائية هي بلاد عمان فأقبل اليها هو وقومه من الأزد ومن انضم اليهم من قضاعة ، على اختلاف في الروايات بالنسبة لخط سيره حتى وصوله إلى عمان .

انظر ، اليعقوبي : تاريخه ، جـ١ ص٢٠٨ ، الازكوي : نفس المصدر ، ص١٩-٢٠ ، نورالدين السالمي : نفس المرجع ، ص٢١-٢٢ ، العوتبي : نفس المصدر : جـ٢ ص٢٦٦ .

وقد أشار اليعقوبي إلى هذه الهجرة وهو أقدم المؤرخين الذين تحدثوا عن هذا الموضوع فقال ان الأزد الذين استقروا بالسراة « خرج منهم قبائل إلى عمان ، فكان أول من صار منهم إلى عمان مالك بن فهم ، ثم لحق بعد مالك بن فهم جماعة من بطون الأزد »[٣١]، منهم من كان من بني مازن بن الأزد ، ومنهم من كان من بني نصر بن الأزد وغيرهم من قبائل الأزد وأفخاذهم وبطونهم ممن عرفوا بأزد السراة أو بأزد (شنوءة) وذلك في موجات متتابعة بعد أن سمعوا بانتصار مالك بن فهم وقومه على الفرس واقامته دولة أزدية في عمان ، فاتجهوا اليها وانضموا اليه .

وأول من لحق بمالك من الأزد عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وولداه الحجر والأسود الذي يسمى الأزد عند ابن حزم والأسد عند العوتبي ، وتفرعت عن الحجر والأسد قبائل كثيرة منها العتيك جد المهالبة المشهورين ، وهذه القبائل تعود في أصلها الأول الى مازن الأزد . ثم جاء ربيعة بن عبدالله بن عامر الغطريف الأكبر بن بكر بن يشكر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران ، من بني نصر بن الأزد . كما جاء مع ربيعة هذا اخوته وهم سعد وعوف والحارث ، ثم جاءت ملارس بن عمرو بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء من الغساسنة من بني مازن بن الأزد . ثم أقبلت ربيعة وعمران اخوة ملارس وأبناء عمرو بن عدي ، وهم قبيلتا بارق وغالب ، ثم جاءت براح بن عمرو بن الأزد . والبطريق بن عمرو بن الأزد . ثم جاءت اليحمد بن حمى بن عثمان بن نصر بن زهران ، من بني نصر بن الأزد . ثم جاءت بنو غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران وبطونها من جذيمة بن غنم ، وسعد بن غنم . ثم جاءت الحدان وهم من بني غانم بن عثمان بن نصر بن زهران ، كما جاء اخوة الحدان وهداد بنو

---

(٣١) تاريخ اليعقوبي ، جـ١ ص٢٠٤ .

زياد (النـدب الأصغر) وبنو معولة وبنو نحو أبناء شمس بن عمرو بن غانم بن عثمان . ثم جاءت الندب وهو الندب الأكبر ودخلوا في بني غالب بن عثمان . وجاء اناس من بني يشكر بن مبشر بن الصعب بن دهمان بن نصر بن زهران ، وناس من حوالة بن الهنو من الأزد ، وحتى الأوس والخزرج فقد جاء ناس منهم الى عمان . فمن الأوس جاء بنو عامر بن عمرو بن مالك بن الأوس كما قال ابن حزم ، أو بنو عامر بن النبيت بن مالك بن الأوس كما قال ابن عبد البر ، وجاء من الخزرج بنو السائب بن قطن بن عوف بن الخزرج . ولم تزل الأزد تنتقل إلى عمان حتى كثروا بها وملأوها وتسمت الجبال بأسماء قبائلهم ، مثال ذلك جبل اليحمد الذي يعرف الآن بجبل بني ريام ، وجبال الحدان وهي سلسلة جبال متشابكة تقع في الجانب الغربي من عمان ، وجبال الشحوح التي تقع في شمال عمان ، وكذلك تسمت بعض الأودية بأسماء قبائل من الأزد ، مثل وادي المعاول وغيره من الأودية الأخرى ، مما يدل على قدم توطن الأزد في عمان ، وعلى كثرتهم بها حتى انهم لم يلبثوا أن انتشروا منها إلى البحرين وهجر ، وغلب نفوذهم على هذه المنطقة كلها ، وذلك قبل ظهور الاسلام بعدة قرون(٣٢) .

وهكذا نرى أن أزد السراة سواء من بني مازن بن الأزد أو نصر بن الأزد ، وهم أكثر أولاد الأزد بن الغوث بطونا وقبائل ، انتقل معظمهم إلى عمان وصاروا يعرفون باسم أزد عمان ، وترى أن باقي الأزد وهم الأوس والخزرج صاروا يعرفون باسم الأنصار منذ عصر البعثة النبوية ، ولم يعرفوا بعد ذلك بالأوس ولا بالخزرج ، فقد درج هذا الاسم وطواه النسيان حتى « انه قل منهم من يعرف نسبه من الأوس

(٣٢) ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ، نسخة بخط اليد ، تحقيق محمود فردوس العظم ، بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمـد بن سعـود البوسعيدي ، اعداد دار اليقظة العربية ، دمشق ، بدون تاريخ ، جـ٢ ص٢٣١ ، اليعقوبي : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٠٤ ، ابن دريد : ص٤٨٢ ، ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٦٧ ، ٣٨٤ ، ابن عبدالبر : الانباه على قبائل الرواة ، ص١٠١ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٣٦ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص١٠٨ ، ٢٠٤-٢٠٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، الازكوي : نفس المصدر ، ص٢٥، ٢٦ ، نورالدين السالمي : نفس المرجع ، جـ١ ص٣١ ، سالم بن حمود السيابي : العنوان ، ص١٦، ١٧، ٢٠ .

والخزرج بل اكتفوا بالنسبة إلى الأنصار »[٣٣]، كما انهم في نفس الوقت كانوا قليلي العدد ، ذلك لأنهم أبناء رجل واحد من الأزد ، وكانوا يسكنون مدينة واحدة هي يثرب التي عرفت بعد ظهور الاسلام بالمدينة أو المدينة المنورة ، بينما كان أزد عمان كما ترى يسكنون قطرا بأكمله ، بل انه ضاق بهم حتى انتشروا في البحرين وهجر كما سبق القول .

وكذلك كان أزد الشام قليلا عددهم بالنسبة لأزد عمان ، لأن بلاد الشام كانت موطن قبائل أخرى كانت تقيم فيها وتنافسهم مثل جذام ولخم وعاملة وقضاعة وكلب وبهراء وبلي وغيرهم ، كما سقط عن أزد الغساسنة هؤلاء اسم الأزد ، فصاروا لا يعرفون الا باسم الغساسنة[٣٤]، أما أزد عمان فقد احتفظوا باسم الأزد ، وصار هذا الاسم لصيقا بعمان ، لا يتجانبها ولا يبعد عنها ، وظلت عمان للأزد موئلا وأبا وأما حتى الآن[٣٥]، وأصبحوا أكثر من غيرهم من الأزد في أي بقعة من البلدان .

ويكفي للتدليل على قوة الأزد وكثرة عددهم في عمان مقارنة بغيرهم من الأزد قبل ظهور الاسلام عدة أمور :

الأمر الأول : هو أن الموجة الأولى من موجات الأزد التي هاجرت إلى عمان بقيادة مالك بن فهم ، ورغم أنها احدى الموجات ولم تكن كلها ، خرجت دون أن يتعرض لها أحد سواء من عدنان أو قحطان . وكان مالك بن فهم وكما تقول المصادر التاريخية « لا يمر بحي من أحياء العرب الا سالموه ووادعوه لمنعته وكثرة

(٣٣) القلقشندي : نفس المصدر ، ص٩٣ .
(٣٤) المصدر السابق ، ص٩١ .
(٣٥) خالد سعود الزيد : كعب الأشقري شاعر عماني في العصر الأموي ، بحث ضمن كتاب « فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي » ، السيب ، سلطنة عمان ، اشراف سالم بن محمد الغيلاني ، اعداد : محمد علي الصليبي ، اصدار يونيه ١٩٩٠م ، ص٣٦ .

عساكره »[٣٦]. فهي موجة قوية عاتية اخترقت بلاد العرب من غربها إلى أقصى شرقها دون أن تعبأ بمن كان يسكنها من قبائل العرب الأخرى .

ومما يدل على قوة هذه الموجة أيضا أنها تمكنت من تحطيم النفوذ الفارسي في عمان رغم التفاوت الكبير في عدد المقاتلين . فقد كان مالك بن فهم في ستة آلاف فارس وراجل ، بينما كان الفرس في أربعين أو ثلاثين ألفا ، وانظر أيضا إلى قوة هذا الزعيم الأزدي الكبير في انذاره الذي وجهه إلى الفرس غداة قدومه إلى عمان وطلبه منهم أن يفسحوا له في الماء والكلأ والمرعى ، والا فإنه سوف يقاتلهم وسيقتل المقاتلة ويسبي الذرية ، ولن يترك منهم أحدا ينزل بعمان أبدا[٣٧].

ولما رفضوا هذا الانذار لم يخش كثرة عددهم وعتادهم وانما قاتلهم وهزمهم بمن كان معه من قومه من الأزد وأجبرهم على دفع الجزية له . ولما غضب كسرى فارس من هذه المهانة التي تعرض لها جنده ، وهذا الضياع الذي تعرض له نفوذه ، وأرسل جندا جديدا يقدر بثلاثة آلاف إلى عمان لاسترداد هذا النفوذ المفقود ، أرسل اليهم مالك بن فهم ينذرهم مرة أخرى ويقول لهم « بلغني أنه قد أتاكم من قبل الملك مدد عظيم ، وأنكم تستعدون لحربي وقتالي ، فاما أن تخرجوا من عمان طوعا والا رجعت عليكم بخيلي ورجلي ووطئت ساحتكم وقتلت مقاتليكم وسبيت دراريكم وغنمت أموالكم »[٣٨].

ولما رفضوا هذا الانذار أيضا لم يخش بأسهم وانما قاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم وأسر منهم أعدادا جمة وغنم أموالهم ، وفر الباقون إلى سفنهم هاربين إلى

(٣٦) العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٦٦ ، الازكوي : نفس المصدر ، ص٢٠ ، نورالدين السالمي : نفس المرجع ، جـ١ ص٢٢ .

(٣٧) العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٢٦ ، الازكوي : نفس المصدر ، ص٢٠-٢١ ، نورالدين السالمي : نفس المرجع ، جـ١ ص٢٤ .

(٣٨) العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٦٨-٢٧٣ ، ٢٧٤ ، الازكوي : نفس المصدر ، ص٢٣-٢٤ ، نورالدين السالمي : نفس المرجع ، جـ١ ص٢٨-٢٩ .

بلادهم ، وخلصت عمان له ولأولاده منذ ذلك الحين ، ولم يستطع الفرس في عهده وعهدهم أن ينالوا من عمان شيئا(٣٩) . هذا في الوقت الذي كان فيه بنو عمومتهم من الغساسنة في بلاد الشام يخضعون لقياصرة الروم ويدورون في فلكهم معظم سني تاريخهم اما طوعا أو كرها ، وكذلك كان اللخميون (المناذرة) في الحيرة وبلاد العراق يدورون هم الآخرون في فلك أكاسرة الفرس ولا يستطيعون لهم دفعا .

فإذا كان هذا هو أمر الأزد في عمان قبل ظهور الاسلام بما لا يقل عن أربعة قرون(٤٠)، فما بالك بهم عند ظهور الاسلام وخاصة بعد أن تتابعت الهجرات

---

(٣٩) العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٧٣ ، الازكوي : نفس المصدر ، ص٢٢٤، ٢٢٥ ، نورالدين السالمي ، نفس المرجع ، جـ١ ص٢٩-٣٠ .

(٤٠) يرى معظم الباحثين المحدثين بأن هجرة مالك بن فهم الى عمان كانت بعد انهيار سد مأرب في عام ٥٣٢م ، وانه أتى إلى عمان حوالي منتصف القرن السادس للميلاد . وهذا القول غير صحيح لعدة أسباب :

السبب الأول : هو أن مالك بن فهم حكم عمان مدة تبلغ سبعين عاما (العوتبي جـ٢ ص٢٧٨ ، الازكوي : ص٢٧ ، نورالدين السالمي : جـ١ ص٣٦) ، فلو كان هذا القول صحيحا لشهد مالك بن فهم بعثة النبي ﷺ ، اذ المعروف أن النبي ولد عام الفيل أي عام ٥٧١م ، وبعث في عام ٦١١م ، ولكن مالكا لم يشهد هذه البعثة ، لأن الذي كان يحكم عمان وشهد البعثة هو جيفر وأخوه عبد ابنا الجلندي بن المستكبر المعولي ، والمعاول أسرة من الأزد كانت قد تمكنت من نقل الحكم اليها قبل ظهور الاسلام بحوالي قرن من الزمان ، ولذلك كانت الأسرة السابقة تناهض بني الجلندي وظهر ذلك واضحا في حركة لقيط بن مالك الأزدي الذي كان ينتمي إلى أسرة مالك بن فهم (انظر : العوتبي : جـ٢ ص٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، الازكوي : ص٣٣ ، نورالدين السالمي : جـ١ ص٤٧) .

والسبب الثاني : هو أن جذيمة الوضاح بن مالك بن فهم كان قد فارق أباه وذهب الى بلاد العراق وأقام مملكة الحيرة وذلك قرب نهاية القرن الثاني للميلاد . والدليل على ذلك أن العوتبي (جـ٢ ص٢٠٣) يذكر ان جذيمة حكم الحيرة والعراق مدة ستين عاما ، ثم خلفه ابن اخته عمرو بن عدي مؤسس دولة اللخميين (المناذرة) . وعمرو هذا كان معاصرا لأردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان في ايران والذي بدأ حكمه في عام ٢٢٦م (انظر : جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ، ص٢٦٤) . وعلى ذلك فإن جذيمة يكون قد وصل الى بلاد العراق في الثلث الأخير من القرن الثاني وعاش فترة في القرن الثالث للميلاد (جرجي زيدان : نفس المرجع ، ص٢٣٢) . وليس من المعقول أن يعيش الابن وهو جذيمة في القرن الثالث ويعيش الأب وهو مالك بن فهم في القرن السادس للميلاد ، الا إذا كان جذيمة الأبرش ليس ابنا لمالك بن فهم ، وهو رأي ضعيف ، فقد أجمعت معظم الأدلة التاريخية على أنه كان ابنا له .

والسبب الثالث :هو أن دارا بن دارا بن بهمن الذي قيل بأنه غضب على مرزبانه الذي هزم وعقد صلحا مع مالك بن فهم ، لم يكن يعيش في تلك الفترة وانما عاش قبلها بكثير ، فقد كان حاكما لفارس حين قدوم الاسكندر الأكبر إلى ايران لغزوها في عام ٣٣٣ق.م ، حيث قتل دارا وامتلك ايران وقسمها الى ممالك صغيرة (المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص٨٢ ، الطبري : تاريخه ، جـ١ ص٥٧٤-٧٥٢، ٦١٠ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، جـ١ ص٣٣) وانما الذي كان موجودا في حكم فارس في عصر مالك بن فهم حاكم آخر يدعى فولوجاسيس الثاني (١٤٧-١٩١م) حسبما قال وندل فيلبس (تاريخ عمان ، ص١٦) ومايلز (الخليج بلدانه وقبائله ، ص٣٩) الذي يسميه فولوكاسيس الثاني .

والسبب الرابع : هو أن سد مأرب لم يكن له انهيار واحد ، وانما انهار عدة مرات ، والغالب أن مالك بن فهم أتى عقب أحد هذه الانهيارات وهو الانهيار الذي حدث حوالي عام ١٣٠م أثناء حكم ملك اليمن الذي كان يسمى أكران (١٢٠-١٤٠م) حسبما أفادت النقوش ودلت الآثار على ذلك ، مما نتج عنه تبعثر القبائل العربية كنتيجة للخلافات التي

اليهم ممن كان باقيا بعدهم في بلاد السراة حتى ملأوا عمان وانتشروا منها في البلدان المجاورة ؟ وما بالك بهم إذا كان الراحلون إلى عمان لم يكونوا جزءا من الباقين من الأزد الذين كانوا في السراة وبلاد الحجاز ، بل انهم كانوا كل هؤلاء الباقين أو معظمهم على الأقل كما أشرنا من قبل ؟

فهـا هو النسابة العماني سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري الأزدي وهو بطبيعة الحال أدرى بتاريخ قومه وبلده ، يحدثنا عن تفرق الأزد وسكناهم في السراة ، ثم تفرقهم منها وذهاب مالك بن فهم وأولاده وعشيرته وقبيلته إلى عمان ، وذهاب خزاعة إلى مكة ، والأوس والخزرج إلى يثرب ، وجذيمة الأبرش بن مالك بن فهم الى العراق ، والغساسنة الى بلاد الشام[٤١]، ثم يقول : « ومضى الباقون من الأزد حتى نزلوا البحرين وهجر اليمامة ، ثم ترحل عامتهم ولحقوا بأصحابهم الذين ذهبوا من قبل (إلى) الشحر إلى عمان »[٤٢].

فهو هنا يشير إلى أن كل الباقين وليس بعضهم رحلوا بعد هجرة مالك بن فهم ومن تبعه إلى البحرين ، ومنها إلى عمان حيث استقروا مع اخوانهم السابقين لهم في الهجرة اليها . ولاشك أن هؤلاء الباقين كانوا كثيري العدد ، إذا أخذنا في الاعتبار محدودية القبائل التي استقرت في غير عمان بالنظر إلى عدد الأزد الكبير ، وبالنظر إلى أسماء القبائل وأعدادها التي استقرت في عمان .

نشأت بينها من جهة ، وانهيار السد من جهة أخرى . (انظر : مايلز : نفس المرجع ، ص٣٧) . أما الانهيار الأخير الذي حدث عام ٥٣٢م فهو الانهيار الذي تسبب في هجرة من بقي من الأزد إلى السراة ومنها الى عمان ، وهي الهجرة الأخيرة التي كان أزدها يسمون بأزد شنوءة ، والتي كان منها المعاول الذين استولوا على عمان من يد أسرة مالك بن فهم ، وكان من المعاول بنو الجلندي الذين كانوا يحكمون عمان عند ظهور الاسلام .

ولذلك فإننا نستطيع القول بأن مالك بن فهم أتى الى عمان قبيل نهاية القرن الثاني للميلاد حيث استطاع أن يستولي عليها ويقهر الفرس ، ودامت دولته ودولة أولاده وأحفاده من بعده مدة طويلة حتى صار ملكها الى الجلندي بن المستكبر المعولي . وكان ملك الفرس قد انتقل الى بني ساسان وهم رهط الأكاسرة الذين كانوا قد قضوا على حكم الأسرة الأخمينية السابق ، وأقاموا دولتهم على يد أول ملوكهم وهو أردشير بن بابك في عام ٢٢٦م .

انظر : الطبري : جـ٢ ص٣٧-٤٢ ، الازكوي : ص٣٢ ، نورالدين السالمي : جـ١ ص٤٧ ، مايلز : ص ٢٦٣ .

(٤١) الأنساب ، جـ٢ ص ٢٠٠-٢٠٢ .

(٤٢) المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٠٣ .

والأمر الثاني الذي يدل على كثرة عدد أزد عمان وقلة غيرهم من الأزد الآخرين هو أن الأوس والخزرج (الأنصار) الذين كانوا في أكبر غزوات الرسول ﷺ وهي فتح مكة مضافا اليهم المهاجرون ومن لحق بهم من القبائل الأخرى التي صحبت النبي ﷺ وهو في طريقه إلى مكة ، لا يزيد عن عشرة آلاف مقاتل ، وكان ذلك في عام ٨هـ/٦٢٩م وهو العام الذي فتحت فيه مكة(٤٣)، بينما كان عدد فرسان ورجالة مالك بن فهم حين زحفه إلى عمان قبل ذلك بعدة قرون لا يقل عن ستة آلاف كما سبق القول ، وطبيعي أن أزد عمان تضاعفوا مرات ومرات في الفترة التي انقضت بين حكم مالك وظهور الاسلام ، مما يدل على قلة عدد الأوس والخزرج بالنسبة لأزد عمان .

وهذه القلة هي التي جعلت الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا يستطيع أن يقتص من قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه في المدينة ، لأن الثائرين كانوا قد غلبوا عليها بمن فيها من مهاجرين وأنصار ، مما يدل على قلة عدد رجالها المقاتلين . وقد صرح الامام علي رضي الله عنه بذلك فعلا لمن طلبوا منه أخذ القصاص ، إذ قال لهم : « يا اخوتاه ، اني لست أجهل ما تعلمون ، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم »(٤٤) .

والأمر الثالث هو أن خزاعة التي كانت لها ولاية البيت بعد جرهم في مكة ، كانت قد ضعفت بظهور قريش التي استولت على الأمر في مكة نتيجة لزواج قصي بن كلاب من ابنة زعيم خزاعة خليل بن حبشية ، وقيام هذه الابنة باعطاء زوجها قصيا مفاتيح الكعبة بعد وفاة أبيها(٤٥)، أو لأن زعيم خزاعة (أبو غبشان)

---

(٤٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٥ ، جـ٢ ص٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤٢١ ، الطبري : نفس المصدر ، جـ٣ ص٦٤، ٦٥ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٩٩ .

(٤٤) الطبري : نفس المصدر ، جـ٤ ص ٤٣٧ .

(٤٥) العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٩٥ - ٩٦، ١٩٨-١٩٩ .

الذي كان قد وصاه الزعيم السابق بابنته وبالبيت باع ولاية هذا البيت لقصي بن كلاب زعيم قريش بزق خمر كما يقول القلقشندي(٤٦). ومن ثم فقدت خزاعة الأزدية نفوذها في مكة قبل ظهور الاسلام بمدة طويلة ، وظهرت قريش وصار لها الأمر والنهي في مكة حتى ظهر الاسلام ، فانتهى أمر خزاعة ولم يبق منها بعد ذلك الا بقايا في بلاد الحجاز وغزة(٤٧).

والأمر الرابع هو أن الأزد الباقين في السراة لم يرسلوا إلى النبي ﷺ الا وفدا واحدا على رأسه صرد بن عبدالله(٤٨) بينما كثرت وفود أزد عمان كثرة تتناسب مع كثرة عددهم وتعدد قبائلهم . فمن ثمالة والحدان خرج وفدهم وعلى رأسه مسلمة (مسلية) بن هزان الحداني ، وعبدالله الثمالي(٤٩)، كما خرج وفد أزدي آخر على رأسه رجل عماني يدعى سلمة بن عياذ الأزدي قدم على النبي ﷺ في بعض قومه(٥٠)، وكذلك أرسل أزد العتيك في دبا وفدا إلى رسول الله ﷺ مقرين بالاسلام ، فبعث فيهم مصدقا منهم يقال له حذيفة بن محصن البارقي الأزدي(٥١). كما وفد على النبي ﷺ وفد عماني أزدي رابع على رأسه يبرح بن أسد الطاحي لم يلبث أن عاد إلى عمان بعد أن عين النبي ﷺ مخربة العبدي واسمه مدرك بن خوط عاملا عليهم(٥٢).

---

(٤٦) القلقشندي : نفس المصدر ، ص ٩٩ .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٩٥-٩٧ .

(٤٨) اليعقوبي : نفس المصدر ، جـ ص٧٩ .

(٤٩) المصدر السابق ، جـ٢ ص٧٩ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار التحرير ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨ ، جـ١ قسم ٢ ص٨٢ .

(٥٠) ابن سعد : نفس المصدر ، جـ١ قسم ٢ ص٨١ .

(٥١) المصدر السابق ، جـ٧ قسم ١ ص٧٢ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ص٤٣٥ ، ابن عبدالبر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مكتبة نهضة مصر ، بدون تاريخ ، جـ١ ص٣٣٦ ، الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٤ ، ص٢٣٢ .

(٥٢) ابن سعد : نفس المصدر ، جـ١ قسم ٢ ص٨١ ، مسند أحمد بن حنبل : جـ١ ص٤٤ ، منتخب كنز العمال ، جـ٥ ص٧٧٢ ، ابن عبدالبر : نفس المصدر ، جـ١ ص١٨٩ .

والأمر الخامس هو أن الغساسنة كان قد انتهى أمرهم في بلاد الشام على يد المسلمين في عهد أبي بكر الصديق وعهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عندما غزا المسلمـون بلاد الشام في عهدهما وفر آخر ملوكهم وهو جبلة بن الأيهم إلى امبراطور الروم وتنصر هناك بعد أن كان قد أسلم وارتد عن الاسلام في قصة طويلة أشارت اليه كتب التاريخ(٥٣)، ولم يبق منهم الا طائفة قليلة بالبلقاء وعدد غفير في الـيرمـوك وجماعة بحمص(٥٤)، ولكنهم في جملتهم كانوا قليلي العدد مقارنة بأزد عمان ، ولو كان عددهم كبيرا لما تمكنت سرية صغيرة أرسلها أبو بكر الصديق في بداية فترة خلافته ، كان على رأسها عبد بن الجلندى من اخضاعهم والقضاء على تمردهم أو ردتهم(٥٥).

وعلى ذلك لم يبق في الميدان إلا أزد عمان الذين أصبحوا يمثلون جمهرة الأزد وأغلبيتهم قبل ظهور الاسلام بعدة قرون ، واستمر هذا الوضع لهم بعد ظهور الاسلام .

وليس معنى ذلك أن بلاد الحجاز أو الشام أو اليمن خلت من الأزد ، فقد كانوا موجودين فيها ، ولكنهم كانوا كما ذكرنا قلة ، كما أنهم تسموا بأسماء اشتهروا بها فيقال للواحد منهم الغساني أو الأنصاري أو الدوسي أو الزهراني ، أما بقية الأزد وكان معظمهم في عمان فقد صاروا يحملون لقب الأزد وصارت عمان لهم الوطن الأم كما سبق القول منذ القديم وحتى الآن .

وفي عصر الفتوحات انساح أزد عمان في الأمصار الاسلامية مشاركين في هذه الفتـوحات أو مهاجرين اليها بعد انتهاء عصر الفتوحات بقصد الاستقرار أو التجارة حتى صاروا أغلبية في بعض المدن مثل البصرة وغيرها ، وصاروا قوة

---

(٥٣) القلقشندي : نفس المصدر ، ص ٩٥-٩٧ .
(٥٤) المصدر السابق ، ص ٩٧ .
(٥٥) الازكوي : نفس المصدر ، ص٣٥-٣٦ ، نورالدين السالمي : نفس المرجع ، جـ١ ص٦٣-٦٤ .

كبيرة يحسب لها ألف حساب في المدن والأمصار الاسلامية ، وصار منهم الولاة والقواد العسكريون والقضاة وكبار الموظفين .

وقد أدى هذا الانتشار للأزد إلى أن يظن البعض أن هؤلاء الأزد الكثيري العـدد الـواسعي الانتشار لابد وأنهم جاءوا من مواطن متعددة لأنهم كانوا قبل الاسلام متفرقين وسكنوا مواطن عديدة ، ولكن معظمهم في الواقع لم يأت إلا من أزد عمان . وربما كان لموقف عمان من الدولة الأموية والعباسية أثر في أن معظم الكتاب والمؤرخين من غير عمان لم يشيروا فيما كتبوا إلى الوطن الأصلي لهؤلاء الأزد الذين كان لهم باع طويل في الفتوحات وفي الهجرات وفي بناء الدولة الاسلامية ، فأشاروا اليهم بأنهم أزد دون أن يشيروا إلى أنهم من عمان مما حجب حقيقة أمرهم على الناس .

المهرة قبل دخولهم (مصر) :

هذا عن الأزد قبل دخولهم مصر ، فماذا عن المهرة ؟ والمهرة هم الشق الثاني من هذا الحديث .

المعروف من كتب الأنساب أن مهرة احدى قبائل قضاعة(٥٦) فقضاعة كانت تشتمل على عدد من القبائل هي مهرة وبهراء وبلي وجهينة وعذرة ونهد وخشين وجرم وكلب(٥٧). وكانت هذه القبائل تقيم أولا في بلاد الشحر ، ثم انتشرت منها إلى تهامة والحجاز ، ثم وقعت في نزاع مع قبائل نزار من عرب الشمال ، وبسبب ذلك تفرقت في البلدان كتفرق الأزد ، واتجهت بلي وبهراء إلى اليمن وتوغلوا فيها حتى

---

(٥٦) مهرة : هو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وكان عامة الناس يقولون مهرة بالفتح ثم السكون ، ويقول ياقوت أنها بفتحتين وأنه وجد ذلك « بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لا يختلفون فيه » . انظر : السمعاني : جـ٥ ص٤١٧ هامش ١ ، ابن حزم : ص ٤٤٠ .

(٥٧) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٤٤٠-٤٧٨-٤٧٩ ، القلقشندي : نفس المصدر ، ص٤٢-٥٣ .

نزلوا مأرب بعد افتراق الأزد عنها وخروجهم منها[٥٨].

أما المهرة فقد انتهزوا فرصة قدوم مالك بن فهم وقومه من الأزد إلى بلاد عمان فأقبلوا معه ، كما أقبل معه أيضا أبناء فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة القضاعي ، وكذلك راسب بن الخزرج القضاعي ، وتزوج مالك بن فهم من امرأة قضاعية هي الحرام بنت مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة ، أم ولده ثعلبة ، وذلك توثيقا للروابط بين الأزد وقضاعة ، ومنعا لداء الحسد والمنافسة[٥٨].

ولما وصل مالك بن فهم في زحفه نحو عمان الى الشحر انفصلت عنه مهرة وراسب بن الخزرج واستقرت في بلاد الشحر[٦٠]، وواصلت بقية قضاعة من الذين كانوا معه السير والزحف في داخل عمان ، واستقر منهم بنو المقين بن جسر في ضنك وسكنوها[٦١].

ويفهم من هذه الرواية أن مهرة كانت تقيم في غير بلاد الشحر قبل قدوم مالك بن فهم إلى عمان ، ولعلها كانت تقيم في جبال عسير أو جبال الحجاز حيث كان يعيش مالك بن فهم قبل أن يتوجه من هذه المناطق إلى عمان .

وبجانب ذلك يعطينا ابن خلدون تفسيرا آخر فيما يتعلق بمهرة ومكان اقامتها . فيقول نقلا عن ابن الكلبي ان قضاعة الذي تفرع عنه قبائل كثيرة منها مهرة ، كان ملكا على بلاد الشحر ، وصارت هذه البلاد بعده لابنه الحاف ثم لابنه مالك الذي لم يرد له ذكر عند ابن حزم . ثم قامت حروب بين قبيلة قضاعة وبين وائل بن حمير[٦٢]، مما يعني أن الحروب التي خاضتها قضاعة كانت أولا مع حمير

(٥٨) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ص٣٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ١ ص٣١٦ .
(٥٩) ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ، جـ٢ ص١٩٩ ، نورالدين السالمي : جـ١ ص٢١، ٢٣ .
(٦٠) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ص٣٧ ، نورالدين السالمي : جـ١ ص٢٣ .
(٦١) نورالدين السالمي : نفس المرجع ، جـ١ ص٣٢ .
(٦٢) ابن خلدون : تاريخه ، جـ٢ ص٢٤٧ .

وليس مع النزارية من عرب الشمال . وكان من نتيجة هذه الحروب ، هجرة كثيرة من قبائل قضاعة إلى الشمال حيث استقرّوا في جبال عسير والسراة فترة من الزمن ، ولم تلبث أن قامت حروب أخرى بينهم وبين النزارية ، فتفرقت معظم قبائل قضاعة مرة ثانية كتفرق الأزد ، وانتشرت في المنطقة التي تقع ما بين الحجاز إلى الشام والعراق ، وأصبحوا ملوكا لهذه الجهات ، وكان منهم الضجاعمة الذين ملكوا الشام قبل هجرة بني جفنة والغساسنة وقضائهم على هؤلاء الضجاعمة وانتقال الملك اليهم[٦٣] .

أما من بقي من قضاعة في جبال السراة وعسير ، فقد ظلوا هناك حتى أقبلوا مع مالك بن فهم حين هجرته إلى عمان ، ولم تكن مهرة من بين هؤلاء القادمين من قضاعة مع مالك ، لأنه من المرجح أن مهرة لم تهاجر ولم تترك موطنها الأصلي في بلاد الشحر إلى جبال السراة كهجرة غيرهم من قبائل قضاعة التي سبقت الاشارة اليها والتي هاجرت اثر نزاعها مع حمير ، بل بقيت في بلادها واستقلت بها بعد أن أفسح لها هؤلاء المهاجرون ، وأطلقت على هذه البلاد اسمها فصارت تعرف ببلاد مهرة[٦٤] .

ولما أقبل مالك بن فهم من جبال السراة متجها إلى عمان ، مر في طريقه ببلاد مهرة ، فأعطته ولاءها ، ولكنها لم ترحل معه الى الشمال وظلت مقيمة في الشحر ، واستقر معها بعض القادمين مع مالك مثل راسب بن الخزرج . وعلى هذا النحو ظلت مهرة تقيم في بلادها في المنطقة الجنوبية حتى ظهر الاسلام فاعتنقه المهريون وخرجوا إلى الجهاد كما خرج اخوانهم من أزد عمان سواء بسواء ، وكانت مصر من البلاد التي خرجو اليها سواء فاتحين أو مهاجرين .

(٦٣) المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٤٩ .
(٦٤) المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٤٧ .

١ ـ اشتراك الأزد والمهرة في فتح مصر واستقرارهم فيها

هؤلاء الأزد الذين تحدثنا عنهم وشرحنا أوضاعهم وبينا كيف أن معظمهم كانـوا يقيمون في عمان وأقاموا فيها دولة استمرت حتى ظهور الاسلام ، وصار الملك فيهم ووقفـا عليهم في عمان وحتى الآن ، نقول كيف وصل هؤلاء الأزد وكيف وصل المهريون إلى مصر وكيف اشتركوا في فتحها ؟

تحدثنا كتب التاريخ بأن هؤلاء العمانيين من الأزد والمهرة أقبلوا إلى مصر مع عمرو بن العاص لفتحها انطلاقا من بلاد الشام . فبلاد الشام كانت في الواقع هي القاعدة التي انطلقوا منها للمساهمة في هذا الفتح . وهنا لابد أن نتساءل : كيف وصل هؤلاء العمانيون من الأزد والمهرة إلى بلاد الشام أولا ، ثم انطلقوا منها إلى فتح مصر بعد ذلك ؟

ويجيب على هذا التساؤل الهام أوثق الروايات التاريخية التي تبين أنهم انطلقوا إلى بلاد الشام مع قائدين كبيرين ، أولهما هو عمرو بن العاص ، وثانيهما ، هو عكرمة بن أبي جهل ، وكلا القائدين اشترك في فتح بلاد الشام ، وتوفي عكرمة في معركة اليرموك في عام ١٣هـ/٦٣٤م[١]، بينما استطاع عمرو بن العاص أن يتجه إلى مصر ويفتحها في عام ٢٠هـ/٦٤٠م .

ولكن لماذا كان الأزد والمهـرة ضمن جيوش هذين القـائـدين بالـذات ؟ وللاجابة على ذلك لابد أن نشير أولا إلى أن كلا منهما كانت له دراية كبيرة ومعرفة واسعة بعمان وأهلها .

---

(١) الطبري : نفس المصدر ، جـ٣ ص٤٠١ ، ٤٠٢ .

فعمرو بن العاص كان رسولا للنبي ﷺ إلى عمان وأهلها لتبليغهم دعوة الاسلام ، وذلك في العام الثامن للهجرة . وكما هو معروف فقد أسلم ملكاها جيفر وعبد ابنا الجلندي على يده ، وانتشر الاسلام في ربوع عمان سواء قبل وصول عمرو بدعوة مازن بن غضوبة وغيره من أهل عمان الذين كانوا قد رحلوا إلى بلاد الحجاز وقابلوا النبي ﷺ وأسلموا وعادوا إلى بلادهم ينشرون دعوة الاسلام ، أو بعد وصول عمرو اليها وقيامه هو وزميله أبو زيد الأنصاري بنشر الاسلام بين أهلها بمساعدة ملكيها . وظل عمرو على الصدقات وأبوزيد على الصلاة وتعليم الناس مبادىء الاسلام حتى توفي النبي ﷺ ، وتولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة في ربيع الأول من عام ١١هـ/٦٣٢م(٢).

وتفيدنا هذه الرواية بأن عمرو بن العاص استمر مقيما في عمان حوالي ثلاث سنوات أو أكثر من ذلك بقليل حتى عاد الى المدينة ومعه وفد عماني كبير يتكون من سبعين من رجالات أزد عمان وعلى رأسهم عبد بن الجلندي أحد الملكين ، وفيهم أبو صفرة والد المهلب ، وحمامي بن جرو بن واسع من بني مالك بن فهم وهو الجد الخامس لابن دريد ، وجعفر بن جشم العتكي . وقد أحسن أبو بكر الصديق استقبال هذا الوفد الكبير وامتدح عمان وامتدحها عمرو بن العاص ، وذلك ثابت في كتب التاريخ عمانية وغير عمانية(٣).

---

(٢) ابن عبدالبر : نفس المصدر جـ٣ ص١٣٤٤ ، ابن حبيب : المحبر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص٧٧ ، البلاذري : نفس المصدر ، ص٨٣-٨٤ ، العوتبي : الأنساب ، جـ١ ص٢٥٦-٢٥٧ ، جـ٢ ص٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، الازكوي : نفس المصدر ، ص٣٥-٣٨ .

(٣) ابن دريد : الاشتقاق ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٩ ، ص٥٠١ ، أبوالفرج الأصفهاني : الأغاني ، دار احياء التراث العربي ، سنة ١٩٦٣ ، جـ٢٠ ص٧٦ ، القفطي : انباء الرواة على أنباء النحاة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٦ ، جـ٣ ص٩٢،٩٣ ، ياقوت : معجم الأدباء ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٠ ، جـ١٨ مجلد ٩ ص١٢٨-١٢٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ٤ ص٣٢٩ ، الازكوي : نفس المرجع ، ص٣٩ ، محمد السالمي وناجي عساف : عمان تاريخ يتكلم ، المطبعة العمومية ، دمشق ، سنة ١٩٦٣ ، ص١٠٠،١٠١ .

وعندما عزم أبو بكر على القيام بفتح بلاد الشام في عام ١٣هـ/ ٦٣٤م كتب إلى عمرو بن العاص يستدعيه ، وكان قد ولاه على صدقات قضاعة وسعد هزيم وعذرة وجذام وذلك بعد عودته من عمان انجازا لوعد كان رسول الله ﷺ قد وعده اياه ، وقال له : « اني كنت قد رددتك على العمل الذي كان رسول الله ﷺ ولاكه مرة ، وسماه لك أخرى ، مبعثك الى عمان ، انجازا لمواعيد رسول الله ﷺ فقد وليته ثم وليته ، وقد أحببت ـ أبا عبدالله ـ أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه ، الا أن يكون الذي أنت فيه أحب اليك » . فكتب اليه عمرو بن العاص : « اني سهم من سهام الاسلام ، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئا ان جاءك من ناحية من النواحي »(٤) .

عندئذ طلب منه أبو بكر أن يقبل اليه ويندب الناس ممن يمر بهم من العرب الى الجهاد في سبيل الله ، وأن يرغبهم فيه ، وأن يرفق بهم ويجعل كل قبيلة وحدها . ففعل عمرو ما طلبه منه الخليفة ، والتفت حوله بعض القبائل ، وأقبل بهم إلى المدينة حيث عقد له الخليفة راية الجهاد ، فكان عمرو أول من سار من عمال الخليفة الى بلاد الشام ومعه جيش مكون من حوالي ثلاثة آلاف مقاتل ، كان فيهم أناس كثيرون من المهاجرين والأنصار ، ومن أهل مكة والطائف وهوزان وبني كلاب(٥) .

وليس من المعقول بطبيعة الحال ألا يكون في جيش عمرو عدد كثير أو قليل من أزد عمان ومهرتها وان لم تشر الى ذلك كتب التاريخ ، وان كانت قد أشارت إلى

---

(٤) الطبري : نفس المصدر ، جـ٣ ص ٣٨٩ .
فهم الأستاذ بسام العسيلي في كتابه (عمرو بن العاص ص٢٤) والاستاذ محمود شيت خطاب في كتابه (قادة فتح الشام ومصر ص١٣١) من نص الطبري الذي أشرنا اليه في المتن أن أبا بكر رد عمرو بن العاص على عمله في عمان ، ولكن هذا القول غير صحيح بالمرة .
انظر ، الطبري : جـ٣ ص٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٥) البلاذري : نفس المصدر ، ص١١٢ ، بسام العسيلي : عمرو بن العاص ، ص٢٥ ، محمود شيت خطاب : قادة فتح الشام ومصر ، ص١٣١، ١٣٢ .

أن هؤلاء الأزد كانوا قد سبقوا جيش عمرو نفسه الى بلاد الشام .

ذلك أن عمرو بن العاص حينما عاد من عمان عقب وفاة النبي ﷺ ، كان يصحبه وفد كبير من أزد عمان وعلى رأسه عبد بن الجلندي كما سبق أن أشرنا . وبعد أن استقر هذا الوفد في المدينة وأدى المهمة المنوطة به ، انتدبه أبو بكر وانتدب رئيسه عبدا ليقوم على رأس حملة صغيرة لتأديب بني جفنة (الغساسنة) الذين كانوا قد أساءوا وهددوا شمالي بلاد الحجاز بتحريض من الروم البيزنطيين الذين كانوا يسيطرون عليهم وعلى بلاد الشام كلها ، فقام عبد ومعه قومه من الأزد على رأس هذه الحملة التي كانت تضم بعض الصحابة مثل حسان بن ثابت ، وسار إلى بني جفنة وحاربهم وانتصر عليهم نصرا مبينا ، وعاد إلى المدينة حيث لقي المزيد من التقدير والثناء[6] .

ولم تشر كتب التاريخ إلى أن هذا الوفد عاد إلى عمان بكامله ، فربما بقي منهم في المدينة من فضل البقاء هناك للمشاركة في معركة الجهاد ، خاصة وأن أبا بكر قد استنفر الناس لهذه المعركة .

ولم يمر وقت طويل حتى نرى بعض العمانيين في المدينة مرة أخرى . ذلك أن عكرمة بن أبي جهل ومن معه من المسلمين وبني الجلندي بعد أن قضوا على المتمردين في دبا وقتلوا صاحبهم لقيط بن مالك الأزدي ، قدم حذيفة بن محصن الغلفاني الأزدي الذي كان قد أرسله أبوبكر لمساعدة عكرمة في التصدي لهذه الحركة بسبي أهلْ دبا .

---

(٦) الازكوي : نفس المصدر ، ص٣٦ ، نورالدين السالمي : نفس المرجع ، جـ١ ص٦٣-٦٤ ، سالم السيابي : العنوان عن تاريخ أهل عمان ، ص٢١٥ ، صالح بن أحمد الصوافي : الامام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة ، رسالة ماجستير مطبوعة ، سنة ١٩٨١ ، جامعة الأزهر ، ص٢١ ، ولكنسن : بنو الجلندي في عمان ، وزارة التراث ، مسقط ، سنة ١٩٨٢ ، هامش ١٣ ص٤١ .

وقد اختلف المؤرخون في عدد هذا السبي وهؤلاء الأسرى ، فذكر العوتبي الصحاري العماني الذي عاش في القرن الخامس للهجرة أن هذا العدد كان قليلا ، وأن أهل دبا أرسلوا على اثرهم وفدا على رأسه بعض أشرافهم ، منهم المعلى بن سعد الحمامي ، والحارث بن كلثوم الحديدي ، وسبيعة بن عراك الصليمي الذي كان رئيسهم ، وكلموا أبا بكر الصديق رضي الله عنه في شأنهم ، أو لعلهم كلموا فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إثر توليه الخلافة بعد موت أبي بكر ، فعفا عنهم ولم يأخذ فدية لأسراهم ورد عليه سبيهم(٧).

ومع أن العوتبي ذكر أن العدد كان قليلا ، الا أنه يفهم من ارسال وفد كبير على هذا المستوى وعلى رأسه أشراف أهل دبا على أن هذا العدد كان كبيرا ، ولو كان عددا صغيرا لما اهتم أهل دبا به كل هذا الاهتمام ، ولما تحملوا مشاق السفر وعناءه حتى وصلوا إلى المدينة وشرحوا حقيقة الموقف لأبي بكر أو لعمر رضي الله عنهما . يؤيد ذلك ما ذكره ابن أعثم الكوفي (ت حوالي ٢١٤هـ) من أن خمس السبي وحده بلغ سبعمائة ، يؤيده في ذلك الكلاعي(٨).

فإذا كان خمس السبي على هذا النحو فإن عدد السبي وعدد الأسرى كان لايقل عن ثلاثة آلاف وخمسمائة . وزاد الطبري (ت ٣١٠هـ) على ذلك قائلا ان خمس السبي كان ثمانمائة وأن جملة الأسرى والسبي كان نحو أربعة آلاف(٩).

وسواء صح تقدير ابن أعثم الكوفي أو تقدير الطبري لجملة عدد الأسرى والسبي من أهل دبا ، فإنه ولاشك عدد كبير ، وكان معظمهم من الأزد ومن العتيك بالذات ، وكان فيهم أبو صفرة والد المهلب ، وتحدثنا كتب التاريخ بأن

---

(٧) الأنساب ، جـ٢ ص ١١٠ ، ١١١ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٨) ابن أعثم الكوفي : الفتوح ، جـ١ ص٧٥ ، الكلاعي : الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ ، ص١٨١ .

(٩) تاريخ الطبري ، جـ٣ ص٣١٦ .

أبا بكر أو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قد أطلق سراحهم ولم يأخذ منهم الفدية وقال « لا سباء في الاسلام » بعد أن أكدوا له أنهم لم يرجعوا عن الاسلام وانما شحوا بأموالهم نتيجة لسوء فهم من عامله عليهم(١٠).

المهم ان هذا العدد الكبير من أهل عمان لم يعودوا كلهم الى عمان مرة أخرى ، انما ظلوا في المدينة فترة ، ولم يلبثوا أن رحلوا عنها إلى الأمصار المجاورة للمشاركة في فتحها . وكانت معركة الجهاد قد بدأت بانتهاء حروب الردة ، وكان عمروبن العاص أول من انتدبهم أبوبكر للمعركة الجديدة ، ولابد انه ضم الى جنيشه بعض هؤلاء العمانيين الموجودين في المدينة وقتذاك .

وانضمام من انضم من أزد عمان إلى جيش عمرو بن العاص أمر طبيعي ، فهو يعرفهم حق المعرفة ، ويعرف بلادهم أكثر من غيره من القواد ، فقد عاش بينهم كما قلنا ثلاث سنين ، وعاد من بلادهم وهو يحمل لهم أصدق المودة والمحبة والتقدير . ولابد أن انضمامهم اليه وعملهم تحت قيادته استمر حتى قام بفتح مصر فكانوا معه واشتركوا في فتحها كما سنبينه بعد قليل .

أما القائد الثاني وهو عكرمة بن أبي جهل ، فقد كان له هو الآخر صلة كبيرة ومعرفة عميقة بعمان وأهلها . ذلك أنه كان ضمن القواد الذين أرسلهم أبوبكر الصديق رضي الله عنه الى بلاد عمان للمشاركة في القضاء على التمرد الذي أحدثه لقيط بن مالك الأزدي في مدينة دبا بشمالي عمان ، بهدف استعادة الحكم من بني الجلندي الذين كانوا قد استولوا عليه من أسرته التي ينتمي اليها وهي أسرة مالك بن فهم(١١).

---

(١٠) العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٤١ ، الكلاعي : نفس المصدر ، ص١٨١-١٨٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ص٤٣٦ .

(١١) الطبري : جـ٣ ص٣١٥-٣١٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ص٣٧٢، ٣٧٣، ابن خلدون : تاريخه ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ٤ ص٨٨٥-٨٨٦ ، العوتبي : جـ٢ ص٢٤٦، ٢٥٨ .

المهم ان عكرمة ساعد في القضاء على هذا التمرد ، وانتهى أمر لقيط ومن معه ، وعاد الهدوء والسلام إلى عمان مرة أخرى . وهكذا انتهت مهمة عكرمة بالنسبة لموضوع لقيط ، فماذا فعل بعد ذلك ؟ يحدثنا ابن الكلبي بأن عكرمة لم يرحل توا عن عمان ، وانما ظل في دبا عاملا عليها من قبل أبي بكر رضي الله عنه[١٢]. ولا تزودنا المصادر التاريخية بشيء عن المدة التي قضاها عكرمة في دبا حاكما لها ، ولكن يبدو أنها كانت مدة قليلة ، لأن الأوامر كانت قد صدرت اليه بأن يزحف في جنده ومن تبعه من أهل عمان إلى مهرة ثم إلى حضرموت ثم إلى اليمن للقضاء على من فيها من المتمردين والمرتدين .

زحف عكرمة إلى هذه البلدان ومعه من أهل عمان جنود من الأزد من ناجية ، ومن راسب ، وجنود من عبد القيس وتميم فقضى على التمرد والصراع الذي كان قائما في الشحر بين آل محارب وبين بني مهرة ، ثم على تمرد كندة في حضرموت بمساعدة المهاجر بن أبي أمية الذي كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه قد أرسله اليها أيضا للقضاء على هذا التمرد[١٣].

ولم يحدثنا أحد عن عودة الأزد والمهرة ممن كانوا في جيش عكرمة الى بلادهم بعد أن انتهت مهمتهم في حضرموت واليمن ، وطبيعي أنهم استمروا في البقاء مع عكرمة حتى قفل بهم عائدا إلى المدينة ، للمساهمة في واجب آخر هو واجب الجهاد ضد أعداء الاسلام من الروم البيزنطيين ، وخاصة بعد أن ندب أبوبكر رضي الله عنه العرب لهذا الجهاد واستنفرهم اليه . ويوضح الطبري هذه الحقيقة بقوله : « ان أوائل مستنفري اليمن قدموا على أبي بكر ، ومن بين مكة واليمن وفيهم ذو

---

(١٢) نسب معد واليمن الكبير ، جـ٢ ص١٥٧ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ص٤٣٦ .

(١٣) البلاذري : ص٨٣-٨٤ ، ١٠٥-١٠٦ ، الطبري : جـ٣ ص٣١٥-٣١٧ ، ابن الأثير : جـ٢ ص٣٧٣ ، ابن خلدون : تاريخه ، جـ٤ ص٨٨٦ .

الكلاع ، وقدم عليه عكرمة قافلا وغازيا فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو »[١٤] .

اذن كان في جيش عكرمة عدد من العمانيين الذين كانوا قد شاركوه كما قلنا في القضاء على التمرد الذي كان قائما في المناطق الجنوبية من بلاد العرب ، ولاشك أن عددهم كان يتناسب مع صعوبة هذه المهمة التي قام بها عكرمة في هذه النواحي النائية ، فهو عدد كبير من الأزد والمهرة وغيرهم من أهل عمان . وهكذا عاد عكرمة ومعه هذا العدد الكبير من العمانيين ، وعندما وصلوا إلى المدينة لم يستقروا فيها فترة طويلة ، وانما أرسلهم أبوبكر الصديق رضي الله عنه مددا لحملة كان قد أرسلها من قبل إلى جنوبي بلاد الشام .

ذلك أن الصديق كان قد أرسل خالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش إلى تيماء في شمال بلاد الحجاز ، وأمره أن يرابط فيها وألا يبرحها ، وأن يكون ردءا لمن يغزو بلاد الشام من المسلمين . ولما وصل خالد إلى هذا المكان وأحس الروم به ، استنفر هؤلاء الروم عرب الشام لقتاله ، فنفرت اليه قبائل بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان ، فكتب خالد بذلك إلى أبي بكر الصديق ، فأمره أن يتقدم اليهم ويستنصر بالله سبحانه وتعالى عليهم[١٥] .

ولما صار اليهم خالد ودنا منهم « تفرقوا وأعروا منازلهم » ، وذلك حتى يطمعوه فيهم ويستدرجوه ، وكتب اليه أبوبكر يحذره من ذلك ويخوفه ، ولكنه خالف أمره وخاصة بعد أن أحس بقرب قدوم جيوش من المدينة لفتح بلاد الشام ، فأراد أن يحوز شرفا ومجدا قبل أن تصل هذه الجيوش ، فوقع في الفخ المنصوب له بعد أن كان قد اندفع دون تحسب للعواقب في عمق بلاد الشام ، مما مكن الروم من استدراجه ، ثم لم يلبثوا أن أحاطوا به عند مرج الصفر بين الواقوصة ودمشق ،

(١٤) الطبري : جـ٣ ص٣٨٩ .
(١٥) المصدر السابق ، جـ٣ ص٣٨٧ ـ ٣٩١ .

وأطبقوا عليه وهزموا جنده وقتلوا ولده ، فكر عائدا بمن بقي من رجالة[16].

ولما جاء بخبر هذه الهزيمة الى أبي بكر ، استنفر الجند المقيمين في المدينة لانقاذ اخوانهم من المسلمين . وكان هؤلاء المقيمون يتكونون من أوائل مستنفري اليمن وعمان والبحرين من الذين قدم بهم عكرمة من هذه البلدان . « وكتب لهم أبوبكر الى عمال الصدقات أن يبدلوا من استبدل ، فكلهم استبدل ، فسمي ذلك الجيش جيش البدال ، فقدموا على خالد بن سعيد وعند ذلك اهتاج أبوبكر للشام وعناه أمره »[17].

وتفيدنا هذه الرواية بأن الوافدين من أهل عمان واليمن والبحرين استبدلوا أحصنتهم وتزودوا لهذا الغزو المرتقب بما يتزود به الجند عادة من معدات وسلاح ، وذلك من مخازن الدولة التي كان يقف عليها عمال الصدقات . وبعد أن تهيأ هؤلاء القوم للمسير بما فيهم أزد عمان ومهرتها ، أقبلوا مع عكرمة بن أبي جهل إلى خالد بن سعيد منجدين له في ستة آلاف ، وأقام عكرمة من نفسه ويمن معه من جند عمان وغيرهم ردءا لخالد بن سعيد وللمنهزمين من جيشه ، وتمكن عكرمة من التصدي لباهان قائد جند الروم ، حتى لا يستمر في مطاردة خالد وجنده ، فعاد باهان إلى بلاد الشام دون صدام مع جيش عكرمة ، وأقام عكرمة قرب الحدود الجنوبية لهذه البلاد حتى قدم عليه شراحبيل بن حسنة ومعاوية بن أبي سفيان ، حيث أمر أبوبكر رضي الله عنه بضم من كان مع خالد بن سعيد من جند إلى هذين القائدين[18].

وهكذا انتهت حملة خالد بن سعيد على هذا النحو ولم ينقذه من الهلاك الا

---

(١٦) المصدر السابق ، جـ٣ ص٣٨٧ - ٣٩١ .

(١٧) المصدر السابق ، جـ٣ ص٣٨٩ ، ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق محمد مطيع أباظة ، دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٤ ، جـ١ ص١٨٧ .

(١٨) الطبري : جـ٣ ص٣٩٠ - ٣٩٢ ، ابن خلدون : جـ٤ ص٧٩٩ .

عكرمة وجنده من العمانيين وغيرهم ، ولم يعد عكرمة الى بلاد الحجاز بعد أن أدى هذه المهمة الجديدة ، وانما أقام ردءا للجيوش الوافدة من المدينة الى بلاد الشام . ويعبر الطبري عن ذلك بقوله « وأوعب القواد بالناس نحو الشام وعكرمة ردء للناس »[١٩]، أي مؤمنا لظهورهم وممدا لهم وقت الحاجة .

وبعد أن اطمأن عكرمة إلى دخول هذه الجيوش بلاد الشام ولم يجد من يحاول أن يطعنها من خلفها ، لم يلبث أن انضم بمن كان معه من جند عمان وغير عمان لاخوانهم في جيش شراحبيل بن حسنة ، واشتركوا معهم فيما حدث من صدام مع الروم انتهى بفتح بلاد الشام ، وكان العمانيون مع اخوانهم الآخرين في جيش عكرمة يمثلون قوة كبيرة بلغت حوالي سبع هذا الجيش الذي بلغ عدد أفراده بمن كان قد انضم اليه من قوات خالد بن الوليد القادمة من العراق ستة وأربعين ألفا[٢٠].

يفهم من ذلك كله وفيما سقناه من حديث عن عمرو بن العاص وعن عكرمة بن أبي جهل ، أن العمانيين وخاصة الأزد والمهرة قد وصلوا الى المدينة المنورة عقب البيعة لأبي بكر بقليل ، وكانوا أول من ساهم في الغزوات الاسلامية الأولى ، أو في الحملات التمهيدية الأولى التي أرسلها أبوبكر الصديق رضي الله عنه الى جنوبي بلاد الشام فيما عرف بحملة عبد بن الجلندي ، وحملة خالد بن سعيد بن العاص . ولم يلبث هؤلاء العمانيون ومن قدم من اخوانهم بعد ذلك من عمان أن ازدادوا في الجيوش الاسلامية التي تولت مهمة فتح بلاد الشام ، مثل جيش شراحبيل بن حسنة ، وهو قائد عظيم ينتمي الى كندة أو الأزد[٢١]، وجيش

---

(١٩) الطبري : جـ٣ ص٣٩٢ .
(٢٠) المصدر السابق ، جـ٣ ص٣٩٢ - ٣٩٥ .
(٢١) المصدر السابق ، جـ٣ ص٤٠٦ .

عكرمة بن أبي جهل الذي كان يتكون من ستة آلاف رجل[٢٢]، وجيش عمرو بن العاص الذي كان يتكون من ثلاثة آلاف رجل . وكان لهؤلاء العمانيين من أزد ومهرة وغيرهم ممن لم تذكرهم كتب التاريخ من مواقف البطولة والشجاعة في المعارك التي خاضوها ضد الروم ما تحدثت به كتب التاريخ[٢٣] .

انتهت أحداث فتح بلاد الشام (سوريا ولبنان) على يد خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم ، وفتحت فلسطين على يد عمرو بن العاص ، والأردن على يد شراحبيل بن حسنة . وتطلع المسلمون إلى فتح جديد يؤمن وجودهم في بلاد الشام ويقضي على بقية الجيوش البيزنطية التي مازالت ترابط في مصر وشمال افريقيا متصدية للدعوة الاسلامية بكل عنف وشراسة ، ولذلك فكر المسلمون في فتح مصر .

---

(٢٢) المصدر السابق ، جـ٣ ص٣٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ص١٥٧ .

(٢٣) من أبطال الأزد في معارك فتح الشام الملقام بن الحارث الأزدي العتكي ، من العتيك من أهل عمان ، وكان بطلا من أبطال الجاهلية ، وكان يعد بألف فارس ، وفد مع سبعين من قومه وبني عمه الى أبي بكر وانضم لجيش هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الذي كان أبوبكر قد أعده نجدة لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عندما تكاثر عليه الروم في بلاد الشام .
انظر : كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ، جـ١ ص١٠٣-١١٦ .
ولم يلبث أبوبكر أن أنجد أبا عبيدة أيضا بخالد بن الوليد الذي كان يقاتل الفرس في بلاد العراق ، وكان جيش خالد يحتوي هو الآخر على عدد من الأزد . يدل على ذلك اشارة وردت عند ابن أعثم الكوفي (جـ١ ص١٣٩-١٤٠) تفيد بأن خالدا أرسل كتابا إلى أبي عبيدة يخبره بسرعة قدومه اليه مع رجل من الأزد يسمى عمروبن الطفيل أو طفيل بن عمرو طريف الأزدي الدوسي . ودوس كما هو معروف قوم مالك بن فهم مؤسس دولة الأزد في عمان (انظر : ابن حزم : ص٣٧٩) ، وعندما خاضت قوات المسلمين معركة أجنادين بقيادة خالد بن الوليد ومعه أبوعبيدة بن الجراح ، كانت هذه القوات تضم رجالا من الأزد ، وتفيدنا الأخبار باستشهاد بعضهم في بداية هذه المعركة مثل هبار بن سفيان الأزدي ، وعبدالله بن عمرو الدوسي .
انظر : ابن أعثم : جـ١ ص١٤٧ .
وفي معركة اليرموك الفاصلة كانت الأزد في القلب وحمير وهمدان ومذحج وخولان وخثعم وكنانة وقضاعة ولخم وجذام وحضرموت ميمنة وميسرة (ابن أعثم : جـ١ ص٢٥٥) . وقد افتتح المعركة الهائلة شاب من الأزد حدث السن كان قد طلب من أبي عبيدة أن يبارز أحد فرسان الروم لعله يرزق الشهادة . فسمح له أبوعبيدة بعد الحاح شديد ، واستطاع هذا الجندي الأزدي الشاب أن يصرع أربعة من مبارزي الروم ، وتمكن الخامس من قتله رحمه الله . عندئذ غضبت الأزد لقتل صاحبهم ودنوا من صفوف الروم ودارت رحى الحرب ، وقاتل الأزد قتالا شديدا حتى فشى فيهم القتل ، فأصيب منهم عدد كبير بعد حدوث تراجع من بعض القوات الاسلامية ، وصمد الأزد للروم حتى لا ينكشف المسلمون ، فتلقوا الصدمة بأنفسهم واستشهد منهم مالم يستشهد من غيرهم من القبائل ، وانتهت هذه المعركة بانتصار ساحق للمسلمين ، وانسحب ماهان قائد جند الروم بمن بقي معه من جند الى شمال سوريا يجر أذيال الخيبة والفشل ، فلحقه خالد بن الوليد عند حمص ، ووضع في رجاله السيف ، وتمكن أزدي يدعى النعمان بن علقمة من قتل هذا القائد الرومي الكبير بمشاركة رجل آخر من يربوع يسمى عاصم بن حوال .

ولم يكن هناك الا عمرو بن العاص الذي اختارته الأقدار كي يقوم بهذه المهمة .

أولا ، لأنه فاتح فلسطين وهي أقرب بلدان الشام إلى مصر ، كما أنها تشترك معها في الحدود البرية والبحرية .

وثانيا ، لأن عمرو بن العاص كان أدرى بغيره من قواد العرب بمصر وأحوالها وكان عارفا بطرقها ومسالكها ، ذلك أنه كان يذهب اليها للتجارة في الجاهلية ، وقد توغل فيها حتى وصل الى الاسكندرية ، ولولا معرفته بها على هذا النحو لما غامر بالقدوم اليها وهو في ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي فقط[٢٤] . ولذلك كان هو القائد الوحيد الذي طلب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قدم إلى الجابية من أرض الشام في المرة الثانية في عام ١٦هـ/٦٣٧م ، أن يأذن له بفتح مصر ، لأن فتحها قوة للمسلمين وحماية لهم من خطر الروم[٢٥] ، وتوسيعا لمعركة الجهاد في سبيل الله لا بقصد الحصول على الغنائم والأموال ولكن حبا في تبليغ دعوة الاسلام[٢٦] .

وكما كان عمرو بن العاص أعرف القواد المسلمين بمصر ، فقد كان أيضا أعرفهم بعمان والعمانيين كما أسلفنا ، خاصة بعد أن كان عكرمة بن أبي جهل وهو القائد الثاني العارف لعمان والعمانيين قد استشهد في معركة اليرموك[٢٧] . ولذلك ليس غريبا أن يحتوي جيش عمرو بن العاص على عدد كبير من أزد عمان ومهرتها ممن شاركوا في معركة الجهاد في بلاد الشام .

انظر : ابن أعثم الكوفي : جـ١ ص ٢٥٧-٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، الحميري : الروض المعطار ، ص٦١٨ .

(٢٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، مكتبة المثنى ، بغداد ، طبع ليدن ، سنة ١٩٢٠ ، ص٥٣-٥٥ ، الكندي : تاريخ ولاة مصر وقضاتها ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٧ ، ص١٣ .

(٢٥) اليعقوبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٤٧-١٤٨ ، ابن عبدالحكم ، نفس المصدر ، ص٥٦ ، الكندي : نفس المصدر ، ص١٤ .

(٢٦) انظر ما قالة عبادة بن الصامت رضي الله عنه للمقوقس حاكم مصر البيزنطي أثناء مفاوضاته معه بخصوص تبليغ الدعوة وعدم حب الدنيا . ابن عبدالحكم : ص٦٦-٦٨ .

(٢٧) الطبري : نفس المصدر ، جـ٣ ص٣٩٤ ، ابن خلدون : نفس المصدر ، جـ٤ ص٩٠١ .

وفي هذا الصدد تطالعنا رواية تقول بأن جيش عمرو بن العاص الذاهب لفتح مصر كان يتكون من أربعة آلاف كلهم من عك[٢٨]، ورواية أخرى تقول بأن ثلثهم كان من غافق[٢٩]. والحقيقة أن جيش عمرو بن العاص الذي توجه به إلى مصر كان يتكون من عرب الجنوب بصفة عامة ، وهذا يتوافق مع أحداث الفتح كما سنشير اليها ، وأيضا مع أوامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاص عندما كتب اليه بعد أن أذن له بفتح مصر يقول له أن « يندب الناس للمسير معه إلى مصر ، فمن خف معه فليسر به »[٣٠].

والندب أو الانتداب لا يأتي بالناس من قبيلة واحدة ، وانما يأتي بهم من قبائل شتى ، ذلك لأن الخليفة لم يأمره بأن يجند قبيلة بذاتها في جيشه ، وانما أمره أن يندب الناس جميعا ، فمن كانت لديه الرغبة فالطريق مفتوح أمامه للانضمام ، ومن كانت رغبته في غير ذلك فهو في حل من أمره . وهذا معناه أن جيش عمرو بن العاص لم يكن كله من عك وانما كان من قبائل مختلفة ، ومعنا على ذلك دليلان :

الأول هو قول ابن عبدالحكم وهو من أعطانا أقدم وأوثق رواية عن تاريخ فتح مصر حيث يقول : « وأقبل عمرو بن العاص حتى اذا كان بجبل الحلال نفرت معه راشدة وقبائل من لخم ، فتوجه عمرو حتى إذا كان بالعريش . . . الخ »[٣١].

والدليل الثاني يمكن أن نستقيه من أسماء الخطط أو الأحياء التي اختطتها قبائل الفتح في مصر . فمنها خطط بلي والأزد ومهرة ولخم وغافق والصدف ويحصب وتجيب وخولان ومذحج وحمير ونافع ورعين والمعافر ، والأشعريين والسكاسك وبني

(٢٨) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٥٦ ، اليعقوبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٤٨ .
(٢٩) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٥٦ .
(٣٠) المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(٣١) فتوح مصر وأخبارها ، ص٥٨ .

وائل وهمدان وقريش[٣٢]. وهذا أوضح دليل على أن جيش الفتح لم يكن كله من علك ، وانما كانت علك احدى فصائله أو فرقه الكبيرة .

وحتى لو كان الجيش كله أو معظمه من علك وغافق ، وهو أمر غير صحيح كما بينا ، فإن غافقا نفسها من الأزد من ولد عمرو بن مازن[٣٣]، وكذلك علك حيث يعدها معظم علماء الأنساب من قبائل الأزد[٣٤]، ويشير كتاب محدثون الى أن بعضا من هذه القبيلة كان يعيش في عمان مع الأزد ، ويستدلون على ذلك بأن هناك واديا في ولاية سمائل في عمان على بعد نحو خمسين ميلا من العاصمة يسكنه الندابيون ويسمى « وادي علك »[٣٥]، يؤيد ذلك ما ورد عند مايلز وكذلك في كتاب المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة عمان من ذكر وادٍ يسمى « وادي العق »[٣٦]، ولعله هو نفسه وادي علك ، ثم حرف اللفظ بمرور الأيام .

وعلى أية حال ، فإن جيش عمرو بن العاص لم يكن كله من علك وغافق ، وانما كان يضم أيضا قبائل أخرى ، وكان الأزد والمهرة يشكلون جانبا كبيرا فيه . والدليل على ذلك ان أوثق الروايات تعطينا أسماء عدد من الأزد والمهرة ممن شاركوا في فتح مصر . ويأتي على رأس الأزد من هؤلاء الفاتحين ، ذلك القائد الكبير جنادة بن أبي أمية الدوسي الأزدي ، فهو من جماعة مالك بن فهم وقبيله . وهو أيضا من عبرة بن زهران الذي تنتسب اليه قبائل كثيرة في عمان مازالت تحمل اسم

---

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٩٩-١٢٨ .

(٣٣) ابن دريد : الاشتقاق ، ص٤٨٥ .

(٣٤) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٥٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٦ ، جـ٣ ص١١٢ ، ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٧٥ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٤٧ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص٣٩٨ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ١ ص٢٩٨ . هذا ويشير القلقشندي وهو متأخر عن هؤلاء المؤرخين كثيرا بأن علك من عدنان (قلائد الجمان ص١٠٩) ، وربما كان هذا القول مستقى من رأي آخر لابن حزم ورد في كتاب جمهرة أنساب العرب ، ص٣٢٨ .

(٣٥) مايلز : نفس المرجع ، ص ٢٠ ، خالد بن يحيى العربي : الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان ، مكتبة الدار القومية للكتاب العربي ، بغداد ، سنة ١٩٨٦ ، ص٢٦ .

(٣٦) مايلز : نفس المرجع ، ص٢٠ ، المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة عمان ، مسقط ، سنة ١٩٨٢ ، ص١١٩ .

العبري حتى الآن[٣٧] ويعيشون في ولايات عديدة منها ولاية الحمراء وولاية الرستاق ، بل ان هناك في عمان ولاية تحمل نفس الاسم وتسمى ولاية عبري بمنطقة الظاهرة ، ويوجد بها من المدن والقرى مائة وست عشرة قرية ومدينة[٣٨]

إذن فقائدنا جنادة في الغالب من أصل عماني ، وكان له ولأبيه صحبة ، ولم يلبث أن رحل مجاهدا ضمن من رحلوا من الأزد والمهرة إلى بلاد الشام ، وسكن الأردن ، ثم قدم مع عمروبن العاص مع من قدم معه من المهرة والأزد لفتح مصر ، وساهم بطبيعة الحال في المعارك التي خاضها عمروبن العاص في مصر ، وكان ضمن رجال عبادة بن الصامت الذي كان عمرو قد كلفه بفتح مدينة الاسكندرية معقل الروم في مصر وعاصمة ملكهم فيها[٣٩].

وحدث أن هاجم الروم نفرا من المسلمين المرابطين حول حصن الاسكندرية ، فرد عليهم هذا النفر بالهجوم دون اذن من قائدهم عبادة بن الصامت ، ولم يجد عبادة أشجع ولا أقوى من جنادة الأزدي كي يحجز بين الفريقين ، فأمره أن يقوم بذلك . ويقول جنادة انه صدع بهذا الأمر « فأتيتهم فحجزت بينهم ثم رجعت اليه »[٤٠].

وبعد انتهاء فتح مصر عاد هذا القائد الأزدي الى بلاد الشام ، واستشهد هناك كقائد من أعظم قواد البحرية الاسلامية في عهد معاوية بن أبي سفيان ، فقد « كان على غزو البحر أيام معاوية كلها » ، ففتح جزائر رودس وأرواد

---

(٣٧) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٨٦ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٧٦ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٤ ص١٤٠ ، سالم بن حمود السيابي : العنوان ، ص١١٥ .

(٣٨) المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة عمان ، ص٨٧ ، ٨٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧-١٤٣ .

(٣٩) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٩٥ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص١٨٠ ، ابن منظور : نفس المصدر ، جـ٦ ص١١٨-١٢٠ .

(٤٠) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٨٠ .

وكريت[٤١] ، وتوفي في عام ٦٧هـ/٦٨٦م أو عام ٨٠هـ/٦٩٩م ، وهو الأرجح[٤٢].

وبجانب جنادة وغيره من الذين شاركوا من الأزد في فتح مصر ، ابن حوالة الأزدي الذي صحب النبي ﷺ ، وقدم الى مصر مع عمرو بن العاص وساهم معه في فتحها[٤٣]، وان كنا لا نعرف طبيعة دوره وحدود هذا الدور ، وهل كان من القادة أم من الجند ، فقد صمتت المصادر عن ذلك كل الصمت .

وكـذلـك شارك في فتـح مصر من الأزد صحـابي آخـر هو أبـو فاطمـة الأزدي[٤٤]. وقد ظل هذا الصحابي في مصر بعد فتحها حتى شارك في غزوة ذات الصواري في عام ٣٤هـ/٦٥٤م تحت قيادة والي مصر آنذاك عبدالله بن سعد بن أبي السرح ، واختط في الفسطاط دارا تسمى دار الدوسي التي ينتمي اليها البطل العماني مالك بن فهم ، كما اختط الدار التي كان يسكنها أصحاب الحمائل في أيام أبي القـاسم عبـدالـرحمن بن عبـدالله بن عبدالحكيم صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها والمتوفى عام ٢٥٧هـ/٨٧١م[٤٥].

أما مالك بن أبي سلسلة السلامي الأزدي ، فقد شارك في المعركة الفاصلة التي دارت عند حصن بابليون ، كما شارك في اقتحام الحصن نفسه عندما استطال عمرو بن العاص طول فترة الحصار الذي كان قد ضربه على هذا الحصن .

وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه قد وضع خطة لفتح الحصن بأن وضع سلما إلى جانبـه من ناحية سوق الحمام وطلب من المسلمين أن يكبروا جميعا إذا

---

(٤١) المصدر السابق ، ص٨٠ ، ٣٠٦ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص١٨٠ ، البلاذري : نفس المصدر ، ص٢٣٧ ، الطبري : نفس المصدر ، جـ٥ ص٢٢٨-٣٢٢ ، ابن الأثير : جـ٣ ص٤٩٣ ، ٤٩٧ ، جـ٤ ص٥ ، ٤٥٦ ، ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٦ ، جـ٢ ص٩٩ .

(٤٢) البلاذري : نفس المصدر ، ص٢٣٧ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص١٨٠ ، ابن الأثير : نفس المصدر ، جـ٣ ص٢٨٠، ٤٥٦ .

(٤٣) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢١١ .

(٤٤) ابن سعد : نفس المصدر ، جـ٧ قسم ٢ ص١٩٨ .

(٤٥) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١١٠ .

سمعوا تكبيره ، وصعد على السلم لاقتحام الحصن من أعلاه . ولم يكن الزبير وحده في هذه المحاولة التي تعرض صاحبها غالبا للشهادة ، وانما كان معه ذلك . الأزدي مالك بن أبي سلسلة السلامي ، ورجال آخرون . وعندما وصل الزبير ومن معه على سطح سور الحصن من أعلاه ، رفعوا أصواتهم بالتكبير ، فكبر المسلمون جميعا ، وظن أهل الحصن من الروم والقبط أن المسلمين نجحوا في اقتحام حصنهم فتخاذلوا وفروا هاربين ، وتمكن الزبير وصاحبه الأزدي ورجاله الآخرون من النزول وفتح باب الحصن ، فاقتحمه المسلمون وأسقط في يد المقوقس الذي أرسل يطلب الصلح على أن يدفع القبط للعرب الجزية دينارين عن كل رجل منهم ، فاستجاب له عمرو بن العاص ، وعقد الصلح معه بناء على ذلك(٤٦) .

وهناك أيضا رجال آخرون من الأزد شاركوا في فتح مصر ، منعم سبيع الحجري(٤٧) والحجري نسبة إلى الحجر بن عمران بن عمرو مزيقياء ، الذي كان قد هاجر مع أبيه عمران ومع أخيه الاسود (الأسد) الى عمان كما قلنا من قبل ، ولازالت منازلهم في بدية في ولاية الشرقية بعمان حتى الآن(٤٨)، ولازال أيضا اسم الحجري من الأسماء العائلية في مصر(٤٩) . ومنهم بشير بن جابر بن عوف عراب بن عدنان من الأزد ، وكانت له صحبة لرسول الله ﷺ ، ولكنه لم يرو عنه(٥٠) . ورجال آخرون من همدان ويافع وقتبان(٥١) .

---

(٤٦) المصدر السابق ، ص٦٣ - ٦٤ .
(٤٧) السمعاني : نفس المصدر ، جـ١ ص٣٩٦ .
(٤٨) سالم بن حمود السيابي : العنوان ، ص١٢٣ ، الاعلام للزركلي ، جـ٢ ص١٦٩ .
(٤٩) معجم أسماء العرب ، جـ١ ص٣٧٤ .
(٥٠) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص٣٩٨ .
(٥١) قتبان بطن من رعين من حمير ، ولعل قتب عمان من هؤلاء ، فربما كان القتبي تحريفا لاسم القتباني ، مثلما نقول الجلندي والجلنداني ، وقد أشار السمعاني الى عدد كبير من القتبانيين شاركوا في فتح مصر واستقروا فيها ، منهم المفضل بن فضالة بن عبيد القتباني ، وأبو حذيفة شيبان بن أمية القتباني وغيرهما .
انظر : السمعاني : نفس المصدر ، جـ١ ص٤٤٩-٤٥٢ .

وإذا كانت كتب التاريخ لم تعطنا الا هذه الأسماء من الأزد الذين شاركوا في فتح مصر ، فإنها أعطتنا شيئا آخر على جانب كبير من الأهمية ، ويدل دلالة مؤكدة على مدى ثقل الأزد ووزنهم في الجيش الفاتح لمصر . وهذا الشيء الهام هو أسماء الخطط (الأحياء) التي اختطوها ونزلوها واستقروا فيها واتخذوها لهم سكنا وموطنا عقب الفتح ، سواء في مدينة الفسطاط التي بناها عمرو بن العاص أو في مدينة الجيزة والاسكندرية وغيرهما من مدن مصر .

وباستعراض أسماء القبائل التي اختطت في مدينة الفسطاط وحدها ، نجد أنها تشمل حوالي خمس عشرة خطة لخمس عشرة قبيلة ، منها خطة للأزد ، وخطة لمهرة ، وخطة لغافق(٥٢) . وغافق من دوس من الأزد(٥٣)، ودوس هو الجد الثاني لمالك بن فهم(٥٤) طارد الفرس ومؤسس الدولة العربية في عمان قبل ظهور الاسلام بعدة قرون كما سبق القول . وعلى ذلك فإن هؤلاء الأزد بالاضافة إلى المهرة كانوا يشكلون خمس عدد القبائل المشاركة في الفتح ، هذا بحساب عدد القبائل ، فإذا أخذنا بعدد الأفراد الذين كانوا يشكلون هذه القبائل ، نجد أن عدد الأزد والمهرة كان كبيرا . يستفاد ذلك من خططهم وسعتها . فقد كانت القبائل في تلك الفترة تختط بحسب عدد أفرادها . فإذا كانت القبيلة كبيرة العدد كانت خطتها كبيرة المساحة واسعة الأرجاء ، وربما كان لها أكثر من خطة ، وهذا ما حدث للأزد والمهرة ، فقد كانت خططهم كبيرة وواسعة وعديدة .

وفيما يختص بالأزد ، فقد كانت لهم خطة واسعة في جنوبي الفسطاط فيما بين الجبل المعروف بجبل المقطم الآن ، ونهر النيل . ويبدو أن جزءا من هذه الخطة

(٥٢) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٩٩-١٢٨ .
(٥٣) المصدر السابق ، ص١٢١ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٢٩٨ .
(٥٤) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٧٩ .

كان مناخا للجمال والخيل في بداية الفتح ، ولذلك سميت باسم اصطبل الأزد ، من باب اعلان اسم الجزء على الكل . وقد بني في هذا الاصطبل فيما بعد في عهد عبدالعزيز بن مروان والي مصر (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م) قصر كبير عرف باسم قصر عمر بن مروان ، وذلك بعد أن اشترى عبدالعزيز بن مروان أرض هذا القصر من الأزد وبني فيه ذلك القصر ، ووهبه لأخيه عمر بن مروان ، فسمي القصر باسمه(٥٥).

كما بني في خطة الأزد التي نتحدث عنها مسجد يعرف باسم مسجد العيثم ، بناه الحكم بن ابي بكر بن عبدالعزيز بن مروان . وكان يصرف للقارىء الذي كان يقرأ في مصحف المسجد ثلاثة دنانير كل شهر من كراء الاصطبل(٥٦).

ولأن خطة الأزد كانت مكانا واسعا يمتد كما قلنا في جنوبي الفسطاط من نهر النيل غربا الى جبل المقطم شرقا ، فانها اشتملت على بركة واسعة تحف بها أراضي زراعية وجنان واسعة . وقد عرفت هذه البركة باسم بركة المغافر وببركة حمير وباصطبل قرة ، وهو قرة بن شريك والي مصر (ربيع الأول ٩٠ - ربيع الأول ٩٦هـ/ فبراير ٧٠٩ - نوفمبر ٧١٤م) . وكان هذا الوالي قد استنبتها وأحياها وغرسها قصبا فعرفت باصطبل قرة ، وعرفت أيضا باصطبل قامش ، والقامش هو القصب . وأخيرا عرفت باسم بركة الحبش(٥٧) في عهد المقريزي الذي يقول بأنها

(٥٥) ويقال ايضا ان وردان مولى عمرو بن العاص هو الذي اختط هذا القصر . وفي عهد معاوية بن أبي سفيان طلب صاحب الخراج من معاوية أن يجعل له منزلا قريبا من الديوان . فكتب معاوية الى مسلمة بن مخلد واليه على مصر (ربيع الأول ٤٧ - رجب ٦٢هـ/ مايو ٦٦٧ - ابريل ٦٨٢م) أن يشتري لصاحب الخراج منزل وردان ، وأن يعوض وردان عنه بمكان آخر بالفسطاط . مما يدل على أن خطة الأزد المعروفة باسم الاصطبل كانت تمتد قرب قلب الفسطاط ، لأنها كانت قريبة من الديوان ، والديوان كان يبنى عادة أو يتخذ بجوار المسجد الجامع وبيت الوالي .
انظر : ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٩٨ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص١٥٢ .

(٥٦) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١١٧ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص١٥٢ .

(٥٧) ربما يعود تنوع أسماء البركة المذكورة أعلاه إلى وقوع أراضي لقبائل أخرى غير الأزد تطل على هذه البركة ، فسميت البركة بأسماء هذه القبائل . أما اسم بركة الحبش ، فيبدو أنه نسبة الى رجل يسمى قتادة بن حبشي الصدفي شهد فتح مصر ، وكانت له جنان واسعة كانت تقع جنوب هذه البركة .
انظر : المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص١٥٢ .

كانت من أشهر برك مصر ، ويخبرنا بأنها دخلت في حوزة أبي بكر محمد بن علي المارداني فجعلها وقفا على بني الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ولم تزل موقوفة عليهم حتى عصره[٥٨].

وفي داخل الفسطاط كانت للأزد أيضا خطط كثيرة ، منها خطة في شمال الفسطاط بجوار خطة لخم تسمى خطة الأزد ، وكانت تقع عند دور أبي مريم . وقد خصص جزء من خطة لخم نفسها لحجر من الأزد ، وكان بجوار خطة الحجر هذه مسجد يسمى مسجد حاء يقع في طريق ينتهي بخطة أخرى للأزد تعرف بخطة خيثم ومازن ، وكانت هذه الخطة تلي دار ابن فليج في وسط الفسطاط ، وكانت خطة تنوخ تأتي بعدها مما يلي دار البراء بن عثمان بن حنيف . ثم تلقى بعد ذلك خطة خامسة للأزد تسمى خطة مهرة ، وكانت هذه الخطة تقع بعد دار ابن برمك التي كان الوكلاء ينزلون فيها ، وكانت خطة واسعة . ذلك أنها كانت تمتد من الزقاق والرحبة ومسجد عبدالله الى دار ابن الهيثم الأيلي ، وتشمل ما بينهما حتى زقاق أشهب . وما كان عن يمين هذا الزقاق في اتجاه الموقف كان لغافق من الأزد ، وما كان عن يساره فهو أيضا للأزد حتى تصل دورهم الى الموقف[٥٩].

ومضت الأزد في البنيان والعمارة حتى أخذت المناطق التي تقع بين السويقة التي تقع تجاه دار سعيد بن عفير وزقاق الرواسين من جهة وحتى دار حوى ودار عبدالرحمن بن هاشم من جهة أخرى . وكانت المنازل التي تقع على يمين الذاهب الى المسجد الجامع أي جامع عمرو بن العاص ، فللأزد ، وما كان عن يساره مما يلي محرس أبي حبيب كانت لهم أيضا[٦٠].

---

(٥٨) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص١٥٢ .
(٥٩) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١١٩-١٢٠ .
(٦٠) المصدر السابق ، ص١٢٠ .

وعند داري حوى التي أشرنا اليها تجد منازل أخرى للأزد ، وهي منازل بني شبابة[٦١] ، وشبابة كما هو معروف هو شبابة بن مالك بن فهم من عمان ، وهو الذي جاء منه بطن الفراهيد ، كما جاء منه آل شبيب ، وهو شبيب بن رفد بن شبابة بن مالك بن فهم ، فشبابة وشبيب عمانيون ، وهم يعيشون فيها حتى الآن[٦٢] .

وشبابة هؤلاء غير شبابة من فهم من عرب الشمال الذين كانت لهم أيضا خطة تقع في الشارع الرئيسي عند انتهاء درب حوى . وكان لبني شبابة الأزديين مسجدان ، أحدهما مسجد ذو منارة أي مئذنة ، ويقع عند سقيفة تسمى سقيفة تركي ، ومسجد آخر في رحبة تسمى رحبة السوسي . وإذا هبط السائر من درب حوى البحري ، فإنه يجد نفسه في خطة هذيل . وكانت منازل دهنة الأزدية[٦٣] تقع على يسار هذه الخطة وتمتد حتى تلتقي بخطة يشكر اللخميين في جبل يشكر . وقد اختطت غافق الأزدية خطة كبيرة تقع بين مهرة في الجنوب ولخم في الشمال ، ومضوا بخطتهم حتى برزوا إلى الصحراء مما يليْ الموقف[٦٤] .

كما اختط بنو بحر مما يلي بلي . وكانت خطة بلي تقع على يمين راية عمرو بن العـاص ، لأن أم العاص بن وائل كانت بلوية ، فأتى بنو بحر وهم من الأزد وأقاموا خطتهم بجوار خطة بلي[٦٥] . وبحر الأزد اما ينتسبون الى بحر بن شادي بن اليحمد ، أو الى بني بحر الذين في بني هناءة بن مالك بن فهم ، وكلا الفريقين

---

(٦١) المصدر السابق ، ص١٢٠ .

(٦٢) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٧٣ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٣٩ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص٣٩٥، ٣٩٩ ، سالم بن حمود السيابي : العنوان ، ص١٣١ ، معجم أسماء العرب ، مادة «الشبيبي» ، جـ١ ص٩٠٠ .

(٦٣) دهنة : اما أنها فخذ من بني الهنو بن الأزد ، أو بطن من بني زهران بن نصر بن الأزد الذين ينتمي اليهم كثير من أزد عمان ، أو بطن من غافق من عك من الأزد . انظر ، عمر رضا كحالة : جـ١ ص٣٩١ .

(٦٤) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٢٠-١٢١ .

(٦٥) المصدر السابق ، ص١١٦ .

من أزد عمان(٦٦) . وكانت خطة بني بحر هؤلاء خطة واسعة ، إذ أن ابن عبدالحكم يقول انهم « شرعوا الى البحر » ، أي مدوها غربا الى نهر النيل ، ثم اختطت بعدهم الحمراء أي الأعاجم الذين أسلموا وأتوا مع عمرو بن العاص من الشام الى مصر للمساهمة في فتحها . وعلى ذلك فإن خطة بني بحر الأزديين العمانيين كانت تقع بين خطة بلي وخطة الحمراء(٦٧) .

يضاف إلى ذلك خطة لسلامان ، وهي خطة امتدت إلى البحر أيضا أي إلى نهر النيل حتى جنان حوى(٦٨) . وسلامان من الأزد فهم ولد سلامان بن عوف بن ميدعان بن مفرج بن مالك بن زهران ، أو ولد سلامان بن أفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء . وقد ظهر من بني سلامان هؤلاء شاعر أثناء ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري لمصر (٤٧-٦٢هـ/ ٦٦٧-٦٨٢م) يسمى عابد بن هشام الأزدي السلاماني(٦٩) .

وقد اختطت شجاعة الأزدية العمانية أيضا في الفسطاط . وقد أشار ابن الكلبي الى هذا البطن من الأزد وقال انه بطن عظيم ينتمي الى شجاعة بن مالك بن كعب ، من نصر بن الأزد(٧٠)، وتحدث ابن عبدالحكم عن خطتهم عندما تكلم عن خطة الحجر الأزديين(٧١)، فقال ان خطة شجاعة موجودة بسقيفة الغزل في الطريق إلى المسجد الجامع بالفسطاط(٧٢)، وذكر العوتبي كثرة عددهم فقال ان عدد من استقر من شجاعة في مصر كان كبيرا(٧٣) .

(٦٦) سالم بن حمود السيابي : العنوان ، ص١٢٢ .
(٦٧) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١١٦ .
(٦٨) المصدر السابق : ص١١٦-١١٨ .
(٦٩) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٤٧٤ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٦٠ ، الكندي : نفس المصدر ، ص٣٦-٣٨ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص٣٤٨ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص٢٤٨ ، عمر رضا كحالة : نفس المرجع ، جـ٢ ص٥٣٠، ٥٣١ .
(٧٠) نسب معد واليمن الكبير : جـ٢ ص١٩٩ .
(٧١) تاريخ فتوح مصر وأخبارها ، ص١١٧ .
(٧٢) المصدر السابق ، ص١٢٠ .
(٧٣) الأنساب ، جـ٢ ص١٦٩ ، ١٧٥-١٧٦ .

ومن القبائل الأخرى التي هاجرت الى مصر واختطت بالفسطاط آل الرواس ، فقد كان لآل الرواس أو الرواسين زقاق في الفسطاط يعرف باسمهم[٧٤] ، والرواس من آل كثير ، وآل كثير احدى القبائل الرئيسية في ظفار[٧٥]، وهي ظفار عمان لا ظفار اليمن . ويقول الطبري الذي عاش معظم سني عمره في القرن الثالث للهجرة وتوفي عام ٣١٠هـ/٩٢٢م وهو شيخ المؤرخين وعمدتهم أن بني كثير من الأزد[٧٦]، يفهم ذلك أيضا من قول الهمداني المتوفى عام ٣٣٤هـ/٩٤٥ من أن كثيرا من ولد نصر بن الأزد لحقوا بنواحي الشحر وريسوت[٧٧] ولعل بني كثير من بقايا هؤلاء الأزد الذين استقروا في هذه النواحي منذ تفرق الأزد وهجرتهم إلى عمان بقيادة مالك بن فهم ، خاصة وان الموجة الأولى من هذه الهجرات والتي قادها هذا الزعيم الأزدي كانت من بني نصر بن الأزد كما سبق القول ، ولذلك فإن نسبة بني كثير إلى الأزد كان أمرا معروفا فيما تلا ذلك من عصور حتى اننا نرى ياقوت الحموي الذي أتى بعد الطبري والهمداني بأربعة قرون يؤكد هذا المعنى ويقول ان بني كثير قبيلة من الأزد[٧٨].

وإذا كان الأمر كذلك فإن آل الرواس من الأزد على اعتبار أنهم من بني كثير ، ولذلك هاجروا مع اخوانهم من الأزد الآخرين الى مصر ، ومازال اسم الرواس يستخدم كاسم عائلي حتى الآن في عمان ومصر ، مما يدل بشكل مؤكد

---

(٧٤) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٢٠ .

(٧٥) خالد بن يحيى العربي : نفس المرجع ، ص٣١٧ .

(٧٦) تاريخ الطبري : نفس المصدر ، جـ٥ ص٣٧٠ .

(٧٧) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٣٣٠ .

(٧٨) معجم الأدباء ، مجلد ٧ جـ١٣ ص١٣ .
قارن هذا بما قاله الاستاذ/ عمر رضا كحالة في معجمه (جـ٣ ص٩٧٨) من أن (آل كثير) بطن من شبيب بن قيس ، من أرحب ، من همدان ، أو أنهم قبيلة من أعظم قبائل حضرموت ، دون أن يشير إلى نسبتها . وما قاله أصحاب معجم أسماء العرب الذي صدر أخيرا في مسقط من أن آل كثير بطن من مرة بن ذهل ، من بكر ، من وائل ، من العدنانية (أنظر ، جـ٢ ص١٤٤٤ مادة الكثيري) ، وما قالوه أيضا (جـ١ ص٦٩١ مادة رواس) من أن الرواس قبيلة من سليم من منصور ، من العدنانية .
ولاشك أننا نرجح ما ذهب اليه الطبري وياقوت حسبما سقناه في المتن ، لأن الطبري أقدم من المصادر التي استند اليها من قالوا بهذه الآراء .

على هجرة نفر منهم من عمان الى مصر ربما في زمن الفتح أوبعده بقليل ، حيث كانت لهم في الفسطاط خطة تحمل اسمهم أشار اليها ابن عبدالحكم ، وقال انها كانت تقع بجوار سعيد بن عفير ، كما قال ان ديار الأزد كانت تمتد إلى ديار آل الرواس[79] ، على اعتبار أن القبيلتين من عمان ، وكانت القبائل المهاجرة من بلد واحد تتجاور غالبا في السكنى والاقامة .

وهكذا نجد أن خطط الأزد تقع في أكثر من مكان ، في شمالي الفسطاط ، وفي وسطها ، وفي جنوبها ، ولم يقتصر تواجد الأزد على هذه الخطط التي أشرنا اليها والتي استقلوا بها وكانت خالصة لهم وحدهم . فقد استقر بعضهم ضمن خطط أخرى . ومن أشهر هذه الخطط التي شارك فيها الأزد خطة اللفيف . وقد سمي أهل هذه الخطة أو هذا الحي بذلك الاسم لالتفاف بعضهم ببعض واجتماعهم معا في خطة واحدة . وقد اشتملت هذه الخطة ضمن ما اشتملت على بعض الأزد من الحجر ومن غسان ومن شجاعة ، وكذلك على نفر من قبائل أخرى[80] .

أما السبب الذي جعلهم يلتفون وينضمون في جماعة واحدة على هذا النحو فهو سبب تاريخي . ذلك أن عمرو بن العاص بعد أن فتح الاسكندرية سمع بأن مراكب للروم توجهت إلى هذه المدينة لاحتلالها واخراج المسلمين الموجودين بها . فبعث اليها برسول يدعى عمرو بن جمالة الأزدي الحجري كي يأتيه بالخبر ، فمضى هذا الأزدي الى الاسكندرية على وجه السرعة ، وأسرعت القبائل التي سميت باسم اللفيف والتي أشرنا اليها واتفقت على اللحاق به ، واستأذنوا عمرو بن العاص في ذلك فأذن لهم[81] .

(٧٩) معجم أسماء العرب ، مادة «رواس» جـ١ ص٦٩١ ، ابن عبدالحكم : تاريخ فتوح مصر وأخبارها ، ص١٢٠ .
(٨٠) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٢٩٧ .
(٨١) المصدر السابق ، جـ١ ص٢٩٧ .

وعنــدمـا وصلت هذه القبـائـل الى الاسكنـدرية ورآهم عمـرو الأزدي استكثرهم وقال « تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم ، وانكم كما قال الله تعالى : فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا » ، أي جميعا . فمنذ ذلك الحين سموا باللفيف وسألوا عمرو بن العاص أن يفرد لهم دعوة ، أي يجعلهم في الديوان مجتمعين متفردين عن عشائرهم كما هم مجتمعون في المنازل والخطة ، فسمح لهم عمرو بذلك ، وامتدت خطتهم مما يلي خطة الراية إلى نقاشي البلاط في اتجاه سوق وردان ، ولكن عشائرهم لم ترض لهم ذلك ، فظلوا على خطتهم مجتمعين فيها ساكنين لها معا ، وظلوا في نفس الوقت متفرقين في الديوان ، كل بطن منهم يدعى الى بني أبيه ، ويدون مع قبيله(٨٢) .

ومن الخــطط الأخـرى التي نزلهـا الأزد مع غيرهم ، خطط الحمـراوات الثلاث . وهي خطط نزلها قوم من عجم الشام من الروم ممن أسلموا قبل معركة اليرموك ، وساروا بعد فتح الشام مع عمرو بن العاص لفتح مصر ، واختطوا هذه الخطط . ولما كان الروم يعرفون عادة عند المسلمين ببني الأحمر ، فقد سميت هذه الخطط باسم الحمراوات ، وهي في الأصل خطط لقبيلة بلي من قضاعة ، وفهم وعدوان وبعض الأزد ، وهم ثراد وبنو بحر وبنو سلامان شاركهم فيها بنو يشكر من لخم وقبـائل أخرى بالاضافة إلى هؤلاء الأعاجم الذين نسبت هذه الخطط الثلاث اليهم ، ربما لأنهم كانوا أكثر عددا من العرب الذين سكنوها معهم . وقد عرفت الخطة الأولى باسم الحمراء الدنيا ، والثانية بالحمراء الوسطى ، والثالثة بالحمراء القصوى . وكانت خطة ثراد من الأزد وخطة بني بحر من سوادة من الأزد تقع في الحمراء الدنيا ، وخطة بني سلامان من الأزد تقع في الحمراء الوسطى(٨٣) .

---

(٨٢) نفس المصدر ، جـ١ ص٢٩٧ .
(٨٣) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٢٩ ، المقريزي : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٩٨ .

وكذلك أقامت طوائف من الأزد في خطة أخرى تعرف بخطة الظاهر أو خطط أهل الظاهر . وقد سميت هذه الخطة بهذا الاسم لأن القبائل التي كانت نازلة بالاسكندرية ومنها الأزد ثم عادت منها بعودة عمرو بن العاص ، وجدت الناس قد اختطوا خططهم في الفسطاط ولم يتركوا لهم شيئا من الأرض ، فاشتكوا الى عمرو فقال لهم معاوية بن حديج متولي الخطط والمشرف على توزيعها « أرى لكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل فتتخذوا منزلا فسمي الظاهر بذلك »[٨٤] .

واتبعت القبائل ما أشار به معاوية بن حديج ، وأقامت منازلها بظاهر الفسطاط وعرفوا بخطة أهل الظاهر ، ولازال هذا المكان يعرف باسم الظاهر حتى الآن ، ويعرفه العامة في القاهرة باسم الضاهر ، هذا ان لم يكن هذا الاسم نسبة إلى أحد ملوك مصر وهو الظاهر بيبرس . وكانت هذه الخطة تمتد من شرقي خطة لخم وتتصل بموقع العسكر وتشمل سويقة العراقيين ، وهم من الأزد الذين هاجروا إلى مصر من البصرة بعد ان أجلاهم عنها زياد بن أبيه في عهد معاوية بن أبي سفيان في عام ٥٣هـ/٦٧٣م ، فنزل منهم نحو من مائة وثلاثين رجلا في خطة الظاهر، فسمي موضعهم من خطة الظاهر باسم سويقة العراقيين[٨٥] .

وهناك أيضا من الأزد من سكن خطة أخرى تسمى خطة الراية ، والراية المقصودة هنا هي راية عمرو بن العاص . ويقال انما سميت الراية ونسب اليها قوم عرفوا باسم أهل الراية لأن قوما من قريش والأنصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرش من بني كنانة وليث بن بكر شهدوا مع عمرو بن العاص فتح مصر ، ولم يكن هناك من قومهم عدد يكفي ليقفوا تحت راية لهم مستقلين بها عن غيرهم ، وكرهوا في نفس الوقت أن يقفوا

(٨٤) المقريزي : نفس المصدر جـ١ ص٢٩٧ .
(٨٥) المصدر السابق ، جـ١ ص٢٩٧-٢٩٨ .

تحت راية غيرهم ، فقال لهم عمرو انه سيتخذ راية لا ينسبها لأحد أكثر من الراية كي يقفوا تحتها ، فرضوا بذلك ووقف تحتها كل من لم يكن لقومه عدد ، فقيل خطة الراية ، وقيل لهم أهل الراية ، ونسبت الخطة اليهم ، وأصبحت الراية لهم كالنسب الجامع ، وكان ديوانهم عليها ، وكانت هذه الخطة تحيط بالجامع من جميع جوانبه(٨٦). وكانت كما رأينا تشمل بعض الأزد من دوس ، ودوس هم أهل مالك بن فهم العماني ، كما تشمل بعضا من خزاعة وبعضا من الأنصار وكلهم من الأزد كما هو معروف .

يضاف الى هذه الخطط التي كانت للأزد خاصة بهم ، أو الخطط التي شاركوا فيها غيرهم ، خطة غافق . وهو غافق بن الحارث بن عك بن عدنان بن عبدالله بن الأزد ، وهم بنو عمومة لبني دوس الذين ينسب اليهم مالك بن فهم وكثير من أزد عمان . وكانت هذه الخطة تقع بين خطة لخم وخطة مهرة وتمتد الى خطة الظاهر بجوار درب الأعلام ، وتتصل بالصحراء مما يلي الموقف . وكانت خطة لخم وخطة مهرة من الأزد تقع شمال خطة غافق ، بينما كانت خطة الصدف ومهرة تقعان جنوبها ، وعلى ذلك فقد كانت خطة غافق من أوسع الخطط نظرا لكثرتهم ، اذ ورد أنهم كانوا ثلث جيش عمرو بن العاص الفاتح لمصر(٨٧). كما يلاحظ أن خطط الأزد تكاد تكون متصلة ، وكانت تمتد من شمال الفسطاط إلى جنوبها ، وتتفوق على خطط غيرهم من القبائل في العدد والكثرة والاتساع .

هذا عن خطط الأزد في مدينة الفسطاط . أما خططهم في مدينة الجيزة فلم تكن كثيرة ، لأن النازلين منهم في هذه المدينة لم يكونوا كثرة كما كانوا في الفسطاط . فقد نزلتها همدان ومن والاها من يافع وذي أصبح ، وطائفة من الحجر من الأزد ،

(٨٦) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١١٦-١١٧ ، المقريزي : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٩٧ .
(٨٧) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٢١ ، المقريزي : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٩٨ .

منهم علقمة بن جنادة أحد بني مالك الحجري ، وهم من نفس جماعة حجر الأزد الذين اختطوا بالفسطاط على نحو ما رأينا[88] .

ويعود سكنى الأزد وغيرهم ممن سكنوا الجيزة وتفضيلهم لها هو أن عمرو بن العاص عندما رجع من الاسكندرية بعد فتحها ونزل الفسطاط واتخذها عاصمة لمصر ، أبقى طائفة من جيشه بالجيزة على الضفة الغربية للنيل تجاه الفسطاط تأمينا لجيشه بالفسطاط من أن يهاجم من هذه الناحية . ولما استقرت الأمور لعمرو في مصر وانتهى الفتح ، طلب من عرب الجيزة أن ينضموا لاخوانهم في الفسطاط حتى لا يكون بينه وبينهم بحر كما تقضي تعليمات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فرفضوا ذلك وكرهوه ، وقالوا انهم ما أقاموا في هذا المكان الا بهدف الجهاد في سبيل الله والدفاع عن المسلمين في الفسطاط ، وانهم لا يرغبون في التحول عنه[89] .

وكتب عمرو بما حدث لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلامه لأنه فرق جنده على هذا النحو ، ففريق في الفسطاط وفريق في الجزية ، وأمره أن يبني لهم حصنا يتحصنون به ان رفضوا النزوح من الجيزة الى الفسطاط . فبني عمرو حصنا في خطة يافع التي تقع في وسط الجيزة ، بينما رفضت همدان والأزد بناء حصن لهم ، وقالوا ان سيوفهم هي حصنهم الذي يتحصنون به من أعدائهم . واختطت همدان في جنوبي الجيزة بينما اختط بنو حجر بن أرحب بن بكير من الأزد في قبلي الجيزة ، واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهنو من الأزد فيما بين بكيل ويافع والحبشة على الشارع الأعظم[90] .

---

(٨٨) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٢٨-١٢٩ .
(٨٩) المصدر السابق ، ص١٢٨ ، المقريزي : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٠٦ .
(٩٠) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٢٨ المقريزي نفس المصدر ، جـ١ ص٢٠٦

وهكذا ترى أن الأزد الذين أقبلوا مع عمرو بن العاص لفتح مصر لم يكونوا بالعدد القليل ، بدليل تعدد خططهم وكثرة منازلهم بالنسبة لغيرهم من القبائل والبطون والعشائر ، وان كان هناك ظن بأن كتب التاريخ لم تذكر كل البطون التي اشتركت في فتح مصر ، لأن بعض هذه البطون لم تتخذ لها خطة في مدينة الفسطاط وانما أقامت في مدن أخرى لم يشملها الذكر(٩١) ، كما ان كتب التاريخ لم تذكر كل أسماء الفاتحين حتى يمكننا أن نتعرف على قبائلهم ، وانما اقتصرت على ذكر أسماء القواد ومن كانت له صحبة ، ومن كان ذا علم أو أمر اشتهر به ، وأغفلت بطبيعة الحال غيرهم من بقية الناس .

وإذا كان للأزد كل هذا الوجود وكل هذه المساهمة في فتح مصر ، فإن المهرة كان لهم في الفتح نصيب لا يقل عن نصيب اخوانهم من الأزد . والدليل على ذلك هو كثرة عددهم . اذ يقول مؤرخ محدث أن سدس الجيش الذي فتح مدينة الاسكندرية عاصمة الروم في مصر كان من المهرة(٩٢) .

وقد تواترت الأخبار من أوثق المصادر وأقدمها بقوة المهرة وارتفاع شأنهم في فتح مصر وفيما تلا ذلك من أحداث . مثال ذلك ما فعلوه عندما أتى خبر موت هرقل وكثف العرب هجومهم على الاسكندرية عند فتحها الأول في عام ٢٠هـ/٦٤١م ، وخرج بعض الروم من حصن هذه المدينة وحملوا على المسلمين وباغتوهم بالهجوم ، وقتلوا رجلا من مهرة واجتزوا رأسه وانطلقوا بهذا الرأس داخلين حصنهم محتمين به . عندئذ غضب المهرة غضبا شديدا وامتنعوا عن دفن شهيدهم الا اذا ردت اليه رأسه ، وغضب لهم عمرو بن العاص ولكنه طلب منهم

---

(٩١) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٩٦ .

(٩٢) محمد أحمد مشهور الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والاسلام في افريقيا الشرقية ، دار الفتح ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٣ ، ص٢٨ .

أن يهاجموا الروم إذا خرجوا من حصنهم ، فيقتلون منهم رجلا ثم يرمون برأسه اليهم ، فلعلهم يرمون برأس المهري الذي أخذوه معهم[٩٣].

نفذ المهرة خطة عمرو وتربصوا بالروم . ولما خرج هؤلاء اليهم من حصنهم تصدى لهم المهرة واقتتلوا معهم قتالا شديدا وقتلوا بطريقا من بطارقتهم واحتزوا رأسه ، ولم يلبثوا أن رموا به الى الروم داخل حصنهم ، فرمت الروم برأس صاحبهم اليهم ، فقاموا به ودفنوه[٩٤].

ونظرا لقوة قبيلة مهرة ودورها في فتح الاسكندرية وأنفتها من أن يقتل لها قتيل ، وتصديها للروم على هذا النحو الشجاع ، كان عمرو بن العاص يمتدحها ويقول : « ثلاث قبائل من مصر ، أما مهرة فقوم يقتلون (بفتح الياء) ولا يقتلون (بضم الياء) »[٩٥]

وقد بلغ اخلاص مهرة وتفانيها في فتح مصر أنها كانت تخوض المعارك ضد الروم ليس برجالها فقط ولكن بفتيانها الذين لم يبلغوا بعد مبلغ الرجال . يخبرنا بذلك ابن عبدالحكم حينما يقص علينا نبأ اشتراك تميم بن فرع المهري في فتح الاسكندرية في المرة الثانية في عام ٢٥هـ/٦٤٥م ، وكان الروم قد هاجموها في تلك المرة بقوات بحرية وبرية ضخمة ، وتمكنوا من استعادتها وزحفوا داخل مصر ، ولكن عمرو بن العاص تمكن من ردهم واستعاد الاسكندرية وطرد الروم بعد أن قتل منهم الكثير . وكانت مهرة ضمن القبائل التي ساهمت في هذا النصر المبين ، وكان من شبابها فتى هو تميم هذا الذي نتحدث عنه ، ولما كان صغير السن لم يعط نصيبه من غنائم هذا الفتح[٩٦] .

---

(٩٣) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٧٦ ، المقريزي : نفس المصدر ، جـ١ ص١٦٤ .
(٩٤) نفس المصدرين السابقين ونفس الصفحات .
(٩٥) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٧٦-٧٧ ، المقريزي : نفس المصدر ، جـ١ ص١٦٤ .
(٩٦) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٧٨ .

ولكن مهرة لم تسكت على ذلك وتنافرت مع قريش التي كان ينتمي اليها قائد الجيش وهو عمرو بن العاص ، حتى كادت تقع فتنة بين الفريقين ، وأصرت مهرة على حق فتاها في الغنيمة . ولم ينته هذا الأمر الا بعد أن توسط بعض القوم وأشاروا باستفتاء أبي بصرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني رضي الله عنهما ، وهما من أصحاب رسول الله ﷺ . ولما أرسلوا اليهما جاءت الفتوى بأن يأخذ الفتى سهمه من الغنيمة ان كان قد أنبت ، أي إذا ظهر الشعر في عارضيه ، والا فلا . فنظر القوم اليه فوجدوه قد أنبت فأسهموا له(٩٧).

وهذه المنافرة ان دلت على شيء فإنما تدل على أمرين :

الأمر الأول هو ما أشرنا اليه من أن مهرة كانت تخوض المعارك بكل ثقلها وكانت تدفع حتى بفتيانها للمساهمة في الجهاد والقتال .

أما الأمر الثاني فإنها لم تخش بأس قريش وقوتها ، وهي تعلم أن فيها الخلافة ، وأن فيها القيادة والوجاهة والقوة . فقائد الجيش وصاحب الفتح وأمير الناس هو عمرو بن العاص وهو من قريش ، وبجانبه عدد كبير من قريش أشار اليهم ابن عبدالحكم في كتابه ، ومعظمهم من صحابة رسول الله ﷺ ، وبعضهم من كبار الصحابة مثل الزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن عمرو ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، وخارجة بن حذافة العدوي ، ونافع بن قيس الفهري(٩٨) . وان دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى قوة مهرة وعلى أنفتها وتصديها لمن ينكر عليها حقا حتى ولو كان سهما من الغنائم لفتى من فتيانها ، وحتى لو كان من منع هذا السهم هو عمرو بن العاص .

(٩٧) المصدر السابق ، ص١٧٨ .
(٩٨) المصدر السابق ، ص٩٣ .

وقد استمرت هذه القوة وتلك الأنفة وهذه الشجاعة لمهرة حتى بعد انقضاء عصر الفتح وانتقال حكم الدولة الاسلامية الى بني أمية . ففي عهد معاوية بن أبي سفيان تصدى رجل واحد من مهرة لوالي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري بطريقة تدل على قوة هذا الرجل المنبثقة من قوة قبيلته .

ذلك أن مسلمة كان قد أعطى أهل الديوان الذين كانوا يبلغون أربعين ألفا في عهده أعطياتهم وأعطيات عيالاتهم وأرزاقهم ، واحتجز ما يخص البلاد مما ينفق على الجسور ورواتب الكتبة وأحمال القمح التي كانت ترسل الى بلاد الحجاز ، وبقي بعد ذلك من أموال الجباية مبلغ مقداره ستمائة ألف دينار وضعها على الابل وأراد أن يرسلها الى معاوية بن أبي سفيان في بلاد الشام(٩٩) .

ولما خرجت الابل بالأموال لقيها برح بن حسكل المهري فسأل عن شأنها ، ولما علم بالأمر منع هذه الجمال من مواصلة السير ، وأمر بردها الى المسجد الجامع في الفسطاط وقال : « ما بال مالنا يخرج من بلادنا ، ردوه » . فعادت الابل ووقف برح بن حسكل المهري في المسجد الجامع وقال للناس : هل أخذتم عطاءكم وأرزاقكم وعطاء عيالاتكم ونوائبكم ؟ ولما أجابوه بالايجاب ، سمح للابل أن تتخذ طريقها الى دمشق مرة ثانية قائلا « لا بارك الله لهم »(١٠٠) .

وبرح بن حسكل المهري الذي يصحح ابن عبدالحكم اسمه ويقول : أن المهريين كانوا يسمونه برح بن عسكل ، كان من صحابة الرسول ﷺ ، فقد وفد اليه من مهرة من عمان وشهد فتح مصر مع عمرو بن العاص واختط بالفسطاط(١٠١) . وكانت خطته أو منزله عند دار زنين في الزقاق الذي يعرف بخلف

---

(٩٩) المصدر السابق ، ص١٠٢ ، ٣١٦ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٧٩ .
(١٠٠) المصدر السابق ونفس الصفحات .
(١٠١) ابن عبدالحكم : ص٩٤ ، ٩٥ ، ٣١٦ ، المقريزي : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٩٦ .

القـماح[١٠٢]، وقصـة منعه الابل وردها وسؤال الناس عن أعطياتهم لم يكن من شأنه ، ولكن قوة قبيلته جعلته يسلك هذا المسلك ، وجعلته أيضا يدعو بعدم البركة لمن ذهب اليه هذا المال ، وهو يعلم أنه معاوية أول خلفاء بني أمية .

لم يكن برح بن عسكل هو الوحيد من مهرة الذي ساهم في فتح مصر ، بل هناك غيره كثيرون . منهم تميم بن فرع المهري الذي شهد فتح الاسكندرية في المرة الثانية والذي أتينا بقصته من قبل ، وكان فتى حديث السن وأعطي سهمه من الغنائم وروى حديث رسول الله ﷺ عن جمع من الصحابة[١٠٣].

وهناك رجل من مهرة يدعى الجراح اشترك أيضا في فتح مصر واختط في الفسطاط ، وصارت خطته لبني مسكين في عصر ابن عبدالحكم صاحب تاريخ فتوح مصر وأخبارها ، أي في القرن الثالث للهجرة . والجراح هذا مات دون أن يترك عقبا يرثه فقدم مهري آخر يدعى شريح بن ميمون المهري ، فتزوج امرأته وورثه وعقد له على البحر ، فلم ينل أحد من القادمين أو الأمداد ـ أي الجند الذين كان يمد بهم الخليفة قواته في مصر ـ من الشرف ما ناله هذا المهري الذي صار أمير البحر في عصر الخلافة الراشدة وفي عصر بني أمية . ذلك أن ابن عبدالحكم يروي عن الليث بن سعـد أن هذا القـائـد المهـري كان على أسطول مصر عند غزو المسلمين للروم في عام ٩٨هـ/ ٧٦١م[١٠٤]، مما يدل على مدى قوة مهرة وعلى نبوغ رجالها ، ويدل أيضا على اشتراك هؤلاء الرجال ليس في فتح مصر فقط ، بل في غزو بلاد الروم ذاتها .

---

(١٠٢) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٠٢ .
(١٠٣) المصدر السابق ، ص١٧٨ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ص٤١٧ .
وهو عند ابن عبدالحكم تميم بن فرع المهري ، وعند السمعاني تميم بن قرع المهري .
(١٠٤) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١١٨ ، ١١٩ .

ويضاف إلى هؤلاء المهريين الذين ساهموا في فتح مصر عبدالرحمن بن شماسة المهري الذي سكن مصر وصار من أهلها وحضر وفاة عمرو بن العاص بها وروى عمن فتحوها[١٠٥]. والغالب أنه ممن شاركوا في فتح مصر مع عمرو بن العاص ، أو قدم اليها بعد الفتح مباشرة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وشارك في فتح الاسكندرية الثاني في عام ٢٥هـ/٦٤٥م ، لأنه يروي عن الصحابة مباشرة ، فهو تابعي من التابعين .

ومن أسف فإن كتب التاريخ لم تزودنا بالكثير من أسماء الذين ساهموا في فتح مصر من مهرة . ولكن ابن عبدالحكم يشير إلى أن مهرة اشترك منها في غزو ولاية افريقية (تونس) في عهد عبدالله بن سعد بن أبي السرح في عام ٢٧هـ/٦٤٧م ستمائة رجل ، ومن الأزد ألف وأربعمائة[١٠٦] .

ولاشك أن هذا العدد لا يمثل عدد المهرة أو الأزد في مصر ، لأن حملة ابن أبي السرح هذه كانت حملة صغيرة تمهيدية ، وكان هدفها جس نبض الروم الذين كانوا يحكمون هذه الولاية في ذلك الحين . وطبيعي أن المهرة كانوا وكما أشرنا من قبل أكثر من ذلك بكثير . وكما كان للأزد خططهم ، فقد كان لمهرة خططهم أيضا .

وعن هذه الخطط يقول ابن عبدالحكم ان مهرة « اختطت أول ما دخلت بدار الخيل وما والاها على سفح الجبل الذي يقال له جبل يشكر مما يلي الخندق الى شرقي العسكر الى جنان بني مسكين اليوم . وكان لمسجد مهرة هناك قبة سوداء حتى أدخله طريف الخادم في دور الخيل حين بناها . وكانت جنان بني مسكين اليوم خطة لرجل من مهرة يقال له الجراح . وكانت منازل مهرة قبلي الراية مما يلي

(١٠٥) المصدر السابق ، ص٤٩ ، ٩٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٥١ .
(١٠٦) المصدر السابق ، ص١٨٤ .

منازل ابن سعد بن سرح بن سرح ، حوزا حازوه ، وكانوا إذا أتوا لصلاة الجمعة ربطوا خيولهم ، ثم نقلهم عمرو بن العاص بعد ذلك وضمهم اليه ، وعطلوا منازلهم هناك (أي في جبل يشكر) ، فذهبت مهرة بخطتها حتى لقيت غافقا في السوق ولقوا الصدف ولقوا غنثا (من الأزد مما يلي الغرب) »(١٠٧)

وهذا النص الهام يبين مدى اتساع خطة مهرة ، اذ يبين أنه كانت لها خطة عند جبل يشكر تمتد إلى الخندق الذي حفره فيما بعد والي مصر حينما قدم مروان بن الحكم لاستعادتها من الزبيريين(١٠٨)، ثم تمتد هذه الخطة إلى جنان بني مسكين التي تقع قرب سوق الحمام(١٠٩). كما كانت لهم خطة أخرى في قلب مدينة الفسطاط وقرب المسجد الجامع . وكانت هذه الخطة حوزا لهم يربطون فيه خيولهم إذا قدموا لصلاة الجمعة ، ولم يلبثوا أن انقطعوا الى هذه الخطة وتركوا منازلهم بجبل يشكر(١١٠). وقد اتسعت هذه الخطة وامتدت حتى خطة غافق وغنث والصدف ، حيث كانت لهم هناك منازل ومساجد عديدة ، منها مسجد سيبان ، وهو المسجد ذو القبة ، وكان يقع عند دار خالد بن عبدالسلام الصدفي(١١١). ومعنى وجود مسجد لسيبان أنه كان لها خطة أيضا ، وسيبان بطن من مهرة كما قال ابن عبدالحكم(١١٢). ولم يقتصر تواجد بطون مهرة على سيبان وحدها ، وانما تواجد منها

---

(١٠٧) المصدر السابق ، ص١١٨-١١٩ ، المقريزي : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٩٧ .
(١٠٨) الكندي : نفس المصدر ، ص٣٩-٤٠ .
(١٠٩) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٠٤ .
(١١٠) المقريزي : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٩٧ .
(١١١) تاريخ فتوح مصر وأخبارها ، ١٢١ .
(١١٢) إذا كان ابن عبدالحكم قد قال بأن سيبان بطن من مهرة (ص١٢١) ، فإن السمعاني يقول بأنها بطن من حمير (جـ٣ ص٣٥٤) ، وبنى على السمعاني د. محمد بن أحمد الشاطري (ص٣١١ هامش ٢ ، ص٣٣٩، ٣٥٨) . والواقع انه ليس هناك تناقض بين الروايتين ، لأن مهرة من قضاعة وهذا أمر مؤكد ، وقضاعة تنتمي في الغالب الى حمير ، ويؤكد العوتبي ذلك في أنسابه .
انظر : ابن حزم : ص٤٤٠ ، السمعاني : جـ٥ ص٤١٧ ، العوتبي : جـ١ ص١٧٥ ، ٢٢٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٤١-٤٢ ، الهمداني : الاكليل ، ص٤٠ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، المقريزي : البيان والاعراب ، ص٨٧ .

في الفسطاط بطون أخرى ، منها بطون بني أسلم بن عمرو . وقد أنجب أسلم هذا سعيدا والحوتك وقتيبة وسودا ، وتفرع من هؤلاء الأبناء بطون عديدة كان منها بمصر الكثير(١١٣).

وبالاضافة لهذه الخطط التي اختطتها مهرة وبطونها ، فقد كانت لهم قرى عديدة ينزلونها في فصل الربيع لرعي ابلهم وخيلهم ودوابهم ، منها قرى منا وبسطة ووسيم(١١٤) التي تعرف الآن باسم أوسيم بمحافظة الجيزة . كما كان المهريون يذهبون أيضا إلى قرى نتا وتمى بالحوف الشرقي لنفس الغرض(١١٥)، مما يدل على اتساع نشاطهم وعلى كثرة خيلهم وعلى كثرة فرسانهم .

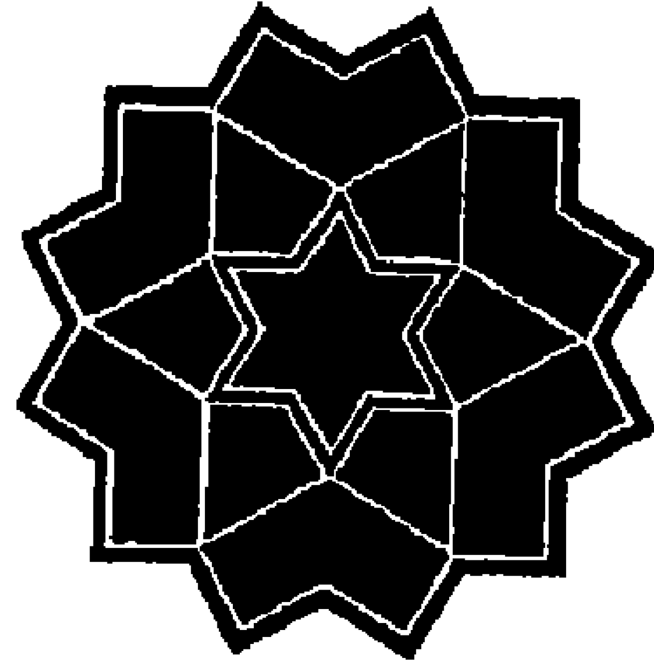
وقد شارك هؤلاء الفرسان كما قلنا في فتح مصر مع عمروبن العاص كما شاركوه في الغزوات التي قام بها في ليبيا ، كما شاركوا أيضا في الغزوات التي قام بها خليفته في مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح بعد عزل عمرو عنها في عام ٢٥هـ/٦٤٥م ، مثل غزوته لولاية افريقية (تونس) التي أشرنا اليها ، وغزوه لبلاد النوبة في عام ٣١هـ/٦٥١م ، وانقضاضه على الروم وأسطولهم في عام ٣٤هـ/٦٥٤م فيما يعرف بمعركة ذات الصواري(١١٦).

وقد سبقت الاشارة إلى أسماء عدد من الأزد والمهرة ممن اشتركوا في هذه الغزوات ، وبطبيعة الحال فإن كتب التاريخ لا تعطينا أسماء الجند ، وما حصلنا عليه فهو فلتات ومجرد اشارات عابرة تدل على الوجود الأزدي والمهري في الجيش الفاتح لمصر ، وفي جيوش الغزو التي انطلقت منها بعد ذلك الى ليبيا وبلاد النوبة والبحر الأبيض المتوسط .

---

(١١٣) العوتبي : نفس المصدر ، جـ١ ص٢٣١ .
(١١٤) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٢٦١ .
(١١٥) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٤٢ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٣ ص٣٨١ .
(١١٦) الطبري : نفس المصدر ، جـ٤ ص٢٨٨-٢٩٢ ، البلاذري : نفس المصدر ، ص٢٣٤-٢٣٦ ، الكندي : نفس المصدر ، ص١٦ .

ولكن أمـرا آخـر غير الفتح يزودنا ببعض المعلومات عن التواجد الأزدي والمهـري في مصر في عصـور الاسلام الأولى . ذلك الأمر هو الهجرات الأزدية والمهرية التي توالت من عمان أو من بلاد أخرى كان بها عمانيون ، ثم رحلوا عنها إلى مصر بعد اتمام فتحها في عصور مختلفة ولدوافع مختلفة .



٢ ـ هجـرات الأزد والمهرة إلى مصر بعد انتهاء عصر الفتح

تم فتح مصر في عام ٢٠هـ/٦٤٠م ، واستقر العرب الفاتحون فيها وبنوا المنازل والدور والأحياء التي كانت تعرف باسم الخطط والتي تحدثنا عنها بتفصيل . ولكن الأمر بالنسبة للوجود العربي في مصر لم ينته عند هذا الحد ، إذ ما لبث أن وفدت إلى مصر هجرات عربية أخرى كثيرة على مر الأيام والعصور ، منها هجرات الأزد وهجرات أخرى لمهرة .

ومن سوء الحظ فإن كتب التاريخ لا تعطينا تفصيلات لهذه الهجرات ، سواء كانت للأزد والمهرة أم لغيرهم من القبائل العربية الأخرى ، ويعود ذلك في الغالب لأسباب عديدة منها :

١ - الظروف السياسية التي تعرض لها عرب مصر منذ بداية القرن الثاني للهجرة وحتى أواخر عصر بني أمية . ذلك أن عرب مصر كانوا منذ الفتح وحتى عام ١٠٩هـ/٧٢٧م من اليمانية[١]، أي من عرب الجنوب ، ولم يكن للقيسية (عرب الشمال) فيها نصيب عدا فهم وعدوان[٢]، ونظرا لقلة عدد القيسية فيها فقد اندمجوا مع بعض اليمانية في خطة أهل الراية كما أشرنا من قبل[٣]. ولم يلبث أن أتى وقت جعل الأمويين يعملون على إحداث توازن بين القيسية واليمانية في مصر بهدف الحد من سيطرة العنصر اليمني الذي أثبتت الأحداث أنه على استعداد لاثارة الفتن والوقوف إلى جانب الفئات المناوئة للحكم الأموي ، كالزبيريين والعلويين والخوارج[٤].

(١) الكندي : نفس المصدر ، ص٦٤ ، المقريزي : البيان والاعراب ، ص٦٥ .
(٢) الكنذي : نفس المصدر ، ص٦٤ ، المقريزي : البيان والاعراب ، ص٦٥-٦٦ .
(٣) انظر ، ص ٤٠ .
(٤) المقريزي : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، القاهرة ، سنة ١٩٦١ ، ص١٠٠-١٠١ .

وقد أحس بضرورة إحداث هذا التوازن منذ وقت مبكر والي مصر عبدالعزيز بن مروان ، إذ قال لوالده عندما عينه واليا عليها في عام ٦٥هـ/٦٨٤م : « يا أمير المؤمنين ، كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي ؟ فقال له مروان : يابني ، عمهم باحسانك يكونوا كلهم بني أبيك ، واجعل وجهك طلقا تصفُ لك مودتهم ، وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن لك عينا على غيره وينقاد قومه اليك . . الخ »(٥). ولذلك لم تكن هناك هجرة قيسية الى مصر في ذلك الحين ، ولم يحدث هذا الأمر الا في عهد هشام بن عبدالملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٣م) .

فقد كان والي مصر في عهده وهو الوليد بن رفاعة الفهمي (١٠٩-١١١هـ/ ٧٢٧-٧٢٩م) وعامل الخراج عبيدالله بن الحجاب من القيسية ، ولذلك وفد ابن الحجاب على هشام بن عبدالملك وسأله أن ينقل الى مصر بعضا من القيسية لعمل ذلك التوازن المطلوب ، خاصة وأن اليمانية كانوا منذ أن أنزل الأمويون نقمتهم على المهالبة في العراق والمشرق ناقمين على بني أمية ساخطين عليهم . ولذلك سمح هشام برحيل ثلاثة آلاف من القيسية من بني نصر وكنانة وبني سليم إلى مصر وتحويل ديوانهم اليها ، فأنزلهم ابن الحجاب في الحوق الشرقي ، وتتابع رحيل القيسية إلى مصر حتى إذا كان زمن مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٥٠م) كان بها ثلاثة آلاف « أهل بيت »(٦).

وفي عهد هذا الخليفة وهو مروان بن محمد ، اقتضت الظروف السياسية أن تقف الدولة من رؤساء اليمانية في مصر وغيرها موقف العداء ، فثار سخطهم في

(٥) المقريري : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٢٠٩ .
(٦) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٤٣ ، الكندي : نفس المصدر ، ص٦٤-٦٥ . المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٨٠ ، البيان والاعراب ، ص٦٥-٦٨ .

مصر على بني أمية حتى انهم أعلنوا خلع مروان بن محمد(٧). ولجأ مروان إلى القوة فأرسل اليهم واليا قيسيا هو حوثرة بن سهيل الباهلي فأقبل الى مصر في عام ١٢٨هـ/٧٤٥م ومعه سبعة آلاف رجل من أهل حمص والجزيرة وقنسرين ، وتمكن من القبض على رؤساء الثائرين وقتلهم ، وأخذ في اضطهاد العناصر اليمانية(٨).

ونتيجة لذلك كله تفتتت الكتل اليمانية التي كانت بمصر ، وأدى هذا التفتت إلى تفرق الكتلة الواحدة وتناثر القبيلة الواحدة على جهات متعددة ، وذلك للحد من قوتها والحيلولة دون رجحان كفتها ، تحقيقا لاحداث التوازن المطلوب بين القيسية واليمانية(٩).

ولم يكن هذا التفرق وذلك التشتت الذي أصاب عرب الجنوب في مصر نتيجة لسياسة الدولة في ذلك الحين فقط ، ولكنه كان أيضا بسبب أن كثيرا من الأسر والجماعات العربية كانت تضطر لعوامل جغرافية أو اجتماعية أو قبلية إلى التفرق بعد استقرارها بفترة من الزمن ، فتناثر سكانها على بقاع أخرى جديدة(١٠).

وبطبيعة الحال فإن هذا التفرق وذلك التشتت مهما كانت دوافعه وأسبابه ، فقد أدى إلى صعوبة التعرف على بطون كثيرة أزدية ومهرية راحت هنا وهناك واستقرت في أنحاء مصر المختلفة ، وذابت فيها نظرا لصغر حجمها بالنسبة لعدد سكان مصر الكبير ، حيث كان سكان مصر الأصليون أكثر عددا من العرب الوافدين . ولذلك كان من الطبيعي أن يقول المقريزي في صدر كتابه المسمى بالبيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب : « ان العرب الذين شهدوا فتح

---

(٧) الكندي : نفس المصدر ، ص ٧١ .
(٨) المصدر السابق ، ص٧٤ـ٧٥ ، المقريزي : البيان والاعراب ، ص١٠٢ .
(٩) المقريزي : البيان والاعراب ، ص١٠٢ .
(١٠) المصدر السابق ، ص١٠٢ـ١٠٣ .

مصر قد أبادهم الدهر ، وجهلت أحوال أكثر أعقابهم ، وقد بقيت من العرب بقايا بأرض مصر »[١١].

ولم يكن ذلك الا نتيجة للأحداث والصراعات التي قامت بين الدولة وبين العرب في مصر ، وبين اليمانية والقيسية ، وبينهم وبين بعضهم البعض ، وبينهم وبين السكان المحليين ، مما أدى إلى تشتتهم وتفرقهم واختلاط بعضهم في بعض ، واختلاطهم بالسكان الأصليين . فهل يمكن لمؤرخ التعرف بدقة على المجموعات العربية التي هاجرت إلى مصر في أي فترة من الفترات واستقرت فيها وصارت من أهلها ؟ الحقيقة ان ذلك كان من الصعوبة بمكان كبير .

٢ ـ أما السبب الثاني الذي يجعلنا لا نعرف الكثير عن هجرات الأزد والمهرة إلى مصر ، فهو أن العرب بعد أن استقروا في مصر وخاصة في القرى كانوا يميلون إلى الانتساب إلى البلد الذي استقروا فيه ، أو إلى الحرفة التي احترفوها ، أو إلى جد قريب العهد ، بعد أن كانوا ينتسبون في السابق وكما هو معروف عنهم إلى قبائلهم .

وقد أدى هذا الأمر إلى صعوبة البحث عن أصول الأسر العربية الأولى ، وجعل أمر البحث في هجراتهم إلى مصر أمرا عسيرا[١٢]، خاصة وأن المؤرخين وكتاب الطبقات تأثروا بهذه الأوضاع وأصبح معظمهم لا يذكرون الأشخاص الا منسوبين إلى بلدانهم التي يعيشون فيها أو إلى حرفهم وأعمالهم .

وقد بدأ هذا التطور منذ وقت مبكر ، اذ يذكر ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) في كتابه « نسب معد واليمن الكبير» حين حديثه عن الأنساب أن فلانا كان من « رهط عبدالرحمن بن عديس وعندما يريد أن يعرّف

(١١) المصدر السابق ، ص٣ .
(١٢) المصدر السابق ، ص١٠٩ .

بعبدالرحمن بن عديس هذا يقول انه أحد المصريين الذين ساروا الى عثمان بن عفان »[١٣]، ولا يشير إلى قبيلته . فيقول : انه بلوي ، أي من (بلي) وهكذا أشار أيضا إلى وحوح بن ثابت المصري[١٤]، وإلى غيره من العرب الذين لم يصفهم الا بأنهم مصريون ، رغم أنهم كانوا يعيشون في عصر الخلافة الراشدة ، أي في صدر دولة الاسلام ، ورغم أن ابن الكلبي الذي أشار إلى هؤلاء الأشخاص ووصفهم بأنهم مصريون نسابة ، وكتابه الذي ذكر فيه هؤلاء الأشخاص ما هو الا كتاب في أنساب العرب ، الا أنه وكما ترى لم ينسبهم الى قبائلهم وانما نسبهم الى البلد الذي عاشوا فيه وصاروا من أهله .

وقد سار من أتى بعده من الكتاب على هذا النحو حتى اننا نرى مؤرخا كبيرا للطبقات مثل السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) يندر أن يذكر الناس في طبقاته التي تبلغ خمسة مجلدات كبيرة منسوبين الى قبائلهم ، فقد نسبهم إلى بلدانهم وحرفهم وإلى جدودهم الأقربين ، مما يدل على ذوبان الناس في بلدانهم التي أقاموا فيها ، وإلى تخليهم عن ذكر قبائلهم ، مما شكل صعوبة كبيرة أمام الباحثين في التعرف على أوضاع هذه القبائل في البلاد التي هاجروا اليها ، وعلى تاريخ هجراتهم اليها ، وعلى أصولهم الحقيقية التي كانوا ينتسبون اليها .

٣ ـ والسبب الثالث الذي أدى إلى هذه النتيجة أيضا هو قرار الخليفة المعتصم بالله العباسي (٢١٨-٢٢٧ هـ/ ٨٣٣-٨٤١م) ، باسقاط العرب من الديوان وحرمانهم من العطاء والأرزاق المقررة لهم ولأسرهم في هذا الديوان ، والذي نفذه في مصر واليه عليها كيدر نصر بن عبدالله الصفدي (صفر ٢١٧ هـ ـ ربيع الآخر ٢١٩هـ/ مارس ٨٣٢م ـ مايو ٨٣٤م) (١٥) ، مما أدى إلى أن فقد

(١٣) ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ، جـ٣ ص١٢ .
(١٤) المصدر السابق ، جـ٣ ص٧ .
(١٥) الكندي : نفس المصدر ، ص١٥١ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٩٤ .

العرب مورد رزقهم الوحيد ، واضطروا الى النزوح الى القرى والاشتغال بالزراعة والمهن والحرف المختلفة ، وخالطوا الفلاحين وصاهروهم وذابوا في محيطهم ، مما أدى إلى صعوبة التعرف على الأسر العربية في أنحاء مصر المترامية .

وقد أدى هذا القرار الى نتيجة أخرى في منتهى الأهمية ، وهي انقراض دولة العرب من مصر بعد أن صار جندها من العجم والموالي منذ عهد المعتصم ، وذلك بعد القضاء على ثورة يحيى بن الوزير الجروي الذي خرج في جمع من لخم وجذام ثائرا على قرار اسقاط العرب من الديوان ، ومات والي مصر كيدر في ربيع الآخر عام ٢١٩ هـ/ مايو ٨٣٤م ، وتولى ابنه المظفر حكم البلاد ، فسار الى يحيى وقاتله عند بحيرة تنيس وأخذه أسيرا ، وذلك في جمادى الأولى من عام ٢١٩هـ/ يونيه ٨٣٤)[١٦]، وانتهى أمر العرب في مصر كجند منذ ذلك الحين ، اذ صار جندها من الترك ثم منهم ومن السودان منذ عهد الطولونيين والاخشيديين ، وأضيف اليهم البربر والروم والصقالبة في عهد الفاطميين[١٧] .

وقد أدت هذه التطورات الى نتيجتها الطبيعية ، وهي عدم تولي العرب حكم مصر ، وكان آخر ولاة العرب عليها هو عنبسة بن اسحاق الضبي (ربيع الآخر ٢٣٨هـ ـ رجب ٢٤٢هـ/ أكتوبر ٨٥٢ ـ نوفمبر ٨٥٦م) ، وهو آخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع[١٨] . وتولى حكم مصر بعده عدد من الترك حتى قدم اليها أحمد بن طولون التركي الأصل ، فأقام فيها الدولة الطولونية في عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م[١٩]، وصار أمر العرب عند هؤلاء الحكام هينا ، وأصبحوا رعية يسامون العسف والهوان كغيرهم من الرعية ، بل ان علماءهم تعرضوا للقتل

(١٦) الكندي : نفس المصدر ، ص١٥٢ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٩٤ .
(١٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٩٤ .
(١٨) الكندي : نفس المصدر ، ص١٥٨ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص١٣٢ .
(١٩) الكندي : نفس المصدر ، ص١٥٢-١٦٧ .

وسفك الدم والحبس والتشريد على يدي أحمد بن طولون[٢٠]. ولذلك لم تقم للعرب قائمة ، وصار أمرهم في غاية الضعف ، مما أدى إلى ازدياد تفرقهم وتفككهم ونسيان الناس لهم ، ومن ثم وجد المؤرخون صعوبة كبيرة في التعرف على أحوالهم وهجراتهم وتحركاتهم .

ومن أسف فقد تمت معظم هذه التطورات قبل أن تظهر المدونات والكتب التي قامت على أمر تدوين أخبار القبائل العربية في مصر منذ الفتح وحتى القرن الثالث للهجرة ، وهو القرن الذي ظهرت فيه أولى الكتابات التي تناولت هذا الموضوع ، وهو كتاب تاريخ فتوح مصر وأخبارها لابن عبدالحكم المتوفى في عام ٢٥٧هـ/ ٨٧١م ، وهو كتاب لم يهتم كما أشرنا من قبل الا بأخبار العرب الفاتحين فقط ، أما من أتى بعدهم من مهاجرين وهو موضوع حديثنا الآن فلم يؤرخ له الا مؤرخون متأخرون كثيرا ، مثل المقريزي المتوفى في عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م ، وصاحب كتاب « البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب » ، ومثل القلقشندي المتوفى عام ٨٢١هـ/١٤١٨م ، والذي أرخ لأنساب العرب عامة ولعرب مصر خاصة في كتابه « قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان » .

وبطبيعة الحال فإن المقريزي والقلقشندي لم يدونا الا أخبار القبائل العربية التي كانت معاصرة لهما ، ولم يشيرا الى كل القبائل التي هاجرت الى مصر واستقرت

(٢٠) مما يبين مدى استهانة أحمد بن طولون التركي بالعرب ويدل على قسوة قلبه أنه أحصى عدد من قتله صبرا أو مات في سجنه فكان ثمانية عشر ألفا ، رغم أنه كان كما قيل يحفظ القرآن وكان كثير التلاوة له .
انظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ٢ ص١٥٧ .
وتتمثل قسوة قلبه في أنه غضب على أحد العباد الزهاد فأمر بالقائه بين يدي سبع جائع .
انظر : السمعاني : جـ٢ ص٢٥٤ .
وكاد أن يلاقي خطيب مسجد بناه أحمد بن طولون حتفه بسبب أن هذا الخطيب نسي أن يذكر في خطبة الجمعة اسم أحمد بن طولون وأن يدعو له على المنبر ، ولم ينج من موت محقق الا بعد أن استدرك سهوه قبل أن ينزل من المنبر فاستأنف الكلام وذكر اسم أحمد بن طولون وأكثر من الدعاء له .
انظر ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص٢٦٦ .

فيها بعد الفتح وحتى عصرهما ، وذلك للأسباب التي أشرنا اليها ، ولذلك نراهما لا يذكران الا أشهر القبائل التي كانت معروفة وقتذاك ، ولم تدخل في غيرها في القبائل أو تنصهر وتذوب في السكان المحليين ، مما يجعل مهمة الباحث في هذا الميدان من أشق وأصعب ما يكون .

ولذلك لا يمكن للمؤرخ أن يتحدث حديثا وافيا عن هجرات العرب الى مصر سواء كانت هجرات للأزد والمهرة أو غيرهم من قبائل العرب ، وليس هناك أمام المؤرخ الا فلتات غير مقصودة ، واشارات عابرة يتصيدها من بطون كتب التاريخ وغير كتب التاريخ ، علها تلقي بعض الضوء وتزيح شيئا من الغموض .

ومن هذه الفلتات وتلك الاشارات نستطيع ان نقول انه كانت هناك هجرات للأزد والمهرة الى مصر . وكانت هناك دوافع وعوامل أدت إلى قدوم هذه الهجرات .

وأولى هذه الدوافع هو اتخاذ مصر بعد فتحها قاعدة للفتوحات الاسلامية في شمال افريقيا والأندلس ، مما جعلها مقصدا لهجرات العرب ونزوحهم اليها بغرض المساهمة في هذه الفتوحات وفي الجهاد في سبيل الله . وبطبيعة الحال كان الأزد والمهرة ممن أدلوا بسهم وافر في هذه الفتوحات .

وقد سبقت الاشارة إلى اشتراك الأزد والمهرة في حملة عبدالله بن سعد بن أبي السرح لغزو ولاية افريقية (تونس) في عام ٢٧هـ/٦٤٧م ، كذلك فانهم اشتركوا في جميع الحملات التي قام بها القادة العرب بدءا من عقبة بن نافع الفهري فاتح افريقية ، ومرورا بحسان بن النعمان الغساني فاتح المغرب الأوسط ، وانتهاء بموسى بن نصير فاتح المغرب الأقصى والأندلس . والدليل على ذلك هو استقرار

كثير من الأزد والمهرة في هذه البلدان بعد فتحها[٢١]، بالاضافة إلى ما تحكيه كتب التاريخ من بطولات للأزد والمهرة في هذه الفتوحات ، مما لا داعي للخوض فيه لأنه ليس من صميم موضوعنا ، ولكننا نشير اليه مجرد اشارة في ضوء حديثنا عن أن هذه الفتوحات دفعت بكثير من العرب ومنهم الأزد والمهرة للهجرة الى مصر وسكناها ، حتى يكونوا على مقربة من ميادين القتال الدائر بين المسلمين وبين الروم البيزنطيين في غربي البحر المتوسط ، وحتى يستطيعوا المساهمة في هذا القتال .

أما الدافع الثاني الذي دفع ببعض العمانيين من الأزد والمهرةإلى الهجرة إلى مصر ، فهو الاشتغال بالتجارة . ذلك أن فتح مصر وضمها للدولة الاسلامية يسر أمر الاشتغال بالتجارة فيها أمام التجار العرب أكثر من ذي قبل . وإذا كان العرب قد رحلوا اليها للتجارة في الجاهلية كما فعل عمرو بن العاص وغيره في هذا المجال[٢٢]، فلا شك أن رحلاتهم التجارية اليها ازدادت كثيرا وكثيرا بعد ظهور الاسلام وبعد أن أصبحت مصر جزءا من الدولة الاسلامية الواسعة .

ولما كان العمانيون بطبيعتهم تجارا من الطراز الأول ، وكانت لهم شهرة واسعة في مجال التجارة والملاحة ، وكان لهم أسطولهم التجاري الذي جاب أرجاء المحيط الهندي ، فلاشك أنهم وصلوا بتجاراتهم إلى مصر اما عن طريق البحر الأحمر الى موانيها التي تطل على هذا البحر ، أو عن طريق الخليج العربي ثم الى العراق فبلاد الشام ، ثم الى مصر التي تقع على ساحلها الشمالي الذي يطل على البحر المتوسط ، أو من فلسطين برا الى مصر عن طريق غزة ، أو عن طريق الحبشة

(٢١) اليعقوبي : صفة المغرب ، ليدن ، سنة ١٨٥، ، ص٣ ، البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ليدن ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩١١ ، ص١٤ ، الجزنائي : زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، الجزائر ، سنة ١٩٢٢ ، ص١٣-١٤ ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مؤسسة شباب جامعة الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص١٢٠،١٢١ .

(٢٢) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٥٣-٥٤ ، الكندي : نفس المصدر ، ص١٣ .

والسودان ثم الى مصر عبر النيل الذي يربطها بهذين البلدين[٢٣].

والجدير بالذكر أن هذه الطرق وخاصة طريق الخليج العربي كان العرب والعمانيون منهم يستخدمونها كوسطاء لنقل سلع الهند وخاصة التوابل ، وكذلك سلع عمان المشهورة مثل البخور والمر الى مصر ، وذلك قبل الميلاد بآلاف السنين . فقد ذكر هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد أن خبراء التحنيط في مصر كانوا يستعملون هذه المواد في عمليات التحنيط بينما كان اللبان (البخور) يستخدم داخل المعابد الفرعونية[٢٤]، وكذلك في الكنائس المسيحية بعد أن انتشرت المسيحية في مصر .

أضف إلى ذلك تلك القوافل البرية التي كانت تخرج محملة بهذه السلع من عمان وحضرموت وتسير شمالا حتى تأتي الحجاز ومنها إلى فلسطين ، ثم تتجه القوافل غربا إلى مصر[٢٥]. ولذلك فإن عامل الاشتغال بالتجارة والملاحة كان من الأسباب الرئيسية التي دفعت بفريق من العمانيين إلى الهجرة خارج وطنهم قبل ظهور الاسلام ، واستمر هذا الوضع بعد ظهوره فازدادت هجرتهم إلى مختلف الأنحاء والبلدان ، ومنها مصر التي كانت ترتبط بعمان تجاريا برا وبحرا بواسطة الطرق البرية والبحرية التي أشرنا اليها .

وحتى لو كانت هجرات بعض العمانيين الى مصر بقصد الاشتغال بالتجارة قليلة أو ضعيفة مقارنة بهجراتهم الى البلاد التي يطل عليها المحيط الهندي في آسيا وشرقي افريقيا ، الا أن وصول بعضهم الى مصر بقصد العمل التجاري يعتبر أمرا غير مشكوك فيه ، وخاصة إذا نظرنا اليه في ضوء تواجد عدد كبير من الأسر

---

(٢٣) عن طرق التجارة بين مصر وعمان ، انظر كتابنا « الأباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة » ، مكتبة العلوم ، مسقط ، سنة ١٩٩٠ ، ص١٨٠-١٨٣ .

(٢٤) مايلز : نفس المرجع ، ص٢٧٦-٢٧٧ .

(٢٥) جرجي زيدان ؛ نفس المرجع ، ص٢١٣-٢١٤ .

والعوائل التي مازالت تحمل أسماء عمانية في مصر حتى الآن .

وكان الدافع الثالث الذي دفع ببعض العمانيين للرحلة أو الهجرة إلى مصر هو نشر المذهب الأباضي سواء بين المصريين ، أو انطلاقا من مصر ذاتها لنشره بين سكان بلاد المغرب العربي . وقد سبق أن بينا في كتاب لنا(٢٦) الجهود التي بذلها العمانيون في هذا المضمار ، ولا داعي للخوض فيها مرة أخرى لعدم الحاجة ولعدم التكرار ، ولكن لابد من الاشارة هنا إلى أن بعض العمانيين رحلوا الى مصر ونشروا بين بعض أهلها المذهب الأباضي واعتنقه عدد لا بأس به من المصريين(٢٧) ، ووجد دعاة الأباضية في سكان مصر من الأزد قوة وسندا لنشاطهم المذهبي ولنشاطهم التجاري أيضا ، مما دفع بالعلاقات المذهبية والتجارية بين البلدين الى التطور والنماء إلى حد كبير ، وهيأ في الوقت نفسه لمزيد من الهجرات العمانية إلى مصر .

وقد ساعد على قدوم هذه الهجرات عاملان :

العامل الأول هو وجود عدد من الولاة والقضاة ورجال الشرطة وعمال الخراج تولوا حكم مصر وكانوا من الأزد ومن المهرة ، وهذا ما سوف نبينه حين حديثنا عن أثر الأزد والمهرة في الأحوال السياسية والادارية في مصر . ولاشك أن هؤلاء الموظفين الكبار مهدوا الطريق الى أقربائهم والى بعض عوائل من قبائلهم كي تهاجر الى مصر ، حتى تكون لهم في هذا البلد الذي اختاروا الاقامة فيه وسكنوه عصبية تمنعهم وتحميهم ، فيتوطد نفوذهم وتعلو كلمتهم ويتمكنوا من إدارة دفة الحكم بكل يسر وسهولة .

وفي نفس الوقت كان هؤلاء الولاة إذا جاءوا من خارج مصر ، كانوا يأتون

---

(٢٦) هو كتاب « الأباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة » ، السابق الذكر .

(٢٧) الشماخي : السير ، تحقيق أحمد بن سعود السيابي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، سنة ١٩٨٧ ، جـ١ ص١١٢ ، ١٣٠-١٣٤ ، ١٤٠ .

اليها على رأس جماعات كبيرة العدد من أهليهم وأقاربهم وقبائلهم لتحقيق نفس الأهداف التي أشرنا اليها . وكان هؤلاء المهاجرون يستقرون في مصر ويصيرون من أهلها ولا يغادرونها حتى في حالة عزل هذا الوالي الذي أتى بهم أو جاءوا معه ، فقد كان يعود الى دمشق أو بغداد إذا رغب في العودة ، وفي هذه الحالة فإن معظم أفراد قبيلته وأتباعه كانوا يفضلون الاستقرار في مصر ، لاسيما وأن معظم العرب الذين كانوا مقيمين فيها من قبل كانوا من عرب الجنوب ، أي من نفس قبيلتهم .

ويلاحظ أن عددا كبيرا من الولاة الأزديين الذين تولوا حكم مصر وخاصة في العصر العباسي الأول كانوا من المهالبة الذين هاجروا من عمان الى البصرة والمشرق ، ومن هناك اتجهوا الى مصر بأوامر من خلفاء بني العباس لحكمها أو للقضاء على ثورة فيها . وكان هؤلاء الولاة يستعينون بأقاربهم سواء من القادمين معهم ، أو من أزد مصر في تولي المناصب الكبرى(٢٨)، مما كان يدفع بغيرهم من الأزد الى القدوم الى مصر والهجرة اليها والاستقرار فيها .

أما العامل الثاني الذي ساعد على قدوم هجرات الأزد والمهرة الى مصر ، فهو أن الأزد والمهرة الذين كانوا فيها منذ الفتح كانت لهم خطط كثيرة وعديدة في الفسطاط والجيزة والاسكندرية وغيرها من المدن مما سبق الحديث عنه . ولم تكن هذه الخطط متلاصقة ، انما كان بين كل منها والأخرى فراغ كانت تستغله القبائل في تسكين بني قبيلتهم أو بني أبيهم من المهاجرين اليهم ، وذلك حتى يزدادوا بهم قوة ومنعة(٢٩) .

---

(٢٨) الكندي : نفس المصدر ، ص٩١-٩٥ .
(٢٩) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٢٨ .

حدث ذلك منذ عهد الفتح نفسه ، أي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اذ يشير ابن عبدالحكم الى هجرة جماعات من عرب الجنوب الى مصر(٣٠). كما حدثت هجرات أخرى أثناء خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . يفهم من كلام ابن عبدالحكم حينما يقول انه « مدت الأمداد في زمان عثمان بن عفان وما بعد ذلك ، وكثر الناس ووسع كل قوم لبني أبيهم ، حتى كثر البنيان والتأم »(٣١).

وكـان يقال للرجل المهاجر مددي . مثال ذلك شريح بن ميمون المهري الذي سبقت الاشارة اليه ، وأنه قدم الى مصر وتزوج امرأة رجل مات من مهرة وورثـه وصار شخصا يشار اليه بالبنان في عهد بني أمية(٣٢)، مما يدل على أنه لم يشترك في فتح مصر ، انما هاجر اليها بعد الفتح .

ومنذ ذلك الحين بدأ تدفق هجرات الأزد والمهرة الى مصر . ومن أمثلة ذلك ما حدث في عهد زياد بن أبيه والي معاوية بن أبي سفيان على البصرة . فقد حدث أثناء ولايته على هذه المدينة أن خرج عليه قريب الأزدي وزحاف الطائي وأثارا فتنة كبيرة ، ولكنه قضى عليهما ، ولم يكتف بذلك ، بل انه اتهم بهما جماعة من الأزد وكتب الى معاوية يستأذنه في قتل هذه الجماعة . ولكن معاوية رفض ذلك وأمره بنفيهم من البصرة ، فأرسل بهم زياد الى مصر سنة ٥٤ هـ/٦٧٣م في عهد أميرها مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وكان عددهم نحوا من مائتين وثلاثين ، ولا نعرف ان كان هذا العدد يمثل عددا من الرجال أم من الأسرات . وبطبيعة الحال فإن هؤلاء الأزد المبعدين من البصرة قدموا مع أهليهم وأولادهم الى مصر ونزلوا في خطة الظاهر ، وهي احدى خطط الفسطاط التي سبق أن تحدثنا عنها ، وأقاموا في موضع

---

(٣٠) المصدر السابق ، ص١١٣ .
(٣١) المصدر السابق ، ص١٢٨ .
(٣٢) انظر ، ص٤٤ ، ٤٥ .

منها كان أرضا فضاء في المكان المعروف بكوم سراج ، وبنوا في هذا المكان منازلهم ومساجدهم ، واتخذوا سوقا لأنفسهم نسبت اليهم فسميت سويقة العراقيين (٣٣)، بحكم أنهم قدموا من بلاد العراق .

وقد سجل أخبار هذه الهجرة عمران بن حطان في بعض أبيات من الشعر أشـار فيهـا الى قدومهم الى مصر وأنهم فيهـا نعمـوا بالأمـان حيث لا مطاردة ولا سجان ، وكان هو نفسه مطاردا من بني أمية ، ذلك أنهم وكما قال أقاموا بين جيران لهم وأهل من تجيب وغافق(٣٤). وهما قبيلتان من عرب الجنوب ، الأولى بطن من كندة والثانية بطن من عك من الأزد(٣٥).

ومن الأزد العمانيين الذين كانوا قد سكنوا خراسان ثم هاجروا منها إلى مصر آل عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي(٣٦). وكان لآل عبدالجبار هؤلاء فضل كبير في القضاء على دولة بني أمية أخذا بثأر المهالبة والعناصر العمانية واليمنية الأخرى ، التي اضطهدها الأمويون الأواخر في كافة أمصار الدولة الاسلامية . ومن ثم حظي عبـدالجبـار بن عبـدالرحمن الأزدي وآله عند خلفاء بني العباس وعين أميرا على خراسان ، ولكن العلاقة ما لبثت أن ساءت بينه وبين أبي جعفر المنصور بسبب وشايات الواشين من قواد خراسان ، فخلع عبداالجبار طاعة المنصور ، فأرسل له الجيوش فهـزمتـه وأسرته هو وأبناءه ، وجيء بهم اليه ، فقتل عبدالجبار في عام ١٥٨ هـ/٧٧٤م ونفي أبناؤه الى جزيرة دهلك بالبحر الأحمر(٣٧).

(٣٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص١٠٧ .
(٣٤) ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ص٣١١-٣١٢ .
(٣٥) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٢٨، ٤٢٩ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٢٩٧ ، عمر رضا كحالة ، نفس المصدر ، جـ١ ص١١٦ ، جـ٣ ص٨٧٥ .
(٣٦) آل عبدالجبار هم من ولد دهمان بن منبه بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران ، ودهمان ابن عم مالك بن فهم . انظر : ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ، جـ٢ ص٢٣٢ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص٣٨٥ .
(٣٧) ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ، جـ٢ ص٢٣٢ ، ٢٣٤ ، الطبري : نفس المصدر ، جـ٧ ص٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٤٦٢ ، ٤٨٠ ، ٤٩٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٩ ، جـ٨ ص٨٨، ١١٥ .

وقد نجا ابن لعبد الجبار من نقمة المنصور وهو عبدالرحمن بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي ، واستطاع أن يستعيد ثقة بني العباس في عهد المهدي ، فعفوا عنه وعن آله ، وما لبث عبدالرحمن أن قدم بهم الى مصر مهاجرا من خراسان وظل بها حتى مات في عام ١٧٠ هـ/٧٨٦م في أول خلافة هارون الرشيد[٣٨] .

ويبدو أن عدد آل عبدالجبار الأزدي الذين قدموا مع ابنه عبدالرحمن كان كبيرا ، حيث نرى الكندي يقول ان ابراهيم بن صالح العباسي والي مصر (المحرم ١٦٥هـ ـ ذو الحجة ١٦٧ هـ/ سبتمبر ٧٨١م ـ يونيه ٧٨٣م) ابتنى داره العظمى المعروفة بدار عبدالعزيز التي في الموقف بالفسطاط ، ثم وهبها عند خروجه من مصر الى بغداد لآل عبدالرحمن بن عبدالجبار[٣٩] ، وقد نسبت هذه الدار لعبدالعزيز بن عبدالجبار الأزدي أخي عبدالرحمن الذي جاء به وبآل عبدالجبار جميعا الى مصر . وعندما نرى وصف الادريسي لهذه الدار نجد أنها لم تكن دارا بالمعنى المعروف ، وانما كانت خطة كبيرة أي حيا كبيرا واسعا قائما بذاته ، فقد قال انه كان « يصبب لمن فيها كل يوم أربعمائة راوية (لعلها قربة) ماء ، وفيها خمسة مساجد ، وحمامان ، وفرنان »[٤٠] .

واتساع الخطة وكثرة عدد المنازل والدور والمساجد والحمامات والأفران التي كانت موجودة بها ، لاشك يدل على كثرة عدد المقيمين فيها الساكنين لها من آل

(٣٨) المصدرين السابقين ونفس الصفحات .
(٣٩) ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ، جـ٢ ص٢٣٢ ، ٢٣٤ ، الكندي : نفس المصدر ، ص١٠٠ .
(٤٠) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٩ ، جـ١ ص٣٢٣،٣٢٤ .
وقد ذكر ابن حوقل (صورة الأرض ، ص١٣٧) أن هذه الدار كانت دارا لعبدالعزيز بن مروان . وقد سبق أن عرفنا أن عبدالعزيز بن مروان اشترى جزءا من خطة الأزد التي تعرف بالاصطبل وبنى عليها دارا أهداها لأخيه عمر بن مروان . ولذلك فربما وهم ابن حوقل فظن ان هذه الدار التي نتحدث عنها والتي بناها ابراهيم بن صالح العباسي في الموقف بالفسطاط وسميت باسم عبدالعزيز هي نفسها الدار التي بناها عبدالعزيز بن مروان ، وهما في الحقيقة مختلفتان ، لأن دار ابراهيم كانت في الموقف ، بينما كانت دار ابن مروان في اصطبل الأزد . وربما جاء هذا الوهم لأن دار ابن مروان كانت أساسا جزءاً من خطة الأزد ، ودار صالح صارت أيضا للأزد وسميت باسم واحد منهم وهو عبدالعزيز بن عبدالجبار ، أو بسبب تشابه الأسماء بين عبدالعزيز هذا وعبدالعزيز بن مروان .
انظر : ابن عبدالحكم : ص٩٢،٩٨ .

عبدالجبار الأزديين الذين كان لهم أثر كبير في مجرى الأحداث السياسية في مصر مما سنناقشه في حينه من هذا البحث .

وتشير كتب الأنساب إلى بعض الأفراد والجماعات الذين لم يذكرهم ابن عبدالحكم في كتابه تاريخ فتوح مصر ، مما يدل على أنهم في الغالب هاجروا اليها بعد انتهاء عصر الفتوحات الاسلامية . مثال ذلك آل الغمر بن الحصين بن المساور ، من ولد كعب بن عمرو مزيقياء من مازن بن الأزد . فقد أشار ابن الكلبي الى أنهم كانوا بمصر(٤١). كذلك أشار الى عوف بن الهيثم بن عوف ، من ولد حارثة بن عمرو مزيقياء الأزدي ، وقال انه من قواد الدعوة ، أي الداعين لبني العباس ، وذكر انه ينسب اليه مسجد في مصر يسمى مسجد عوف(٤٢).
ويتحدث الكندي عن الحسين بن جميل والي مصر (رمضان ١٩٠ - ربيع الآخر ١٩٢ هـ/٨٠٦ - فبراير ٨٠٨م) من أنه جعل على الشرطة كامل الهنائي(٤٣)، وقال شاعر يسمى سعيد بن عفير في ذلك شعرا يدل على أن كامل الهنائي كان من أهل الفسطاط(٤٤)، مما يدل على هجرة قوم من هناءة العمانيين الى مصر في زمن لا نعرفه ، وان كان ذلك بالطبع قبل عام ١٩٠ هـ/٨٠٦م .

كما يخبرنا المقريزي بأن بني حدان كان لهم وجود في مصر ولهم بطون فيها وهم بنو محمد وبنو علي وبنو سالم وبنو مدلج وبنو عبس ، وحدد منازل سكناهم في عصره ، فقال ان ديارهم تمتد من دير الحميزة الى ترعة صول(٤٥). ولكننا نرى المقريزي والقلقشندي يجعلان بني حدان هؤلاء من لخم(٤٦). والمعروف أن بني

---

(٤١) كتاب نسب معد واليمن الكبير ، جـ٢ ص١١٣ .
(٤٢) المصدر السابق ، جـ٢ ص١٢٠-١٢١ .
(٤٣) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ، ص١١٣، ١١٤ .
(٤٤) المصدر السابق ، ص ١١٤ .
(٤٥) المقريزي : البيان والاعراب ، ص٥٩-٦١ .
(٤٦) المصدر السابق ، ص٥٩ ، القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٧٠ .

الحدان من أزد عمان[٤٧]. ولم نر فيما وصلت اليه أيدينا من كتب الأنساب الأخرى أن لخما كان منها بطن يسمى بني حدان[٤٨]، مما يدل على أن فريقا من بني حدان الأزديين العمانيين هاجروا الى مصر وسكنوها قبل عصر المقريزي في الأماكن التي سبقت الاشارة اليها ، وكذلك في جزائر في نهر النيل تسمى جزائر بني حدان كانت تقع بين قفط وأسوان ، وكان المسافرون الذاهبون الى الحج من قفط وقوص يمرون بها وهم في طريقهم الى بلاد الحجاز[٤٩].

هذا ولم تكن هجرة الأزد قاصرة على هذا النفر فقط ، وانما هاجر اليها أو وفد اليها عدد كبير منهم بهدف لقاء علماء مصر والتفقه على أيديهم والرواية عنهم . واستقر بعض هؤلاء الوافدين في مصر ، واستأنف بعضهم الرحلة إلى بقية الأمصار الاسلامية في المشرق والمغرب طلبا لمزيد من العلم .

ومن هؤلاء الأزد الوافدين الى مصر أبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي المراغي ، نسبة إلى مراغة وهي بطن من الأزد . ويبدو أن هذا العالم استقر في مصر لأننا نعرف الآن عائلة بمصر تعرف بعائلة المراغي ظهر منها بعض مشايخ الأزهر ، وهي قبيلة مشهورة . وربما كانت النسبة الى مراغة ، وهي قرية في محافظة سوهاج بمصر ، وهي في نفس الوقت اسم لقرية في عمان[٥٠].

وقد روى أبو أيوب الأزدي المراغي عن عبدالله بن عمرو بن العاص وسمرة بن جندب[٥١]، وكلاهما شارك في فتح مصر وعاش فيها واتخذها موطنا[٥٢]، مما يدل على أن أبا أيوب هذا وفد إلى مصر عقب انتهاء الفتح بقليل .

---

(٤٧) ابن حزم : ص ٣٨٤، ٤٧٤ .

(٤٨) انظر ما جاء عن بطون لخم وبطون الأزد عند ابن حزم ص٤٧٢-٤٧٤ ، ٤٧٧ ، وعند ابن الكلبي ، وهما أقدم من المقريزي والقلقشندي بعدة قرون .

(٤٩) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ، ص٢٤٥ .

(٥٠) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ص٢٤٥ ، معجم أسماء العرب ، مادة « المراغي » ، جـ٢ ص١٥٧٢ .

(٥١) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ص٢٤٥ .

(٥٢) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٩٣ ، ١٤٨ .

وكذلك وفد الى مصر عالم أزدي آخر هو أبو محمد عبدالغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشـيربن مروان بن عبـدالعـزيز الأزدي الحجـري المصري السمـرقنـدي الحـافظ العدل . واسمه يبين لنا أنه من الحجر ، والحجر لازالوا يعيشون في مصر وعمان حتى الآن(٥٣)، وسبق الحديث أنهم اشتركوا في فتح مصر وكانت له خطة في مدينة الفسطاط(٥٤) . كما يتبين من اسمه أيضا أنه رحل إلى مصر من سمرقند ، وأزد سمرقند والمشرق بصفة عامة معظمهم من أزد عمان الذين كانوا قد رحلوا الى البصرة والعراق أولا ومنها انتشروا شرقا حتى وصلوا الى سمرقند في بلاد ماوراء النهر في قلب آسيا .

وصل هذا العالم الأزدي الحجري الى مصر وكان موجودا بها في عصر الخليفة الحـاكم بأمـر الله الفـاطمي (٣٨٦-٤١١ هـ/ ٩٩٦-١٢٢٠م) وصار من أشهر علمائها ، وكاد يقتل نتيجة صلته برجلين قتلهما الخليفة الحاكم وكانا صديقين له ، فخشي على نفسه واختفى حتى لا تطوله يد الخليفة بسبب هذه الصلة ، واستمر يعيش في مصر حتى مات بها في صفر من عام ٤٠٩ هـ/١٠١٨م(٥٥) .

وقـد وجد أيضا في مصر طائفة من الجند في مدينة الفسطاط أشار اليهم الكنـدي وقـال انهم كانـوا يعرفون باسم القديدية (٥٦)، ولا نعرف مصدر هذه التسمية ، هل هي نسبة الى قديد وهي ناحية ببلاد الحجاز حدثت فيها الوقعة المشهورة بين أهل المدينة وأبي حمزة الشاري في عام ١٢٩ هـ/٧٤٦م(٥٧)، أم نسبة الى ابن قديد الأزدي المصري الذي كان يعيش في مصر وعمان من أشهر المحدثين

---

(٥٣) سالم بن حمود السيابي ، نفس المرجع ص١٤٨ ، معجم أسماء العرب ، مادة «الحاجري» ، جـ١ ص٣٧٤ .
(٥٤) انظر ، ص٤٩ ، ٥٢، ٥٧ ، ٦٢ .
(٥٥) السمعاني : نفس المصدر ، جـ١ ص١٢٠ ، ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ، جـ٣ ص١٨٨-١٨٩ .
(٥٦) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ، ص١٠٧ .
(٥٧) الطبري : نفس المصدر ، جـ٧ ص٣٩٨ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص٣١٣ ، الشماخي : السير ، جـ١ ص٩٣ .

بها في عصره وتوفي بها في عام ٣١٢هـ/٩٢٤م(٥٨)، والأرجح أن هذه الطائفة من الجند تنسب الى ابن قديد الأزدي ، لأننا لم نسمع عن هجرة من قديد الى مصر ، ولأن الهجرات كانت تحمل في الغالب أسماء قبائلها وليس أسماء الأماكن التي وفدت منها . والجدير بالذكر أن بلدتنا التي تعرف باسم المنوات بمحافظة الجيزة لاتزال تعيش فيها عائلة تحمل اسم القديدي حتى الآن ، وان كان معجم اسماء العرب قد ذكر أن القديدي اسم عائلي في تونس فقط(٥٩).

وهكذا ترى أن هجرات كثيرة ومتتابعة للأزد والمهرة(٦٠)وفدت الى مصر واستقرت فيها بعد انتهاء عصر الفتح ، واشتدت هذه الهجرة في عهد بني أمية

(٥٨) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، بدون تاريخ ، جـ٣ ص٧٨٧ .

(٥٩) معجم أسماء العرب ، مادة «القديدي» ، جـ٢ ص١٣٧٨ .

(٦٠) هاجرت الى مصر بطون من قبائل أخرى عمانية من غير الأزد ومهرة ، مثل آل الرحبي ، حيث يذكر المقريزي أنه كان في الفسطاط خطة تسمى خطة الرحبة (المواعظ والاعتبار جـ١ ص٢٩٨) .

والرحبي نسبة إلى أرحب بن دعام بن مالك من همدان باليمن. وقد كان أرحب سيد همدان في زمانه ، وكانت همدان احدى قبائل اليمن الكبيرة.

انظر : الهمداني : الاكليل ، ص١٤٠ ، ابن حزم : ص٣٩٦ ، القلقشندي : قلائد الجمان ، ص١٠٠ .

واشتهر من الرحبيين عدد كبير من رواة الحديث (السمعاني : جـ٣ ص٤٩-٥١) ومازال الرحبيون يعيشون حتى الآن في عمان ، ومازال اسم الرحبي اسما قبليا فيها حتى اليوم . انظر ، معجم أسماء العرب ، مادة «الرحبي» ، جـ١ ص٦٥٠ .

كما هاجر الى مصر أيضا بعض بني النعيمي ، حيث تحدثنا المصادر عن تابعي من آل النعيمي سكن مصر واستقر بها ، وهو أبو الحسن بن حي النعيمي الكلاعي الحميري (انظر ، السمعاني ، جـ٥ ص٥١٠) ، ولازال اسم النعيمي اسما قبليا في عمان حتى الآن .

انظر ، معجم أسماء العرب ، مادة «نعيمي» ، جـ٢ ص١٧٧٢ .

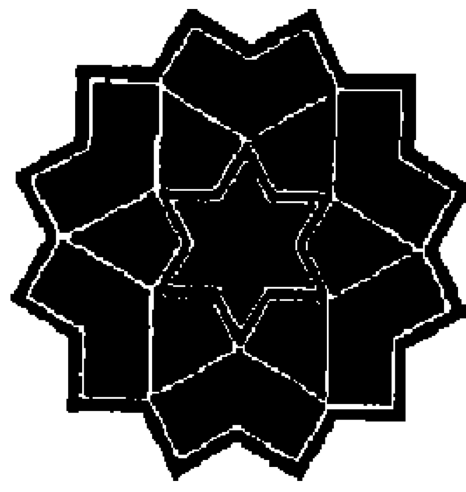
كما هاجر الى مصر أيضا بطون ذات صلة بمهرة ومن نفس القبيلة التي تنتمي اليها وهي قضاعة . مثال ذلك بطون بهراء وعذرة وراشدة . وكانت بهراء قد هاجرت الى عمان مع مالك بن فهم أو بعده (ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير ، جـ٢ ص٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ص٣٧) . وغالبا فإن مدينة بهلاء العمانية تنسب اليها وليس الى قبيلة باهلة كما قال بذلك الدكتور خالد العزي (الواقع التاريخي ، ص٢٦) ، لأن باهلة من عرب الشمال ولم يسمع أنها وفدت الى عمان .

أما عذرة فقد هاجر منها الى مصر جماعة ، منهم شرحبيل مزيلقة بن حبيب العذري الذي كان سيد أهل مصر في زمانه ، وهو أول من سود بالحروف ، أي أعلن اتباعه للدعوة العباسية (ابن الكلبي : نفس المصدر ، جـ١ ص٣٤٧) ، ومثل أبي مجاهد عذرة بن صعب بن الزبير العذري الذي هاجر الى مصر ومات بالفسطاط عام ٢٤٢ هـ/٨٥٦م ، (السمعاني : نفس المصدر ، جـ٤ ص١٧١-١٧٢) ، وكان لعذرة بقايا بالدقهلية والمرتاحية بالحوف الشرقي من الديار المصرية في عصر القلقشندي (انظر ، صبح الأعشي ، جـ١ ص٣١٧) .

أما راشدة التي يعدها البعض من قضاعة (ابن عبدربه : العقد الفريد ، جـ٣ ص١٠٥) ، وآخرون يعتبرونها من لخم (المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٢٩٧) ، فقد كان لها خطة بالفسطاط ، ولها جامع يعرف بجامع راشدة (ابن عبدالحكم : ص٥٨ ، ١٢٨ ، ابن الكلبي : نسب معد ، جـ١ ص١٧١ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٢٩٧ ، جـ٢ ص٢٨٢ ، ٢٨٣) . وكانت للرواشد خطة أخرى واسعة في جنوب حلوان ، وكان لهم نصف بلاد أطفيح التي تقع حاليا في محافظة الجيزة . انظر ، المقريزي : البيان والاعراب ، ص٦٠ .

وعهد بني العباس حتى قيل ان خمس قبائل الأزد هاجرت الى مصر في عهد بني العباس وحدهم ضمن قبائل أخرى من تميم وطيىء ومذحج وبجيلة وحمير وبني العباس[٦١].

وقـد استقرت هذه القبائل الأزدية ومن أتى من مهرة أيضا في مدن مصر المختلفـة وبنـوا فيهـا الـدور والمنازل والمساجد والمرافق الخاصة بها من حمامات ومساجد وأفران ، وان كان استقرارها تركز في العاصمة بشكل رئيسي ، مما نتج عنه أمران : الأمر الأول هو أنها زادت من حجم وفاعلية الأزد والمهرة الفاتحين الذين قدموا مع عمرو بن العاص ، وثانيهما هو أن هؤلاء الأزد والمهرة الفاتحين ومن قدم بعدهم كمهاجرين لعبوا في مصر دورا سياسيا وحضاريا جديرا بالاشارة والذكر .



(٦١) عبدالله حسين : السودان القديم والجديد ، القاهرة ، سنة ١٩٤٥ ، ص٥٤ .

٤ ـ الدور الثقافي والعلمي للأزد والمهرة في مصر

تولى حكم مصر في كثير من الأحيان ولاة من الأزد عامة والمهالبة منهم خاصة ، وكذلك كان منهم كثير من رجال الشرطة والقضاء . ولاشك أن هؤلاء الولاة المعينين من قبل الدولة أموية كانت أو عباسية لابد وأنهم كانوا يعملون على تنفيذ سياستها في ضبط البلاد وقمع الفتن والثورات ، وفي ادارتها في اطار السياسة العامة للدولة .

ونظرا لأن مصر كانت من أغنى ولايات الدولة وأخطرها ، حتى انها كانت تعدل الخلافة إذا جمع حكمها وجباية الخراج فيها لواليها[1]، فقد كان بنو العباس ومن قبلهم بنو أمية يولون على مصر أقوى الولاة وأخلصهم لهم ، هذا إذا لم يكن الولاة من البيت الأموي أو العباسي نفسه . وكان الأزد عامة والمهالبة منهم خاصة من أقوى رجال الدولة ومن أكفأ حكامها وولاتها . ولذلك كان الخلفاء ينصحون ولاتهم بأن يتخذوا منهم كبار القواد والموظفين ، من ذلك ما قاله معاوية بن أبي سفيان لواليه على مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري : « لا تول عملك الا أزديا أو حضرميا ، فانهم أهل الأمانة »[2].

ولم تكن الأمانة هي الصفة الوحيدة التي اتصف بها الأزد ، فقد كانت لهم صفات أخرى غلبت عليهم كالشجاعة والصبر في القتال ، فهم لا يفرون من الميدان مهما كانت النتائج[3]، ولذلك كان شهداؤهم أكثر من غيرهم كما أشرنا من

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٣ ص٢٧٩

(٢) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٢٥ ، الكندي : نفس المصدر ، ص٣٢٠ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٤٣-٤٤ .

(٣) وكيع : أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ٣ ص٢٠٥ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ١ ص٣١ .

قبـل . كما انهم كانـوا أكثر قبائل العرب اقامة للدول . فهـم الـذين أقاموا دولة الغساسنة في بلاد الشام ، ودولة العرب في الحيرة وبلاد العراق على يد جذيمة بن مالك بن فهم . كما انهم هم الذين أقاموا مجتمع الأوس والخزرج في يثرب وسيطروا عليها بعد أن حدوا من نفوذ اليهود فيها . وهـم الذين أقاموا دولة قوية في بلاد عمان صارعت الفرس وطردتهم على يد مالك بن فهم الأزدي .

كان هذا في الجاهلية . أما بعد ظهور الاسلام وكما هو معروف فهم الذين أيد الله سبحانه وتعالى بهم رسوله ورسالته ، فقضوا على الشرك والوثنية ، ونشروا الـدين والايمان ، وذلـك على يد فريق منهم وهم الأوس والخـزرج المعـروفـون بالأنصـار . وهـم الـذين قضوا على أعظـم خطر تعرض له بنو أميه ، وهو خطر الخـوارج الأزارقـة الـذين هددوا دولة بني أمية شر تهديد ، ولم يقض عليهم الا المهلب بن أبي صفرة وقومه من الأزد المهالبة[٤]. وهـم الـذين ساعدوا في اقامة الدولة العبـاسية بعد أن تنكر لهم الأمويون ، فنهضوا وطاردوا قوات بني أمية مع بقية المـطاردين لهم ، وكان لقواد الأزد في ذلك دور خطير سبقت الاشارة الى شيء منه[٥]. ولذلك وثق فيهم الخلفاء واعتمدوا عليهم في إدارة كثير من الدولة حتى أتي وقت كان فيه كثير من الأزد يحكمون بعض الولايات في وقت واحد أو متقارب[٦] .

---

(٤) العوتبي : جـ٢ ص١٣٠ـ١٣٦ .

(٥) انظر , ص٥٧ ، ٥٨ ، وانظر أيضا ، العوتبي : الأنساب ، جـ٢ ص١٥٦ـ١٥٨ .

(٦) الأمثلة على تولي الأزد بعض ولايات الدولة في وقت واحد أو متقارب كثيرة . منها الهيثم بن معاوية العتكي الأزدي العماني • الأصل الذي كان واليا على مكة والطائف في عام ١٤١هـ حتى عام ١٤٣هـ . (الطبري : جـ٧ ص٥١١،٥١٥) .
وسفيان بن معاوية العتكي الأزدي الذي كان واليا على البصرة عام ١٤١ ، ١٤٢هـ (الطبري : جـ٧ ص٥١١ ، ٥١٤ ، ٥١٥) .
وكان ابو عون المنائي الأزدي حاكما لمصر منذ عام ١٣٣هـ حتى عام ١٤١هـ عدا فترة محدودة تمتد من جمادى الأولى ١٣٦ الى شعبان ١٣٧هـ .
(الكندي : ص٨٤ ، ٨٧) ، وكان محمد بن الأشعث الخزاعي الأزدي واليا على مصر في ذي الحجة عام ١٤١هـ حتى رمضان ١٤٣هـ (الكندي : ص٨٩ـ٩٠) وبعد ذلك بشهور تولى حكم مصر يزيد بن حاتم المهلبي الأزدي من عام ١٤٤هـ

أولا : مصر وحكامها من الأزد والمهرة ودورهم السياسي والحضاري :

نظرا لثقة الخلفاء في الأزد عامة والمهالبة منهم خاصة كما سبقت الاشارة ، ونـظرا لأن الأزد في مصر كانوا كثرة كما سبق أن بينا ، فقد رأى الخلفاء أنه من الأفضل اعطاء المناصب الهامة فيها وخاصة منصب الوالي لولاة من الأزد ، سواء كانوا من أزد مصر أم من الأزد الوافدين اليها من بلاد العراق ، فهم القادرون على تنفيذ سياسة الدولة بحكم قدراتهم وامكانياتهم الشخصية ، وبحكم قوة قبائلهم وكثرة عددها واتساع نفوذها وعظيم هيبتها في مصر . ولذلك فقد تولى حكم مصر منهم عدد كبير وخاصة في العصر العباسي ، أما في العصر الأموي فقد تولاها منهم والٍ يسمى سعيد بن يزيد .

ولاية سعيد بن يزيد الأزدي على مصر :

(رمضان ٦٢هـ ـ شعبان ٦٤ هـ/يونيه ٦٨٢م ـ ابريل ٦٨٤م)

يعتبر سعيد بن زيد هو الأزدي الوحيد الذي تولى حكم مصر في عهد بني أمية ، إذ كان الأزد في تلك الفترة توجههم الدولة لحكم ولاياتهم الشرقية وتدفع بهم للقضـاء على الأخطار الداخلية والخارجية التي تعرضت لها في بلاد المشرق الاسلامي . وكان الأمويون ومن بعدهم العباسيون يفضلون أن يلي مصر ولاة من بيت الخلافة نفسه نظرا لأهميتها واستراتيجية موقعها الذي كان يربط بين المشرق والمغرب الاسلاميين .

الى ١٥٢هـ (الكندي : ص٩١ـ٩٥) كما تولى ولاية افريقية عمرو بن حفص المهلبي الأزدي عام ١٥١هـ (ابن عذارى : جـ١ ص٧٥) ، ثم تولاها يزيد بن حاتم حتى توفي بها في عام ١٧٠هـ فتولاها أخوه روح بن حاتم ، ثم ابنه الفضل بن روح (ابن خلدون : تاريخه ، جـ٥ ص٤٦١ ، ٤٨٤) ، وكذلك كان روح بن حاتم قبل ذلك واليا على بلاد السند في خلافة المهدي بالله العباسي ، ثم تولى البصرة في عام ١٦٥هـ ، وأبو عون عبدالملك بن يزيد الأزدي كان واليا على خراسان في عام ١٥٩هـ ، وكان على اليمن رجاء بن روح . انظر ، ابن خلدون : تاريخه ، جـ٥ ص٤٤١ ، ٤٥٠ .

الا أنه في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان نرى واليا أزديا على مصر هو سعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدي . ويبدو أن حكمه لم يكن مستقرا في مصر بسبب كونه من غير أهلها ، فقد كان من أهل فلسطين . ولذلك كان أهل مصر غير مسرورين بولايته عليهم ، فأعرضوا عنه ولم يتعاونوا معه ، وانتهزوا فرصة ظهور حركة عبدالله بن الزبير في بلاد الحجاز وقام بعضهم بالاتصال به فأرسل اليهم واليا واعتزل سعيد حكمه البلاد في شهر شعبان من عام ٦٤ هـ/ ابريل ٦٨٤م(٧).

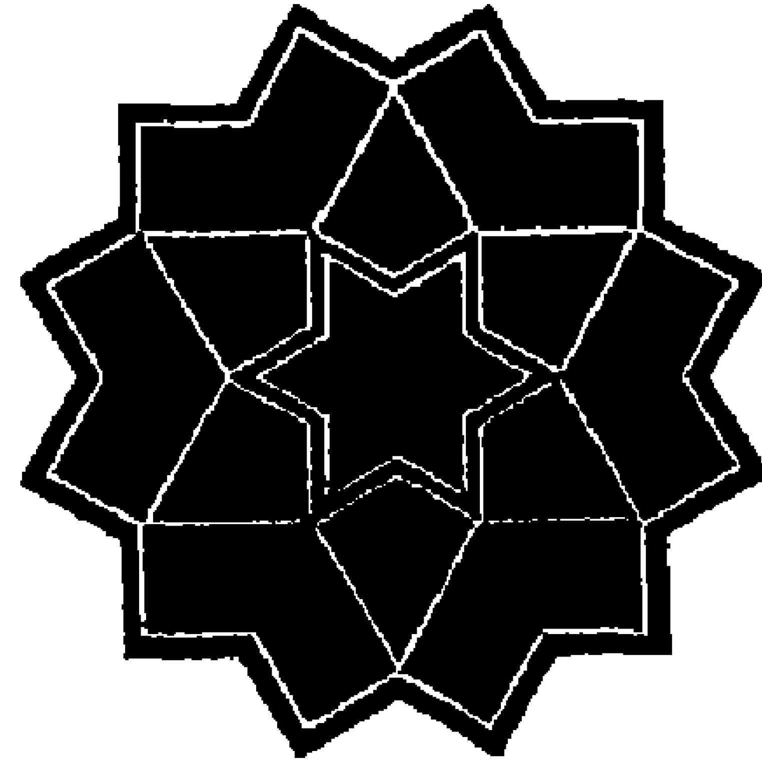
وإذا لم يكن للأزد في مصر من الولاة في عهد بني أمية الا سعيد بن يزيد الذي لم يدم حكمه أكثر من عامين ، فإنه كان لهم فيها قائد مشهور هو شرحبيل بن قليب الحجري الأزدي . وهذا القائد هو الذي كفى بني أمية مؤونة القضاء على ثائر من أخطر الثوار . ويأتي خطره لأنه ثار في أحرج أوقات بني أمية ، ذلك هو ثابت بن نعيم الجذامي الذي قام بثورة عاتية في فلسطين في عام ١٢٨هـ/٧٤٥م ، وهو العام الذي كانت فيه الدعوة العباسية قد أطلت برأسها في خراسان والمشرق ، وكان على آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد أن يكرس كل جهده ووقته للقضاء على هذا الخطر الزاحف(٨).

ومن ثم كلف والي مصر في تلك الفترة هذا القائد الأزدي الشجاع بأن يتصدى لخطر ثابت بن نعيم الذي لم يكتف بالسيطرة على فلسطين ، وانما أراد الزحف إلى مصر ليتخذها قاعدة يناوىء منها مروان بن محمد ، وأرسل دعاته ورسله لتمهيد الطريق له ولقواته ، وزحف فعلا لدخول مصر . فخرج له شرحبيل بن قليب الحجري الأزدي في قومه ومعه جمع كبير من بني أمية وقيس ،

(٧) الكندي : نفس المصدر ، ص٣٨-٣٩ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠١ .
(٨) الكندي : نفس المصدر ، ص٧١-٧٢ .

وقاتلوا ثابتا وهزموه وأعادوه الى بلاده وحرموه من تحقيق أهدافه في مصر[٩] .

ولم تلبث الأحداث أن تطورت ، وتم القضاء على بني أمية ، وقامت الخلافة العباسية في عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ، وكان للأزد فيها دور كبير ، وكان لابد من مكافأتهم ، فعينتهم الدولة في شتى المناسب ، وتولى حكم مصر منهم عدد كبير . وكان أولهم أبوعون بن عبدالملك بن يزيد الهنائي الأزدي .



(٩) المصدر السابق ، ونفس الصفحات .

ولاية أبي عون عبدالملك بن يزيد الهنائي[١٠] الأزدي على مصر :

(شعبان ١٣٣ ـ ربيع الآخر ١٣٦ هـ/ رمضان ١٣٧ ـ ربيع الأول ١٤١هـ)
(فبراير ٧٥١ ـ أكتوبر ٧٥٣م ، مارس ٧٥٥ ـ أغسطس ٧٥٨م)

عندما نزلت النازلة ببني أمية كان للأزد والمهرة دور كبير في القضاء على دولتهم . ويتمثل هذا الدور في جهود ذلك القائد الأزدي الخراساني أبي عون عبدالملك بن يزيد الهنائي ، وجهود عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي ، وشريك بن شيخ المهري . فقد قاد هؤلاء القواد الجيوش الزاحفة من خراسان حتى مصر حيث تم قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في قرية بوصير من أعمال مصر[١١] .

ونظرا لجهود هؤلاء القواد من الأزد والمهرة في اقامة دولة بني العباس ، اتخذ القائد الأعلى للحملة التي كانت تطارد مروان بن محمد في مصر وهو صالح بن علي العباسي قرارين : أولاهما هو ارسال وفد من أهل مصر كان معظم أعضائه من عرب الجنوب ، ومنهم أزدي هو محمد بن مشهور الأزدي ، إلى أول خلفاء بني العباس وهو أبوالعباس عبدالله السفاح يبشره بالنصر ويعلن له بيعة أهل مصر[١٢] .

أما القرار الثاني فهو الخروج من مصر واستخلاف أبي عون الأزدي الهنائي عليها ، وذلك في شعبان من عام ١٣٣هـ/فبراير ٧٥١م . وقد تولى أبو عون حكم

---

(١٠) الهنائي نسبة الى هناءة بن مالك بن فهم الأزدي العماني . وقد خرج من بني هناءة أشراف كثيرون رأس كثير منهم أزد البصرة وعمان وخراسان .

(١١) لمعرفة تفاصيل جهود القواد الأزد والمهرة من أمثال أبي عون وعبدالجبار وشريك المهري في قيادة الجيوش وفي الزحف من خراسان حتى مصر وفي مطاردة مروان بن محمد .
انظر ، الطبري : جـ٧ ص٣٨٩-٣٩١ ، ٤٠٩ ، ٤٣٢-٤٣٤ ، ٤٣٩-٤٤٢ ، ٤٠٩. ، الكندي : ص٧٩ .

(١٢) الكندي : نفس المصدر ، ص٨١ .

مصر وظل واليا عليها حتى ربيع الآخر من عام ١٣٦هـ/ أكتوبر ٧٥٣م[١٣]، وهي فترة من أهم الفترات في تاريخ دولة بني العباس . وهي كما هو معروف فترة هدم دولة واقامة دولة جديدة مكانها ، ولابد من ولاة على جانب كبير من المقدرة السياسية والكفاءة العسكرية حتى يعالجوا مشاكل الهدم وهموم البناء . فكان لها أبو عون الأزدي الذي ظل واليا على مصر حتى عزل في التاريخ المشار اليه .

ولم يعزل أبو عون عن حكم مصر لتقصير ظهر منه وانما لاسناد مهمة أخرى له تقتضيها كفاءته العسكرية ومقدرته الحربية . فقد أراد السفاح أن يخضع بلاد المغرب العربي لحكمه ، ولم يجد الا أبا عون لكي يقوم بهذه المهمة وأرسل صالح بن علي العباسي واليا على مصر بدلا منه ، ولم يلبث السفاح أن مات بعد ذلك بقليل وتولى أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة في ذي الحجة من عام ١٣٦هـ/ يونيو ٧٥٤م ، فأقر صالحا في حكم مصر . ولكن صالحا خرج من مصر إلى فلسطين في رمضان من عام ١٣٧هـ/ مارس ٧٥٥م ، واستخلف عليها أبا عون الأزدي للمرة الثانية ، حيث ظل يحكمها حتى عزل عنها للمرة الثانية في ربيع الأول من عام ١٤١هـ/ أغسطس ٧٥٨م[١٤].

وقد قام هذا الوالي الهنائي الأزدي الذي حكم مصر حوالي ثماني سنوات بأمور هامة ، منها :

١ ـ <u>انشاء عاصمة جديدة للبلاد عرفت باسم العسكر</u> : وكان موضع هذه المدينة ما كان يعرف في عهد عمرو بن العاص باسم خطة الحمراء القصوى التي كان ينزلها بعض عجم الشام من بني الأزرق وبني روبيل ، وبعض العرب

(١٣) الطبري : جـ٧ ص٤٤٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، الكندي : ص٨٣-٨٧ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٦ .
(١٤) الكندي : نفس المصدر ، ص٨٣-٨٧ .

من بني يشكر بن لخم . وقد اندثرت هذه الخطة ربما بانتقال سكانها الى منازل وخطط أخرى حتى صارت صحراء جرداء كان بعض منها يعرف بجبل يشكر ، نسبة إلى يشكر بن لخم التي كانت ساكنة لها من قبل(١٥) .

ولما قدمت القوات العباسية وعلى رأسها صالح بن علي العباسي وأبو عون الهنائي الأزدي ، نزلت في هذا الفضاء أو في تلك الصحراء ، وأمر أبو عون أصحابه وجنده بالبناء واتخاذ المنازل في هذا المكان الواسع الذي كان يقع شمال شرق مدينة الفسطاط ، فبنوا فيه دورهم وسكنوها ، وسميت هذه المدينة منذ ذلك الحين باسم العسكر نسبة الى عسكر أبي عون الهنائي الأزدي ، وصارت الولاة تنزلها وتتخذ منها مقرا لحكم مصر(١٦) .

واتسعت العمارة في المدينة الجديدة ، وامتدت مبانيها حتى اتصلت بالفسطاط ، وبنيت فيها دار الامارة ومسجد جامع عرف باسم جامع العسكر ، ثم عرف فيما بعد بجامع ساحل الغلة . واتخذت الشرطة مقرا لها في هذه المدينة سمي باسم الشرطة العليا ، أما شرطة الفسطاط فكانت تسمى بالشرطة السفلى . وظلت مدينة العسكر عاصمة للبلاد ومقرا لادارتها حتى قدم أبو العباس أحمد بن طولون الى مصر وبنى بجوارها مدينة جديدة هي مدينة القطائع واتخذها سكنا له ولجنده ، وذلك في عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م ، وظل الأمر على هذا النحو حتى زالت الدولة الطولونية ، وعاد حكام مصر وولاتها يسكنون العسكر من جديد ، حتى قدم على البلاد جوهر الصقلي قائد جيوش المعز لدين الله الفاطمي في عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م ، فأمر ببناء مدينة جديدة هي مدينة القاهرة التي أصبحت عاصمة لمصر منذ ذلك الحين والى اليوم(١٧) .

---

(١٥) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٦ ، جـ٢ ص٢٦٤ .
(١٦) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٤ ، ٣٠٦ ، جـ٢ ص٢٦٤ .
(١٧) المصدر السابق ، ونفس الصفحات .

وعلى هذا فإن احدى عواصم مصر الاسلامية أو بالأحرى ثاني عاصمة تم بناؤها في مصر في تاريخ الاسلام كانت على يد قائد أزدي هنائي هو أبوعون عبدالملك بن يزيد . ولاشك أن بناء هذه المدينة على هذا النحو عمل سياسي وحضاري لا يمكن اغفاله في تاريخ مصر ، ولا يمكن نسيان فضل من قام به .

٢ - القضاء على ثورة للقبط : وذلك عمل من الأعمال العسكرية والسياسية التي قام بها أبوعون الأزدي الهنائي في مصر . ولم تكن هذه الثورة وأمثالها كراهية في حكم المسلمين ، ذلك لأن هذا الحكم هو الذي أخرج المصريين من ظلم الروم البيزنطيين واضطهادهم وتعسفهم مع المصريين عامة ومع الكنيسة المصرية خاصة . ولكن هذه الثورة كانت بسبب تعسف بعض عمال الخراج في استخراج أموال الخراج منهم أو في زيادة مقداره عليهم . وقد أرسل أبوعون الهنائي الى هؤلاء الثائرين بعض جنده فقضوا على ثورتهم وقتلوا رؤوسهم[١٨] .

٣ - غزو بلاد المغرب العربي ومحاولة اخضاعها للدولة العباسية : ذلك أن العباسيين لم يكن لهم في هذه البلاد نفوذ . ففي ليبيا كان النفوذ للأباضية[١٩] ، وفي تونس كان الحكم والسلطان فيها لعبدالرحمن بن حبيب الفهري منذ عام ١٢٦هـ/٧٤٣م[٢٠] ، وفي الجزائر والمغرب كانت السيطرة للأباضية والصفرية وبعض القبائل البربرية[٢١] . ولذلك أراد أبو العباس السفاح أن يمد سلطانه إلى هذه البلاد ، فجمع حكم مصر وفلسطين والمغرب لعمه صالح بن علي العباسي وأرسل معه الجيوش اللازمة لتحقيق هذا الغرض . فقام صالح بتولية أبي عون الهنائي قيادة هذه الجيوش ومهد له بارسال عدد من أشراف أهل مصر إلى افريقية

(١٨) المصدر السابق ، جـ١ ص٧٩ ، ٣٠٦ ، جـ٢ ص٢٦١ ، أرنولد : الدعوة إلى الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٠ ، ص١٢٨ .
(١٩) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٢٤ ، ٢٢٥ .
(٢٠) المصدر السابق ، ص٢٢٣ .
(٢١) المصدر السابق ، ص٢١٩ - ٢٢٥ .

دعاة للعباسيين فيها وتمهيدا للجيش الزاحف اليها[٢٢] .

خرج أبو عون من العسكر في جمادى الآخرة سنة ١٣٦هـ/ ديسمبر ٧٥٣م لتنفيذ ما طلب منه ، وأرسل المثنى بن زياد الخثعمي في شوال من نفس العام إلى الاسكندرية لاعداد السفن وتجهيزها للابحار الى مدينة طرابلس . وبعث أمير مصر بعياش بن عقبة الحضرمي يحمل الطعام لجيش أبي عون . وقد وصلت جيوش هذا القائد الأزدي الهنائي الى برقة ، ولكنها لم تستمر في الزحف حيث وصلت الأنباء بموت أبي العباس السفاح واستخلاف أخيه أبي جعفر المنصور في ذي الحجة من عام ١٣٦هـ/ يونية ٧٥٤م[٢٣] .

ويبدو أن أبا جعفر كان منشغلا بثورة عمه عبدالله عليه في الجزيرة الفراتية ، كما انه كان يتحسب لازدياد نفوذ أبي مسلم الخراساني ، ولذلك جعل أمير مصر يصدر أوامره الى أبي عون بالعودة من برقة التي كان قد بلغها وأقام فيها أحد عشر يوما لا شهرا كما قال الكندي . وبعد العودة نرى أمير مصر العباسي يكافىء الجند المصريين الذين كانوا في جيش أبي عون متطوعين ، فألحق منهم ألفي مقاتل في الديوان « وزاد أهل مصر عشرة في أعطياتهم »[٢٤]، رغم أنهم لم يحققوا الهدف المرجو من وراء هذه الحملة ، ولكن قيادة أبي عون وحسن تدبيره وسرعة استجابته وزحفه السريع على هذا النحو حتم على العباسيين أن يقدموا له ولرجاله الثناء والشكر والمكافأة .

٤ ـ القضاء على ثورة في فلسطين ضد الحكم العباسي : ذلك أن ثورة نشبت في فلسطين ضد بني العباس ، ولم يجد لها أمير مصر الا أبا عون الأزدي

---

(٢٢) الكندي : نفس المصدر ، ص٨٤ـ٨٥ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٦ .
(٢٣) المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات .
(٢٤) المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات .

الهنائي . وكان الحكم بن ضبعان الجذامي قد أعلن الثورة ضد أبي جعفر المنصور وأعلن خلعه ، فبعث أمير مصر صالح بن علي العباسي قائدين أزديين من أصل عماني ، أولهما هو ما نحكي عنه وهو أبو عون ، وثانيهما هو أبو سعيد بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة . كما بعث معهما بمحمد بن الأشعث الخزاعي الأزدي أيضا وان كان من غير أزد عمان ، وذلك للقضاء على هذه الثورة وعلى ذلك الثائر . وكانت لأبي عون القيادة العامة للقوات الزاحفة من مصر ، وقد تمكنت هذه القوات من هزيمة الحكم بن ضبعان والقضاء على جيشه ، وأرسل أبو عون إلى مصر برؤوس ثلاثة آلاف من أصحابه المشتركين معه في التمرد والثورة(٢٥) .

ويبدو أن ثورة الحكم بن ضبعان كانت ثورة عاتية ، حيث نرى أمير مصر العباسي لا ينتظر أن تصله نتيجة المعارك الدائرة ، وانما يستنفر أهل مصر ويكون منهم جيشا يجعل على رأسه ثلاثة من قواده ، ويخرج بنفسه معهم متوجها الى فلسطين بعد أن استخلف ابنه الفضل على مصر . ولما بلغ صالح العباسي مدينة بلبيس ، بلغته الأنباء بالفتح وبانتصار أبي عون الهنائي ومن معه من المهالبة والأزد وأهل مصر ، فرجع صالح الى العسكر ولم يستقر فيها مدة طويلة ، اذ ما لبث أن خرج إلى فلسطين مرة ثانية ، وطلب من أبي عون أن يعود من فلسطين إلى مصر ، فالتقيا معا عند مدينة الفرما (بورسعيد الآن) ، حيث تم اسناد امارة مصر ، صلاتها وخراجها ، الى أبي عون ، وذلك في رمضان من عام ١٣٧هـ/ مارس ٧٥٥م ، واستأنف صالح مسيره الى فلسطين ، وأصبح أبو عون الهنائي واليا على مصر للمرة الثانية ، ربما مكافأة له على حسن بلائه في القضاء على ثورة هددت الحكم العباسي في فلسطين ومصر أيضا ، وظل أبو عون واليا على مصر حتى ربيع الأول سنة ١٤١هـ/ أغسطس ٧٥٨م(٢٦) .

---

(٢٥) الكندي : نفس المصدر ، ص٨٥ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٦ .

(٢٦) الكندي : نفس المصدر ، ص٨٦ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٦ .

ولم يكد يمر على ذلك ثلاثة أعوام وأشهر الا وأعيد الحكم في مصر إلى حكام من أصل عماني مرة ثانية . وفي هذه المرة كان أمير مصر قائدا مشهورا من قوات المهالبة الأزديين الذين كان لهم من النفوذ والهيبة في بلاد المشرق الاسلامي ما هو معـروف في تاريخ الـدولـة الاسـلامية ، سواء في عهد بني أمية أم في عهد بني العباس . هذا القائد هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي العماني الأصل .

ولاية يزيد بن حاتم المهلبي على مصر :

(ذو القعدة ١٤٤[٢٧] ـ ربيع الآخر ١٥٢هـ/ فبراير ٧٦٢ ـ ابريل ٧٦٩م)

تولى يزيد بن حاتم المهلبي حكم مصر في ظروف سياسية مضطربة ، ذلك أن دعوة العلويين كانت قد انتشرت في مصر بعد أن وصل اليها علي بن محمد بن عبدالله بن حسن الحسني العلوي ، وكان يدعو فيها لأبيه محمد المعروف بالنفس الزكية ، ولعمه ابراهيم ، وبايعه كثير من الناس ، وشد من أزره وقام معه في هذه الـدعوة خالد بن سعيد الصدفي ، حيث كان جده ربيعة بن حبيش من خاصة الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن شيعته . وكان وصول علي بن محمد العلوي الى مصر أثناء ولاية حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي . ولم يبذل هذا الوالي جهده للتصدي لهذه الدعوة ، بل انه تغافل عن علي بن محمد واحتال حتى لا يتم القبض عليه ، فعزله أبو جعفر المنصور وولى يزيد بن حاتم المهلبي على مصر بدلا منه[٢٨] .

---

(٢٧) يقول الطبري (جـ٧ ص٥١٥) ان يزيد بن حاتم تولى حكم مصر في عام ١٤٣هـ ، ولكننا أخذنا برأي الكندي لأنه عاش في مصر ومن أبنائها وأدرى بتاريخها ، وهو معاصر للطبري وان كان قد توفي بعده في عام ٣٥٠هـ . انظر ، الكندي : ص٩١ .

(٢٨) الكندي : نفس المصدر ، ص٩١ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٧ ، جـ٢ ص٣٢٨ .

وكان على يزيد أن يواجه هذه الدعوة بمنتهى الحزم والشدة حتى لا يفقد منصبه هو الآخر ، لأن ولايته لمصر في هذه الفترة ربما كانت بقصد القضاء على الـدعوة لمحمد ذي النفس الزكية ، ولما اشتهر به المهالبة خاصة من الاخلاص للعباسيين ، ولما اشتهر به يزيد بن حاتم نفسه من صفات خاصة جعلته أهلا لثقة العباسيين وموضع تقديرهم .

فقد وصفه ابن عذارى بالشجاعة وبعد الصيت ونفاذ الرأي والتقدم ، وقال انه « كان كثير الشبه بجده المهلب بن أبي صفرة في حروبه وكرمه »[٢٩]. كما قال انه « كان خاصا بأبي جعفر المنصور ». ونظرا لعظيم ثقته فيه وفي كفايته ، فقد ولاه ولايات كثـيرة منهـا أرمينية والسند وأذربيجان[٣٠]، كما أرسله للقضاء على ثورة ملبد بن حرملة الشيباني الخارجي بالجزيرة الفراتية ، وكان هذا الخارجي قد هزم جند الجزيرة وجند الموصل ، فسار اليه يزيد وهزمه[٣١]. ولذلك كان يزيد جديرا بتعيينه أميرا على مصر وهي من أهم ولايات الدولة . وقد تعددت أعمال يزيد بن حاتم المهلبي في مصر ، وكان منها :

١ - القضاء على الدعوة العلوية في مصر : ذلك أن القائمين على أمر هذه الدعوة كانوا قد بدأوا التحرك من جديد ووصل خبر تحركاتهم إلى يزيد بن حاتم المهلبي عن طريق رجل كان قد شهد اتفاق خالد بن سعيد الصدفي ومن معه على البدء بنهب بيت المال الذي كان موجودا بالمسجد الجامع في دجى الليل وذلك في شوال من عام ١٤٥هـ/ يناير ٧٦٣م . ولما ذهب خالد بن سعيد إلى المسجد وتمكن من بيت المال لم يستطع الفرار في البداية بما حازه من أموال ، لأن جنود يزيد بن

(٢٩) ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٣ ، جـ١ ص٧٨ .
(٣٠) المصدر السابق ، جـ١ ص٨١ .
(٣١) الطبري : نفس المصدر ، جـ٧ ص٤٩٥ .

حاتم كانـوا قد أحاطوا بالمسجد ، وظل خالد في المسجد مختبئا حتى تمكن من الهرب واختفى زمنا طويلا حتى مات في زمن الخليفة المهدي بالله العباسي بعد عام ١٦٠هـ/٧٧٦م في مدينة الاسكندرية[٣٢] .

أما علي بن محمد العلوي القائم بدعوة أبيه فقد اختفى هو الآخر في أحد بيوت أهل مصر ومات دون أن يظهر له أي أثر . وقام يزيد بن حاتم بقتل ثلاثة عشر رجلا من أصحاب خالد بن سعيد ، وانتهى أمر هذه الدعوة على يد يزيد وعلى يد قواده الذين كان معظمهم من الأزد والمهالبة[٣٣] .

فقـد كان منهم على سبيل المثـال أبو الأشهل سعيد بن الحكم الأزدي ، والعلاء بن رزين الأزدي السليمي ، أي من أحفاد سليمة بن مالك بن فهم . واطمأن أبو جعفر المنصور على ملكه وخاصة أنه كان قد استطاع اثر ذلك أن يقتل ابراهيم بن عبدالله بن الحسن العلوي في بلاد العراق ، وأن يرسل برأسه الى مصر في ذي الحجة سنة ١٤٥هـ/ مارس ٧٦٣م[٣٤]، كما كان قد تمكن من قتل أخيه محمد ذي النفس الزكية في بلاد الحجاز في شهر رمضان من نفس العام[٣٥] .

٢ ـ القضـاء على بعض المتمـردين : الـذين كانـوا قد خرجوا على بني العباس في جنوب مصر من ناحية بلاد الحبشة . فقد « خرجت خارجة بها عليهم أبـو ميميون » . ولعل هؤلاء الخارجين أو المتمردين كانوا من القبائل التي كانت تسكن بلاد البجة التي تقع بين أسوان والبحر الأحمر وتمتد مضاربها جنوبا الى شمالي بلاد الحبشة . ولذلك اعتبرهم الكندي من بلاد الحبشة ، وكانوا يقومون بالزحف داخل مصر وينهبون ويقتلون ثم يعودون الى بلادهم . ولم يتوان أمير مصر يزيد بن

(٣٢) الكندي : نفس المصدر ، ص٩٢-٩٤ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٧ ، جـ٢ ص٣٢٨ .
(٣٣) الكندي : نفس المصدر ، ص٩٤ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٧ ، جـ٢ ص٣٢٨ .
(٣٤) الكندي : نفس المصدر ، ص٩٢ ، ٩٣ ، الطبري ؛ نفس المصدر ، جـ٧ ص٦٢٢-٦٤٩ .
(٣٥) الطبري : نفس المصدر ، جـ٧ ص٥٥٢ ، ٦٠٩ .

حاتم المهلبي في القضـاء على هؤلاء النـاس ، فأرسـل اليهم جيشـا تمكن من هزيمتهم وقتل زعيمهم أبا ميمون ، وأرسل يزيد برأسه ورؤوس أصحابه إلى أبي جعفر المنصور مع قائد مهلبي هو المهلب بن داود بن يزيد بن حاتم المهلبي(٣٦) .

٣ ـ التصدي لثورة القبط : في هذه المرة نرى يزيد بن حاتم يتصدى لخطر آخر كان نابعا من أهل مصر أنفسهم . ذلك أن القبط عادوا إلى التمرد من جديد في عام ١٥٠هـ/٧٦٧م بنـاحية سخا وأخـرجـوا منها عاملها وهو عبدالجبار بن عبـدالـرحمن الأزدي ، وانضم اليهم أهـل شبرا سنباط وأهل البشرود والأوسية والبجوم ، وكلها مدن ونواح تقع في الوجه البحري بمصر . وعندما اتسع نطاق التمرد على هذا النحو ووصل خبره إلى أمير مصر يزيد بن حاتم المهلبي ، أرسل جنده على الفور وعلى رأسهم قائد مهلبي هو نصر بن حبيب المهلبي ، ولكن القبط تظاهروا بالهزيمة والانسحاب ، فاندفع نصر في أثرهم ، فخرج عليه القبط من كمائنهم التي كانـوا قد أعـدوهـا من قبـل ، فهـزمـوا جيشه وقتلوا عبدالجبار بن عبـدالرحمن الأزدي ، وطعنوا نصر بن حبيب المهلبي نفسه طعنتين لم تصيبا منه مقتلا كما طعنوا قائدا آخر هو محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج . فقام توبة الخولاني وألقى النار في عسكر القبط حتى يشغلهم عن جيش نصر ، وعاد هذا الجيش إلى الفسطاط مهزوما(٣٧) . ويبدو أن يزيد بن حاتم قد تمكن فيما بعد من القضاء على هذه الثورة ، لأننا لم نسمع عنها شيئا بعد ذلك حتى عزل يزيد عن ولاية مصر في ربيع الآخر من عام ١٥٢هـ/ ابريل ٧٦٩م(٣٨) .

٤ ـ توسيع رقعـة مصر : لم يكتف يزيد بن حاتم المهلبي بالقضاء على الأخطار التي هددت الأمن في مصر ، بل نراه يقوم بعمل آخر هو توسيع رقعة

---

(٣٦) الكندي : نفس المصدر ، ص٩٤ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٧ .
(٣٧) الكندي : نفس المصدر ، ص٩٥ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٧٩ ، ٣٠٧ ، جـ٢ ص٢٦١ .
(٣٨) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٧ .

البلاد . ذلك أنه قام بضم جزء من ليبيا وهو اقليم برقة الى مصر ، وهو أول من ضم هذا الاقليم الى مصر في تاريخ الاسلام ، وأمر عليه أحد بني سيبان من مهرة من أهل عمان ، وهو عبدالسلام بن عبدالله بن هبيرة السيباني ، وذلك في عام ١٤٨هـ/٧٦٥م(٣٩).

٥ ـ القيام ببعض الأعمال العمرانية : منها قيامه ببناء فسقية للماء في خطة المعافر . وكانت المعافر قد شكت الى يزيد بن حاتم بعد الماء عنهم ، فابتنى لهم هذه الفسقية وأجرى اليها الماء من ساقية أبي عون الهنائي عامل مصر الأسبق ، وأنفق على هذا العمل مالا كثيرا حتى لامه في ذلك أبو جعفر المنصور وقال له : « لم أنفقت مالي على قومك ؟ »(٤٠).

وهكذا كان لنجاح يزيد بن حاتم المهلبي في القضاء على الفتن والثورات التي قامت في مصر ، أثر كبير في استمراره واليا على مصر حوالي ثماني سنوات ، وفي تعيينه بعد ذلك واليا على ولاية افريقية (تونس) منذ عام ١٥٤هـ/٧٧١م ولأكثر من ستة عشر عاما وذلك لتحقيق نفس الأهداف التي حققها من قبل في مصر . ذلك أن هذه البلاد كانت تشهد اضطرابات وقلاقل لا حد لها ، فذهب اليها يزيد وتمكن من القضاء على ما فيها من فتن ، وجمع الناس حوله بحسن سياسته وكرمه(٤١)، فاستقرت الأمور وانتشر الأمن في ربوع البلاد مدة طويلة خلال حكمه المديد حتى توفي بها عام ١٧٠هـ/٧٨٦م(٤٢).

وقد تولى حكم مصر بعد يزيد بن حاتم المهلبي عدد من الولاة كان بعضهم

---

(٣٩) الكندي : نفس المصدر ، ص٩٥ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٧ .
(٤٠) الكندي : نفس المصدر ، ص٩٤ .
(٤١) عن كرم يزيد بن حاتم المهلبي ، انظر ، ابن عبد ربه : جـ١ ص١٥٦ ، ١٦٦ ، جـ٥ ص١٨٩-١٩٠ ، ابن عذارى : جـ١ ص٧٨ ، ٧٩ ، ابن خلكان : جـ٦ ص٣٢٥-٣٢٦ .
(٤٢) الطبري : جـ٨ ص٤٥ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ابن عذارى : جـ١ ص٧٥-٨٢ ، ابن خلكان : جـ٦ ص٣٢٢ ، ٣٢٦ .

من اليمانية من أهل مصر ، وبعضهم الآخر أمراء من البيت العباسي نفسه . ولم يلبث أن تولى حكمها رجال من الأزد والمهالبة ، منهم محمد بن زهير الأزدي ثم داود بن يزيد المهلبي .

ولاية محمد بن زهير الأزدي على مصر :

(شعبان ١٧٣ ـ ذو الحجة ١٧٣هـ/ يناير ٧٩٠ ـ مايو ٧٩٠م)

تولى محمد بن زهير الأزدي حكم مصر من قبل هارون الرشيد ، وكانت مدة حكمه قصيرة نظرا لسوء سياسة صاحب الخراج مع الجند . فقد تسبب صاحب الخراج في ثورة طائفة من الجند يقال لهم القديدية نتيجة لتأخره في تسليمهم أعطياتهم وأرزاقهم فصلبوه ودخنوا عليه حتى دفع اليهم هذه الأعطيات ، ولم يقم محمد بن زهير بالدفاع عنه وايقاف اعتداء الجند عليه ، مما كان سببا فى صرفه عن ولاية مصر في أوائل ذي الحجة سنة ١٧٣هـ ، وبذلك لم تزد ولايته على مصر عن خمسة أشهر[٤٣]، تولاها بعده أمير من المهالبة هو داود بن يزيد بن حاتم .

ولاية داود بن يزيد بن حاتم المهلبي على مصر :

(ذو الحجة ١٧٣ ـ المحرم ١٧٥هـ/ مايو ٧٩٠ ـ مايو ٧٩١م)

أقبل داود بن يزيد بن حاتم المهلبي الى مصر من بلاد العراق ومعه الأمير العباسي ابراهيم بن صالح بن علي ، وذلك لمساعدته في اخراج الجند القديدية من الفسطاط وابعادهم عن البلاد حتى لا يقلدهم غيرهم فيما فعلوه بصاحب الخراج في عهد الأمير السابق ، وعقابا لهم على هذا العمل الذي تسبب في عزل والي البلاد .

(٤٣) الكندي : نفس المصدر ، ص١٠٧ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٣٠٨ .

وقد تمكن هذا الوالي المهلبي وذلك الأمير العباسي من اخراج هذه الطائفة من الجند من الفسطاط ، فرحلوا عنها الى مشرق الدولة ومغربها ، وسار بعضهم الى بلاد الشـام عن طريق البحـر الأبيض المتـوسط ، فظفـرت بهم الـروم وأسرتهم(٤٤)، وانتهى خطرهم على هذا النحو .

ولكن ولاية داود المهلبي لم تزد عن سنة ونصف الشهر إذ لم يلبث هارون الرشيد أن عزله عن ولايتها . وربما كان هذا العزل لأنه لم يكن في مقدرة وكفاءة والده يزيد بن حاتم ، وربما صرف عنها لاحتياج الدولة اليه في ميدان آخر أقل مشاكل من مصر ، اذ يخبرنا ابن الكلبي بأنه تولى حكم عمان ثم كرمان ثم السند ومات بها(٤٥) .

وتـولى حكم مصر بعـد ذلـك عدد من الولاة معظمهم أمراء من البيت العباسي ، ولم يعين عليها أزدي من أصل عماني بعد ذلك حتى ولاية عنسبة بن اسحاق الضبي في عام ٢٣٨هـ/٨٥٢م ، حيث كان هذا الوالي آخر ولاة العرب على مصر ، ولم يلها بعد ذلك الا تركي حتى قيام الدولة الفاطمية وانتقال المعز لدين الله الفاطمي اليها في عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م(٤٦) .

ولا يفوتنا أن نشير في نهاية حديثنا عن ولاة الأزد والمهالبة الأزديين الذين تولوا حكم مصر ، الى أن ادارة البلاد في عهدهم كانت أزدية ، بمعنى أن هؤلاء الولاة كانوا يعينون في المناصب الكبرى في مصر أناسا من نفس قبيلتهم ، كما ان غيرهم من ولاة مصر من غير الأزد كانوا يستعينون بالأزد في ادارتهم للبلاد أيضا . والأمثلة على ذلك كثيرة .

---

(٤٤) المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات .
(٤٥) نسب معد واليمن الكبير ، جـ٢ ص١٦٣ .
(٤٦) الكندي : نفس المصدر ، ص١٥٧-١٥٨ .

فقد كان شرحبيل بن قليب الحجري الأزدي قائدا لجيش حفص بن الوليد الكندي في ولايته الثالثة لمصر (رجب ١٢٧ ـ مستهل عام ١٢٨هـ/ ابريل ٧٤٥ ـ أكتوبر ٧٤٥)[٤٧]. وكان محمد بن مشهور الأزدي أحد أعضاء وفد أرسله أمير مصر صالح بن علي العباسي ببيعة أهل مصر الى أبي العباس السفاح[٤٨]. وكان أبو سعيد بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة قائدا عينه صالح بن علي العباسي للقضاء على ثورة الحكم بن ضبعان الجذامي في فلسطين[٤٩].

وأثناء ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة على مصر (ذو القعدة ١٤٤ ـ ربيع الآخر ١٥٢هـ/ فبراير ٧٦٢ ـ ابريل ٧٦٩م) كثر الموظفون الذين عينهم هذا الوالي من الأزد ومن غيرهم من ذوي الأصول العمانية. والمثال على ذلك أبو الأشهل سعيد بن الحكم الأزدي، والعلاء بن رزين الأزدي وكانا قائديه في القضاء على الدعوة العلوية في مصر، والمهلب بن داود بن يزيد بن حاتم المهلبي رسوله لأبي جعفر المنصور لتبشيره بالقضاء على المتمردين في جنوب مصر حاملا رؤوس زعمائهم اليه، ونصر بن حبيب المهلبي قائد الشرطة والذي تولى القضاء على ثورة القبط مع قائد أزدي آخر هو عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي، وكذلك كان من ولاته رجل من سيبان من مهرة هو عبدالسلام بن عبدالله السيباني الذي كان واليا له على برقة التي ضمها الى مصر[٥٠]. كما تولى سيباني آخر وهو ابن ذي هجران السيباني المهري قيادة الجند المصريين في عهد أمير مصر الفضل بن صالح العباسي، حيث قام هذا القائد السيباني بالقضاء على ثورة قام بها أحد الأمويين في بلاد الصعيد في مصر ١٦٩هـ/ ٧٨٥م[٥١].

---

(٤٧) المصدر السابق، ص٧٢.
(٤٨) المصدر السابق، ص٨١.
(٤٩) المصدر السابق، ص٨٥.
(٥٠) المصدر السابق، ص٩١-٩٥.
(٥١) المصدر السابق، ص١٠٤-١٠٥.

وكـذلك كان عمران بن سعيد الحجري الأزدي على الشرطة لوالي مصر عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج التجيبي (ربيع الآخر ١٥٢ ـ صفر ١٥٥هـ/ ابريل ٧٦٨ ـ يناير ٧٧٢م)(٥٢). وكان خالد بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة على الشرطة لوالي مصر ابراهيم بن صالح العباسي في ولايته الثانية (صفر ١٧٦ ـ رمضان ١٧٦هـ/ يونية ٧٩٢ ـ ديسمبر ٧٩٢م)(٥٣).

وكان سليمان بن الصمة المهلبي على الشرطة لوالي مصر اسماعيل بن صالح العباسي (رمضان ١٨١ ـ جمادى الآخرة ١٨٢هـ/ نوفمبر ٧٩٧ ـ أغسطس ٧٩٨م)(٥٤). وأثناء ولاية الليث بن فضل على مصر (شوال ١٨٢ ـ جمادى الآخرة ١٨٧هـ/ ديسمبر ٧٩٨ ـ يونيه ٨٠٣م) كان على الشرطة عبدالغني بن عدي الحجري ، ولما مات هذا الرجل تولى أمر الشرطة بعده أيضا رجل من حجر الأزد هو عمرو بن عبدالعزيز بن يريم الحجري(٥٥).

ولما قامت ثورة في بعض عرب مصر على واليها حاتم بن هرثمة بن أعين (ربيع الأول ١٩٤ ـ جمادى الآخرة ١٩٥هـ/ ديسمبر ٨٠٩ ـ مارس ٨١١م) كان القائد جنده في القضاء على هذه الثورة رجل أزدي هو عبدالعزيز بن عبدالجبار الأزدي بمساعدة بعض القواد الآخرين(٥٦). وعندما قامت ثورة عرب الحوف الشرقي في الوجه البحري بمصر ، استعان الخليفة المأمون بأحد المهالبة كي يكون رسوله الى الثوار لتهدئتهم والتفاهم معهم ، وهو أبو خالد المهلبي(٥٧). ولما لم تنته هذه الثورة وقدم المأمون بنفسه إلى مصر من أجل القضاء على الفتنة ، ولى على

---

(٥٢) المصدر السابق ، ص٩٥-٩٦ .
(٥٣) المصدر السابق ، ص١٠٨ .
(٥٤) المصدر السابق ، ص١١١ .
(٥٥) المصدر السابق ، ص١١١ .
(٥٦) المصدر السابق ، ص١١٧ .
(٥٧) المصدر السابق ، ص١٤٦ .

الشرطة رجلا من الأزد هو أحمد بن بسطام الأزدي[٥٨].

وكذلك كان معظم القضاة الذين تولوا منصب القضاء في مصر من عرب اليمانية وخاصة الحضارمة ، وكان بعضهم من أصل عماني ، والمثال على ذلك هو عياض بن عبيد الله الأزدي السلامي . وقد تولى هذا الأزدي العماني الأصل القضاء في جمادى الأولى من عام ٩٣هـ/ فبراير ٧١٢م من قبل والي مصر قرة بن شريك ، وظل على القضاء حتى صرف عنه في شهر رجب من عام ٩٩هـ/ سبتمبر ٧١٧م ، ثم رد اليه ثانية من قبل سليمان بن عبدالملك حتى توفي سليمان في صفر من عام ٩٩هـ/ سبتمبر ٧١٧م ، فأقره عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في منصبه[٥٩].

ويحكي لنا الكندي عن المراسلات التي كانت تروح وتجيء بين هذا القاضي الأزدي وبين الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه بخصوص بعض المسائل والمشاكل الفقهية التي كانت تواجه ذلك القاضي ويريد أن يأخذ فيها رأي الخليفة . وظل هذا القاضي الأزدي في منصبه حتى صرفه عنه عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، في شهر رجب من عام ١٠٠هـ/ فبراير ٧١٩م[٦٠].

ومن القضاة الذين تولوا منصب القضاء في مصر وذكرهم ابن عبدالحكم ، المفضل بن فضالة بن عبيد القتباني[٦١]. وقد ذكره وكيع على أنه المفضل بن فضالة بن عبيد الغساني[٦٢]، مما يدل على أنه من الأزد . والغساسنة كانوا يعيشون في بلاد الشام واستقر بعضهم في مصر وعمان التي لا بزال يوجد بها بعض منهم حتى

---

(٥٨) المصدر السابق ، ص١٥٠ .
(٥٩) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٣٩ ، الكندي : نفس المصدر ، ص٢٤٩-٢٥٠ .
(٦٠) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٣٩ ، الكندي : نفس المصدر ، ص٢٤٩-٢٥٤ .
(٦١) تاريخ فتوح مصر وأخبارها ، ص٢٤٤ .
(٦٢) أخبار القضاة ، جـ٣ ص٢٣٧ .

الآن[٦٣]، وكان لقب الغساني يطلق أحيانا على أزد من غير الغساسنة ، من باب المدح والثناء ، نظرا لما اشتهر به الغساسنة من البطولة والشجاعة في معاركهم ضد الروم البيزنطيين ، مثال ذلك ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها في معركة الجمل عام ٣٦هـ/٦٥٦م عندما سألت عمن يقاتلون على يسارها ، ورد عليها صبرة بن شيبان الأزدي الحداني العماني الأصل بأنهم الأزد ، فلم تلبث أن قالت « يا آل غسان ! حافظوا اليوم جلادكم الذي كنا نسمع به »[٦٤]، فسمتهم الغساسنة ، وليسوا منهم ، وذكرتهم بشجاعتهم التي كان الناس يعرفونها ويسمعون بها .

وعلى أية حال فقد تولى الفضل بن فضالة القتباني منصب القضاء في مصر في عام ١٦٨هـ/٧٨٤م ، أي أثناء خلافة المهدي بالله العباسي ، ولكنه لم يستمر في منصبه مدة طويلة ، إذ لم يلبث أن عزل عنه في العام التالي ، ثم أعيد اليه مرة أخرى على يد والي مصر داود بن يزيد بن حاتم المهلبي في عهد هارون الرشيد في عام ١٧٤هـ/٧٩٠م ، واستمر يليه حتى صفر من عام ١٧٧هـ/ مايو٧٩٣م[٦٥] .

وكان هذا القاضي أول من أطال الكتب من القضاة في مصر ، كما كان كثير العلم حتى روى عنه كثير من الناس مثل ابن عبدالحكم صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها . كما كان كثير العبادة وملازمة المسجد ، كما كان ضنينا بأموال المسلمين حفيظا عليها[٦٦] .

وبالاضافة الى هذه المناصب التي تولاها الأزد والمهرة في مصر كان هناك

---

(٦٣) معجم أسماء العرب ، مادة « الغساني » ، جـ٢ ص١٢٧٤ .
(٦٤) الطبري : نفس المصدر ، جـ٤ ص٥١٦ .
(٦٥) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٤٤ ، ٢٤٥ ، الكندي : نفس المصدر ، ص٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ .
(٦٦) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٦٥ ، ١٥٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٥٩ ، ٢٨٠ ، وكيع : نفس المصدر ، جـ٣ ص٢٣٨ .

عمـل ديني قامـوا به ، وهـذا العمل هو ما كان يعرف باسم القصص . وكان الشخص الذي يقوم بهذا العمل يسمى قاصا . وكانت مهمته هي الصلاة بالناس ووعـظهم وتـذكـيرهم بأمور الآخرة من خلال قيامه بتفسير بعض آيات القرآن الكـريم والتحدث عن الأمم البائدة ، كما كان من عمله تحميس الجند للقتال بتذكيرهم بأخبار الشهداء وذكر فضائلهم وما وعدوا به من جنة النعيم(٦٧). وممن تولى هذا العمل في مصر رجل من قتبان يدعى عبدالله بن عباس القتباني الذي كان مرشحا لمنصب القضاء في ولاية أبي عون الهنائي الأولى على مصر في عهد أبي العباس السفاح ، ولم يتقلد هذا المنصب فتولى القصص(٦٨).

وهكذا تبوأ الأزد ومنهم المهالبة والحجريون والقتبانيون وغيرهم ، كما تبوأت المهرة ومنهم السيبانيون وغيرهم ، أخطر المناسب وأعلاها في مصر منذ الفتح وحتى قيام الدولة الطولونية التي منع العرب منذ قيامها في عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م ، بل وقبل ذلك بحوالي عشر سنوات من تولي المناصب العليا وخاصة منصب الوالي وقيادة الشرطـة . وفي ظل الادارة الأزدية لمصر تم القضـاء كما رأينـا على الفتن والثورات التي أطلت برأسها وأقضت مضاجع بني العباس ليس في مصر وحدها ، بل وفي البلدان المجاورة ، واستطاع الولاة الأزديون العمانيون أن يحفظوا عليهم نفوذهم في مصر بل ويمدوا هذا النفوذ الى بلدان المغرب العربي . كما أنهم قاموا بانشـاء كثير من الخطط والمنازل والمرافق العامة ، بل ان أحدهم وهو أبو عون الهنـائي الأزدي قام بانشـاء مدينة بأكملها وهي مدينة العسكر التي حلت محل الفسـطاط كعـاصمـة لمصر منـذ عام ١٣٣هـ/٧٥٠م وظلت كذلـك حتى قام الطولونيون بانشاء مدينة القطائع التي حلت محلها ، بعد مرور أكثر من قرن من

---

(٦٧) ابن عبـدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٤٣ ، مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٧٤ ، جـ١ ص٣٧٩ .

(٦٨) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٤١ ، ٢٤٣ .

الزمان كما سبق القول .

وإذا كان للولاة الأزديين الذين أرسلتهم دولة الخلافة الى مصر ليحكموها والذين يمكن أن نسميهم بالأزد الوافدين كل هذا الدور السياسي والحضاري ، فإنهم لم يقوموا بهذا الدور الا بمشاركة اخوانهم من الأزد الذين أقاموا في مصر منذ الفتح أو هاجروا اليها بعد ذلك واتخذوها وطنا لهم . والذين يمكن أن نسميهم الأزد المصريين . وقد سبق أن بينا أن ولاة مصر من الأزد كانوا يتخذون كبار الموظفين من أزد مصر ومهرتها ، مما كان له أثره الكبير في نجاح المشروعات السياسية والحضارية التي قام بها هؤلاء الولاة .

غير أن الأزد المصريين كان لهم دور آخر ، هذا الدور يتمثل في موقفهم من الفتن التي قامت في مصر في تلك الفترة ، نتيجة لأسباب عديدة ، ولبيان ذلك لابد من حديث .

ثانيا : موقف الأزد والمهرة المصريين من الفتن والثورات التي قامت في مصر :

لم يستطع أزد مصر ومهرتها أن يقفوا موقف المتفرج من الأحداث الداخلية التي مرت بها مصر وقتذاك ، لأن هذه الأحداث كانت تمسهم ، ولذلك أدلوا بدلوهم فيها ، ولم يكن اشتراكهم في هذه الأحداث سواء كانت موجهة ضد الولاة أو ضد الخلفاء أنفسهم الا نتيجة لأسباب ودوافع عديدة يمكن أن نشير اليها في النقاط الآتية : ـ

١ ـ ظلم الوالي وشدته وكراهية الجند له : وقد أدى هذا العامل أو هذا الدافع إلى كثير من الفتن والقلاقل . ومن الفتن التي قامت بسبب ذلك ما حدث عندما قدم حوثرة بن سهيل الباهلي واليا على مصر من قبل مروان بن محمد في المحرم من عام ١٢٨هـ/ أكتوبر ٧٤٥م ، وكان هذا الوالي مشهورا بشدته

وقسوته ، فطلب الجند من واليهم المعزول حفص بن الوليد الحضرمي أن يمنع حوثرة من دخول الفسطاط بالقوة ، فأبى وخاف أهل مصر بطش حوثرة بعد أن علم بما كان منهم وبكراهيتهم لولايته عليهم ، ولما بعثوا اليه يزيد بن مسروق الحضرمي ليأخذ منه الأمان لهم ، أعطاهم الأمان وكتب لهم كتابا بذلك[٦٩] .

ولكن حوثرة بعد أن دخل مصر ما لبث أن قبض على الوالي السابق وعلى أحد القواد وقتلهما ، وأرسل الخيل فقبضوا على رؤوس الفتنة الذين كانوا كلهم من عرب الجنوب ، وكان منهم محمد بن شريح بن ميمون المهري[٧٠]، الذي سبق أن تحدثنا عن أبيه شريح الذي قدم إلى مصر وتزوج امرأة رجل من مهرة كان قد مات وصار قائد البحرية في مصر[٧١]وكان نصيب ابنه محمد هذا هو القتل على يد حوثرة[٧٢]، نظرا لاشتراكه في هذا التمرد الذي قام به عرب الجنوب ضد والي مروان بن محمد الذي كان يتعصب للقيسية[٧٣] .

وهكذا ترى أن مهرة اشتركت مع غيرها من جند مصر في التصدي لهذا الوالي الغشوم . وكذلك فقد تصدى أيضا رجل من مهرة لوال من هذا النوع وهو موسى بن مصعب الخثعمي الذي تولى حكم مصر في ذي الحجة من عام ١٦٧هـ/ يوليه ٧٨٤م . فقد تشدد هذا الوالي في استخراج الخراج من الناس وزاد على كل فدان ضعف ما كان مطلوبا منه ، كما انه عمد الى الرشوة في الأحكام ، وفرض خراجا أي ضريبة على أهل الأسواق وعلى الدواب ، فكرهه الناس وأظهر الجند شنآنه وبغضه ، واتفقت القيسية واليمانية من أهل الحوف الشرقي على التصدي له ، وتحالفوا فيما بينهم على ذلك ، وحرضوا جند الفسطاط على

(٦٩) الكندي : نفس المصدر ، ص٧٣-٧٥ .
(٧٠) المصدر السابق ، ونفس الصفحات .
(٧١) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١١٨ ، ١١٩ .
(٧٢) الكندي : نفس المصدر ، ص٧٥ .
(٧٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، جـ١ ص٣٤٧-٣٤٨ .

التخلي عنه[٧٤].

ولما زحف موسى إلى أهل الحوف لقتالهم واخضاعهم تخلى عنه الجند وأهل الفسطاط ، فوقع أسيرا في قبضة عرب الحوف فقتلوه في شوال من عام ١٦٨هـ/ مايو ٧٨٥م ، وكان قتله على يد رجل من مهرة هو مهدي بن زياد المهري[٧٥]، مما يدل على أن مهرة شاركت هذه الأحداث مشاركة فعالة ، كما يدل أيضا على أنها لم تسكن الفسطاط فقط ، وانما سكنت القرى والنواحي في مختلف أنحاء مصر ، ومنها منطقة الحوف الشرقي الذي يعرف الآن بمحافظة الشرقية من أعمال الوجه البحري بمصر .

٢ ـ الصراع بين العباسيين وبين بقايا بني أمية في مصر ودخول بعض الأزد في ذلك الصراع : ذلك أن أحد الأمويين ويدعى دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان أعلن التمرد والعصيان في صعيد مصر ودعا الى نفسه بالخلافة ، وتراخى والي مصر ابراهيم بن صالح العباسي في القضاء عليه ، فعزله الخليفة المهدي في ذي الحجة من عام ١٦٧هـ/ يوليه ٧٨٤م ، وولى مكانه موسى بن مصعب الخثعمي الذي أرسل الجند إلى دحية بن مصعب للقضاء عليه ، ولكن دحية عبر نهر النيل الى غربه واستولى على أكثر البلاد في هذه الناحية ، ولم يتمكن موسى بن مصعب من القضاء عليه ، ولم يلبث هذا الوالي أن قتل كما أشرنا على يد رجل من مهرة بسبب ظلمه وجشعه[٧٦].

وتولى بعده عسامة بن عمرو المعافري حكم مصر في شوال من عام ١٦٨هـ/ مايو ٧٨٥م ، ولم يتمكن هذا الوالي الجديد أيضا من دحية ، فقد شغل

(٧٤) الكندي : نفس المصدر ، ص١٠١-١٠٢ .
(٧٥) المصدر السابق ، ونفس الصفحات .
(٧٦) المصدر السابق ، ص١٠٠-١٠٢ .

عنه بخروج عرب الحوف عليه بتحريض من دحية ، فأرسل جيشه للقضاء على هذا التمرد الجديد ، ولكنه فشل في ذلك كل الفشل ، فعزل وتولى حكم مصر بعده الفضل بن صالح بن علي العباسي في المحرم من عام ١٦٩هـ/ يوليه ٧٨٥م . ولم يلبث الخليفة المهدي أن مات في نفس هذا الشهر ، فأقر الخليفة الهادي الفضل في حكم مصر التي كانت تضطرم نارا في ذلك الحين ، نظرا لما كان من أهل الحوف وتمردهم وسيطرتهم على معظم أنحاء الوجه البحري ، ونظرا لاستمرار دحية بن مصعب الأموي في تمرده وسيطرته على بلاد الصعيد . ومما زاد من خطورة الموقف أن العامة سارعوا الى دحية وكاتبوه ودعوه الى دخول الفسطاط[٧٧] .

المهم في ذلك كله أن هذا التمرد الذي قام به دحية الأموي واستمر طوال هذه الفترة ، ما كان الا بتدبير من قائد أزدي هو فتح بن الصلت بن المغيرة بن ناشر الأزدي ، من بني الحارث بن زهران ، أي من أزد عمان . كان جده ناشر قد حضر فتح مصر واستقر فيها مع أهله حتى ظهر فيهم هذا القائد الذي كان كما يقول الكندي « صاحب أمر دحية كله »[٧٨] .

وبطبيعة الحال فإن الأزد كانوا مع قائدهم نظرا لتغلب روح العصبية القبلية على الناس في هذه الأزمان ، ومن ثم أحس أمير مصر الفضل بن صالح العباسي بخطورة الموقف ، فأرسل عدة قواد على رأس جيوش للقضاء على دحية الأموي وقائده الأزدي . والجدير بالذكر أن أحد القواد الذين أرسلهم الفضل كان من سيبان من مهرة ، ذلك أن الفضل أراد أن يضمن تعاون عرب مصر مع جيشه الذي أقبل به من العراق والشام فعين ابن ذي هجران السيباني قائدا لجند مصر[٧٩] .

(٧٧) المصدر السابق ، ص١٠٣-١٠٤ .
(٧٨) المصدر السابق ، ص١٠٤ .
(٧٩) المصدر السابق ، ص١٠٤ .

أقام هذا القائد السيباني في الجيزة حتى اكتملت الجيوش واستعدت للزحف الى دحية ، ولما تقابل الفريقان عند مكان يسمى بويط من عمل أسيوط بصعيد مصر ، كان القائد الأزدي فتح بن الصلت يكر ويفر ، ولا يكاد يقف أمامه شيء ولا يصمد له أحد ، حتى تكاثرت عليه الجيوش من البر ومن النهر ، وأحاطوا به فهزموه وقتلوه . وكان هذا القتل سببا رئيسيا في تقهقر دحية بن مصعب الأموي وانسحابه الى الواحات التي تقع في صحراء مصر الغربية ، حيث استطاع أن يستميل كثيرا من أهلها بدعوى انه على مذهبهم ، وكانوا من الشراة ، ولذلك قاتلوا معه وهزموا جيشا أرسله الفضل بن صالح ، ولكنهم عندما ظهر لهم أن دحية على غير مذهبهم تخلوا عنه ، فكان في ذلك حتفه على أيدي جيش الفضل الذي كان قد عاد لقتاله(٨٠).

٣ ـ الصراع بين العباسيين بعضهم البعض : ذلك أن الخليفة المأمون بالله العباسي كان في المحرم من عام ٢٠٢هـ/ أغسطس ٨١٧م قد أرسل كتابا الى عامله على مصر السري بن الحكم يأمره بأخذ البيعة لولي عهده علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي وسماه (علي الرضا) ، فتمت البيعة لعلي الرضا في مصر وغيرها من الأمصار ، وغضب لذلك ابراهيم بن الخليفة المهدي في بغداد ، اذ رأى أن في هذا الأمر نقلا للخلافة من العباسيين الى العلويين(٨١).

ولم يلبث ابراهيم أن حول غضبه هذا الى خطة عمل تقوم أساسا على اثارة الناس على الخليفة المأمون وولي عهده العلوي ، ولم يجد ابراهيم أحسن من جند مصر لتحقيق هذا الهدف ، فكتب الى وجوههم وقوادهم يأمرهم بخلع المأمون وعلي الرضا ، وبالثورة على عامل المأمون السري بن الحكم ، فاستجاب كبار

---

(٨٠) المصدر السابق ، ص١٠٤ـ١٠٥ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ٣ ص٣٧٧ـ٣٧٨ .
(٨١) الكندي : نفس المصدر ، ص١١٣ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص١٧٩ .

القواد لابراهيم بن المهدي ونفذوا ما طلبه منهم . وكان من بين هؤلاء القواد بعض قواد الأزد ، مثال ذلك سلامة بن عبدالملك الأزدي الطحاوي الذي استقل بصعيد مصر وناهض منه السري بن الحكم ، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالجبار الأزدي ، وغيرهما من القواد الآخرين الذين دعوا لابراهيم بن المهدي ، واجمعوا على البيعة لعبدالعزيز بن عبدالرحمن الأزدي ليصير واليا على مصر ، وقائدا لهم في محاربة السري بن الحكم(٨٢).

ووقعت الحرب بين الفريقين ، وتمكن السري بن الحكم من الظفر بعبد العزيز الأزدي وبجمع من أهل بيته من الأزد ، فقتل بعضهم وبعث البعض الآخر مع ابنه عبدالصمد الى الفسطاط حيث قتلوا هناك في صفر من عام ٢٠٢هـ/ سبتمبر ٨١٧م . أما سلامة بن عبدالملك الأزدي الطحاوي فقد كان يقود الثائرين ضد السري بن الحكم في بلاد الصعيد ، فأرسل له السري ابنه عبيدا لقتاله ، وانتهى هذا القتال بانهزام سلامة وأسره وجيء به الى الفسطاط . ولكن السري عفا عنه وأطلق سراحه ، فهرب سلامة الى عبدالعزيز بن الوزير الجروي الذي كان ثائرا في الوجه البحري متضامنا فى ذلك مع هؤلاء القادة الذين كانوا يعملون لمصلحة ابراهيم بن المهدي(٨٣).

وقد تمكن عبدالعزيز الجروي بمعاونة سلامة الأزدي الطحاوي من التغلب على مدينة الاسكندرية التي كان الأندلسيون الفارون من بلادهم نتيجة لصراع كان قد حدث بينهم وبين أميرها الأموي قد احتلوها وسيطروا عليها وحكموها ، ولكن حكمهم لها لم يدم طويلا ، اذ ما لبث سلامة الأزدي وعلي بن عبدالعزيز الجروي أن دخلاها حيث تمت الدعوة فيها للجروي . ويبدو أن الجروي قد زود

(٨٢) المصدرين السابقين ونفس الصفحات .
(٨٣) الكندي : نفس المصدر ، ص١٣٣ .

سلامة الأزدي ببعض جنده ودفع به الى الخروج الى بلاد الصعيد لمناوأة السري بن الحكم من هناك حتى تتشتت جهوده وتضعف مقاومته ويسهل القضاء عليه . فذهب سلامة الأزدي الطحاوي الى الصعيد وهي معقله الرئيسي ومسقط رأسه ، وموطن عصبيته ، وهو كما ترى منسوب الى طحا وهي احدى مدن الصعيد . وبمجرد أن وصل الى هذه النواحي قام وأخرج منها عمال السري بن الحكم وطردهم ودعا للجروي الثائر بالوجه البحري[٨٤] .

وهكذا أصبح كثير من بلاد الوجه البحري في يد الجروي ، ومعظم أنحاء الصعيد في يد سلامة الأزدي الطحاوي ، مما أدى إلى ازدياد شأن الجروي ومكنه من التغلب على جيش كان السري قد أرسله وعلى رأسه ابنه ميمون في معركة انتهت بمقتل ذلك الابن في شطنوف ، وعودة جنده الى الفسطاط منهزمين ، وذلك في جمادى الآخرة من عام ٢٠٣هـ/ ديسمبر٨١٨م[٨٥] .

اذن كانت ثورة سلامة الأزدي الطحاوي وصموده في بلاد الصعيد من العوامل التي أدت الى انشغال والي مصر عن ثورة الجروي في بلاد الوجه البحري ، بل وأدت الى كارثة حاقت بجند هذا الوالي والى مقتل ابنه ، مما شجع الجروي على الزحف إلى الفسطاط برا وبحرا ، ولما اقترب منها أراد حرقها ، ولكن العلماء خرجوا اليه وسألوه العدول عن هذا العمل الخطير ، فاستجاب لهم ولم ينفذ ما ارتآه ، ولكن الفتنة ظلت مستمرة ، ولم ينته أمرها الا بعد أن وصل نبأ موت ولي العهد العلوي علي الرضا الى مصر ، وقدم المأمون بنفسه من خراسان الى بغداد وأنهى تمرد ابراهيم بن المهدي[٨٦] .

---

(٨٤) المصدر السابق ، ص١٣٣ .
(٨٥) المصدر السابق ، ص١٣٤-١٣٥ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص١٧٩ .
(٨٦) المصدرين السابقين ونفس الصفحات .

عنـدئذ أعاد الناس في مصر البيعة للمأمون ، ورأوا ضرورة انهاء التمرد الذي قام ضده فيها حتى لايرسل المأمون قوات من بغداد تبطش بهم وتعيد الأمور الى نصابها . وقد أدى هذا الأمر الى ضعف موقف سلامة الأزدي الطحاوي والى عدم ثباته امام الجيش الذي أرسله السري بن الحكم لمقاتلته في بلاد الصعيد ، وانتهى الأمر بهزيمة سلامة وأسره هو وابنه ابراهيم حيث أرسلا الى الفسطاط فقتلا هناك ، وذلك في المحرم من عام ٢٠٤هـ/ يوليو ٨١٩م(٨٧).

٤ ـ وآخـر الأسباب التي أدت الى تمرد بعض الأزد في مصر ، هو سوء علاقــة الـوالي بقيادات الأزد في هذه البـلاد : مما كان يؤدي الى الصـدام بين الفريقين ، وكان يؤدي في بعض الأحيان الى قيام الأزد بعزل الوالي نفسه وفرض وال جديد .

والمثال على ذلك هو ما حدث بين والي مصر السري بن الحكم في ولايته الأولى لمصر (رمضان ٢٠٠ ـ ربيع الأول ٢٠١هـ/ ابريل ٨١٦ ـ أكتوبر ٨١٦م) وبين آل عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي الذين كانوا وكما قال الكندي وجوه أهل خراسان في مصر(٨٨). وكان آل عبدالجبار هؤلاء عمانيي الأصل ، فهم من بني يشكر من أزد عمان(٨٩). وقد سبق الحديث عن آل عبدالجبار وعن هجرتهم من عمان الى خراسان ومنها الى مصر بعد أن قتل كبيرهم عبدالجبار على يد أبي جعفر المنصور بسبب تمرده عليه ، وكان عبدالجبار هذا واليا على خراسان وقتذاك(٩٠).

ونظرا لما كان لآل عبدالجبار من خدمات جليلة على الدولة العباسية سبقت الاشـارة اليهـا(٩١)، فقـد عفـا عنهم الخلفـاء وقـربوهم ، وأهداهم أمير مصر

(٨٧) الكندي : نفس المصدر ، ص١٣٤ـ١٣٥ .
(٨٨) تاريخ ولاة مصر وقضاتها ، ص١٣١ .
(٨٩) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٨٥ .
(٩٠) انظر ، ص٥٧ ، ٥٨ .
(٩١) انظر ، ص٥٧ ، ٥٨ ، ٦٥ ، هامش ١١ ص٦٧ .

ابراهيم بن صالح العباسي داره العظمى المعروفة بدار عبدالعزيز بالفسطاط[٩٢].

المهم انه بعد أن استقر آل عبدالجبار في مصر على هذا النحو قوي نفوذهم فيها وعلا صيتهم وخاصة أن الوجود الأزدي في مصر كان عظيما وكبيرا كما رأينا منذ الفتح العربي لمصر على يد عمرو بن العاص . ولذلك كان ولاة مصر يأخذون في حسبانهم هذا النفوذ ، بحيث لو ساءت علاقتهم بهؤلاء الأزد فإن ولايتهم وحكمهم يصبح معرضا للزوال . وهذا ما حدث بالنسبة للسري بن الحكم في ولايته الأولى .

ذلك أن العلاقة ما لبثت أن ساءت بينه وبين آل عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي أصحاب النفوذ الكبير بين الأزد في مصر ، فتآمروا عليه واتصلوا بقادة الجند ، فوافقوهم على خلعه وأظهروا كتابا من طاهر بن الحسين الذي كانت له ادارة البلاد التي تقع غربي بغداد ومنها مصر ، وهو كتاب يقول بولاية سليمان بن غالب بن جبريل البجلي على مصر . ولا ندري حقيقة هذا الكتاب الذي أظهره آل عبدالجبار والذي ربما كان خدعة منهم لعزل ذلك الوالي . وبالفعل فقد وثبوا عليه وعزلوه في مستهل ربيع الأول من عام ٢٠١هـ/ أكتوبر ٨١٦م ، وبذلك لم تزد ولايته لمصر عن ستة أشهر[٩٣].

وتكررت نفس القصة مع الوالي الجديد سليمان بن غالب البجلي الذي قبض على السري بن الحكم وأرسله منفيا الى اخميم من صعيد مصر ، حتى يبعده عن مجرى الأحداث في الفسطاط ، ثم ما لبث أن أمر بسجنه هناك وتصفيده بالأغلال اثر محاولة منه للعودة الى الفسطاط . ومن ثم صار لهذا الوالي أعداء كثيرون ممن كانوا أنصارا للوالي السابق[٩٤].

(٩٢) الكندي : نفس المصدر ، ص١٠٠ .
(٩٣) المصدر السابق ، ص١٣١ .
(٩٤) المصدر السابق ، ص١٣١-١٣٢ .

ويبدو أن سليمان بعد أن تمهد له الأمر واطمأن على انتشار نفوذه وقوة مركزه في مصر ، تنكر لآل عبدالجبار وللأزد وغيرهم ممن كانوا سببا في توليه الحكم ، فقدم عليهم أتباعه وبطانته ، فغضب آل عبدالجبار الأزديين وتنمروا له ، وساءت العلاقة بينهم وبينه ، وهم بالفتك بهم قبل ان يفتكوا به ، ولكنه لم ينجح في محاولته بينما نجح آل عبدالجبار وتمكنوا من خلعه كما فعلوا بزميله السابق[٩٥] .

وهكذا ترى أنه كان للأزد والمهرة في مصر نفوذ واسع ومكانة كبيرة بسبب ذلك الوجود الذي كان لهم منذ الفتح ، وبسبب الهجرات المتوالية التي جعلت أمرهم في مصر كبيرا وعظيما . وقد تدعم هذا النفوذ بتلك السلسلة من الولاة وكبار الموظفين الذين تولوا حكم مصر من الأزد والمهالبة والمهرة وغيرهم من القبائل العمانية الأصل والتي هاجرت أوهاجر بعض بطونها الى مصر واستقرت فيها مما تناولناه بتفصيل كبير ، واستغلت الدولة العباسية هذا الوجود الأزدي والمهري في تنفيذ سياستها في مصر ، بل وفي بلاد المغرب العربي ، وفي الاطمئنان على نفوذها في المنطقة كلها ، بعد أن قام الولاة الأزديون يؤيدهم أهلوهم وقبائلهم في مصر من الأزد والمهرة خاصة وعرب الجنوب عامة بالقضاء على الفتن والدسائس والمؤامرات التي تعرض لها النفوذ العباسي في مصر وفلسطين وبلاد المغرب الأدنى والنوبة .

ويلاحظ أن العناصر الأزدية والمهرية في مصر لم تقم بأي نشاط معاد للدولة أثناء تولي أمراء من الأزد حكم البلاد ، فقد ظهر التعاون بين الفريقين واضحا ، وقام هؤلاء الأمراء باتخاذ كبار القادة والموظفين ورجال الشرطة من بني قومهم من الأزد والمهرة وغيرهم من عرب الجنوب كما سبق القول ، ولكن تعاون العناصر

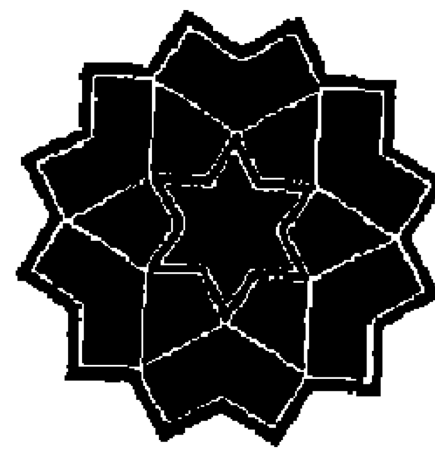
---

(٩٥) المصدرين السابقين ونفس الصفحات .

الأزدية والمهرية في مصر كان ضعيفا مع الولاة من غير الأزد لأسباب وضحناها ، وكـان من أبـرزها أن هؤلاء الولاة أو الأمراء كانوا لا يقدرون هذه القوة الأزدية والمهـرية قدرهـا ولا يرعون لها حقها ، فكانت العلاقات تسوء بين الفريقين في بعض الأحيان ، ومن ثم يضطر الأزد والمهرة في مصر الى القيام بانتفاضات وثورات نجح بعضهـا في عزل بعض الولاة كما رأينا ، وفشل البعض الآخر أمام دعم الخلافة لولاتها .

ومع ذلك فقد كان الأزد والمهرة من العناصر المفيدة والبناءة في تاريخ مصر الحضاري ، فلم ينعزلوا أو يتقوقعوا ، وانما شاركوا غيرهم من عرب مصر وأهلها في بناء مصر الاسلامية ، وفي تسيير دفة شؤون الحكم فيها ، والمشاركة في القضاء على بعض الفتن والاضطرابات التي لو تركت لربما أعاقت مسيرة التقدم والحضارة فيها .

وطبيعي أن الدور السياسي للأزد والمهرة في مصر لن يكون له ذكر بعد وثوب العنـاصر التركية على الحكم في البـلاد بقيام الـدولـة الـطولـونية في عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م . أمـا دورهم الحضـاري ، وهـو الدور الأهم والباقي على مر العصور والأيام ، فقد ظل قائما وممتدا منذ الفتح وأثناء حكم الدول التي توالت على مصر وقامت في حكمها من طولونيين واخشيديين وفاطميين ، لأن هذه الدول وان كانت قد حجبت الأزد والمهرة عن البروز في مجال النشاط السياسي ، فإنها لم تحجبهم عن البروز في ميادين العلم والفكر والثقافة ، مما أفاد منه الناس ولايزالون .



٣ ـ الـدور السياسي والاداري للأزد والمهـرة في مصـر

اهتم المسلمون الأوائل بالعلوم الدينية وعلوم اللغة العربية وآدابها قبل غيرها من العلوم ، اذ كانوا في حاجة لتفسير آيات القرآن الكريم ، وفي حاجة لاستنباط الأحكام من الأصول بعد أن اتسعت الدولة الاسلامية وظهر فيها من المشاكل والمسائل ما دفع علماء المسلمين لاستنباط علم الفقه ، كما دفعهم أيضا لجمع حديث رسول الله ﷺ وتدوينه حتى لا يتعرض للضياع أو الدس والوضع .

وكان عليهم أيضا أن يبحثوا في اللغة العربية وعلومها صيانة لها من اللحن والتحريف الذي دخل على ألسنة بعض العرب الذين ساكنوا العجم وغيرهم من أهل البلدان التي فتحها المسلمون ، ومن ثم ظهرت علوم النحو والصرف والبلاغة والبيان والبديع ، ونشط قول الشعر وظهرت دواوين وقصائد لشعراء كثيرين ، كما نشط النثر الفني بأشكاله المختلفة .

وكان عليهم أيضا أن يدونوا تاريخهم وخاصة السيرة النبوية ومغازي رسول الله ﷺ وأحداث المسلمين الأوائل وأخبار الفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام والعروبة ، حفاظا على السيرة النبوية من الضياع ، وحفظا لتاريخ السلف الصالح الذين هم القدوة والمثل من الاندثار أو النسيان ، وتخليدا لأنشطة المسلمين الأولين وفعالياتهم في تكوين أمة الاسلام واقامة دولته التي امتدت من قلب آسيا الى المحيط الاطلسي ، ولذلك ظهرت الكتابات التاريخية بشتى أشكالها وأنواعها في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام .

ومن ثم يمكننا أن نعتبر القرون الثلاثة الأولى للهجرة هي عصر الاشتغال بالعلوم الدينية واللغوية والتاريخية وتدوينها ، بجانب ما اهتم به المسلمون وقتذاك

من علوم الطبيعة والكيمياء والرياضيات والفلك وغيرها .

وكان الاشتغال بهذه العلوم ـ أقصد العلوم الدينية واللغوية والتاريخية ـ أمرا شائعا في كافة الأمصار الاسلامية وليس قاصرا على عاصمة الدولة وحدها ، سواء كانت هذه العاصمة دمشق أو بغداد . ففي مصر كان الاهتمام بهذه العلوم التي قصرنا عليها حديثنا كبيرا وعظيما . وكان للأزد والمهرة دور كبير في هذا المجال وهو دور جدير بأن نفرد له هذه الصفحات .

أولا : دور الأزد والمهرة في مجال العلوم الدينية :ـ

وفي هذا المجال فإننا سوف نقصر حديثنا على علمين اثنين من العلوم الدينية ، وهما الحديث وروايته ، والفقه والاشتغال به .

أما في مجال الحديث وروايته ، فقد ظهر في مصر عدد من الأزد والمهرة برزوا في هذا المجال ، وكان بعضهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين . فمن الصحابة الأزد الذين اشتركوا في فتح مصر ورووا عن النبي ﷺ أبو فاطمة الأزدي الذي حدث عن النبي بحديث واحد ورد عند ابن سعد في طبقاته[1]، كما روي عن بعض الصحابة ، وروى عنه عدد من أهل مصر مثل كثير الأعرج الصدفي ، وأبي عبدالرحمن الحبلي ، وربيعة الجرشي . وانتهى حديث هؤلاء المحدثين الى الحارث بن يزيد الحضرمي ، ويزيد بن عمرو المعافري ، وعنهما أخذ عبدالله بن لهيعة الحضرمي شيخ المحدثين والرواة في مصر[2].

ومن الصحابة الأزد أيضا ذلك الصحابي المعروف باسم أبي حوالة عبدالله بن حوالة الأزدي الذي شارك هو الآخر في فتح مصر وروى عنه أهلها

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧ قسم ٢ ص١٩٨ ، ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٢) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .

حديثا واحدا رواه الليث بن سعد وابن لهيعة الحضرمي عن يزيد بن أبي حبيب الأزدي ، عن ربيعة بن لقيط التجيبي ، عن ابن حوالة الأزدي الذي نتحدث عنه(٣).

وفي هذا المقام لا ننسى ذلك الصحابي الأزدي الذي كان من أهل الشام ووفد الى مصر وشارك في فتحها واستقر فيها فترة من الزمن وروى عنه أهلها ، ذلكم هو جنادة بن أبي أمية الأزدي الذي كان مصدرا لمن رووا عنه حديث رسول الله ﷺ . فقد انتهت روايته الى ابن لهيعة الحضرمي ، وكذلك الى خنيس بن عامر المعافري(٤)، كما حدث عنه من أهل مصر أيضا مرثد بن عبدالله اليزني ، وأبو قبيل المعافري ، وشبيم بن بيتان القتباني ، ويزيد بن صبح وغيرهم من الرواة والمحدثين(٥).

وإذا كان جنادة بن أبي أمية الأزدي قد روى عن رسول الله ﷺ ، فقد روى أيضا عن عدد من الصحابة مثل بسر بن أبي أرطأة العامري(٦)، وعبادة بن الصامت(٧)، وكلاهما اشترك في فتح مصر واختط بها وسكنها(٨).

أما التابعون من الأزد الذين رووا الحديث عن الصحابة عن رسول الله ﷺ في مصر فهم كثيرون ، منهم الهيثم بن شفي أبو الحصين الحجري الذي روى عن عبدالرحمن بن عديس البلوي وعبدالله بن سعد بن أبي السرح ، وانتهت روايته الى ابن لهيعة الحضرمي عن عياش بن عباس القتباني(٩) .

(٣) المصدر السابق ، ص٣١١ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ١ ص١٢٠
(٤) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٣٠٦ ، ٣٠٧ .
(٥) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص١٨٠ .
(٦) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٦٠ .
(٧) المصدر السابق ، ص٢٧١ ، ٣٠٦ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص١٨٠ .
(٨) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٦١ ، ١١٥ .
(٩) المصدر السابق ، ص١١٠ ، ١١١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

ومنهم أيضا أبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي المراغي ، نسبة الى مراغ أو مراغة ، وهي بطن من الأزد ، وقد روى أبو أيوب هذا عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وسمرة بن جندب رضي الله عنهما ، وروى عنه قتادة حديثه في الصحيح لمسلم بن الحجاج في كتاب الصلاة والأدب ، وذكره أبو علي الغساني في كتاب تقييد المهمل[١٠]. ولا ندري هل اشترك أبو أيوب هذا في فتح مصر أم أتى اليها بعد الفتح ، ولكن الملاحظ أنه يحدث عن اثنين ممن شاركوا في هذا الفتح واستقروا في مصر ، ولم يحدث عن غيرهما ، ولذلك اعتبرناه من أهل مصر ، أو ممن أقام بها زمنا أخذ فيه الحديث عن بعض أهلها .

وفي القرن الثاني للهجرة ، نسمع عن وجود عدد من رواة الحديث من الأزد في مصر . منهم عبدالجبار بن العباس الحجري الذي روى عنه عبدالرحمن بن أوس الهمداني المصري . ولم تعطنا المصادر أسماء من روى عنهم عبدالجبار هذا ، ويبدو أنه روى عن الصحابة بحكم أنه توفي في عام ١٢٦هـ/٧٤٣م في ثلاثين من العطاء كما ذكر السمعاني[١١]. فهو كما ترى قريب عهد بالصحابة الذين عاش بعضهم حتى أواخر القرن الأول للهجرة . وعلى ذلك فيمكن اعتباره من التابعين الأزديين في مصر .

ومن تابعي التابعين أبو القاسم علي بن الحسين بن خلف الأزدي السلاماني ، مولى عبدالملك بن أبي الكنود سعد بن مالك بن الأقيصر الأزدي السلاماني . فهو أزدي أو مولى من موالي الأزد من أهل مصر . روى عن محمد بن صبيح ، وحرملة بن يحيى وغيرهما ، وكان مولده في أواخر عام ٢٢٩هـ/ ٨٨٤م ، ووفاته بمصر في جمادى الآخرة من عام ٣١٢هـ/ سبتمبر ٩٢٤م[١٢].

(١٠) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ص٢٤٥ .
(١١) الأنساب ، جـ٢ ص١٩٦ .
(١٢) المصدر السابق ، جـ٣ ص٣٤٨ .

ومن المحدثين من الحجر من الأزد الذين اشتهروا في مصر أيضا الشيخ الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبدالملك بن سلمة بن سليمان الأزدي الحجري الطحاوي . وقد جمع هذا العالم الأزدي بين الحديث والفقه ، وان كانت شهرته في الفقه أكثر وأعظم من شهرته في الحديث ، ولذلك آثرنا أن نتحدث عنه ضمن حديثنا غن فقهاء الأزد في مصر .

ولم يكن هذا المحدث الحجري الأزدي هو الوحيد من الحجريين الذين ظهروا في علم الحديث في مصر . فقد ظهر فيها من حجر الأزد أيضا سعيد بن بشير بن مروان بن عبدالعزيز الأزدي الذي روى عن مهدي بن جعفر ، وقطرب ، وروى عنه أبو جعفر الطحاوي ، وابنه علي سعيد بن بشر وقد روى هذا الابن عن أبي يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن يونس ، وحدث عنه ابنه أبو بشر سعيد بن علي بن بشر ، الذي ترك مصنفات في الفرائض والحديث وتوفي عام ٣٢١هـ/٩٣٣م(١٣).

واستمر نبوغ أفراد من هذه الأسرة في علم الحديث وروايته . فقد ظهر منهم في هذا الميدان محدث آخر هو الحافظ أبو محمد عبدالغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان الأزدي الحجري المصري الذي ولد في مصر في ذي القعدة من عام ٣٣٢هـ/ يونيه ٩٤٤م وتعلم على ايدي علمائها ، وروى عن عثمان بن محمد السمرقندي ، واسماعيل بن يعقوب الجراب ، والدار قطني وطبقتهم ، ثم رحل الى الشام فسمع أيضا من علمائها ورواتها ، وعاد الى مصر وصار من أشهر المحدثين بها في زمانه وروى عنه الكثيرون ومدحه العلماء والمحدثون والفقهاء ، فقال عنه أبو عبدالله الصوري أن عينيه لم تريا مثله(١٤)،

(١٣) المصدر السابق ، جـ٢ ص١٧٩ .
(١٤) المصدر السابق ، جـ١ ص١٢٠ .

وقال عنه الذهبي انه كان حافظ وقته[١٥]، وقال عنه ابن العماد الحنبلي انه « كان ثقة صاحب سنة حافظا علامة »[١٦]، وقال عنه العتيقي انه « كان امام زمانه في علم الحديث وحفظه ثقة مأمونا ما رأيت بعد الدارقطني مثله » ، وقال عنه أبو الوليد الباجي انه « حافظ متقن » ، وذكر البرقاني أنه سأل الدارقطني عندما قدم الى مصر عما إذا كان قد رأى في طريقه من يفهم شيئا من العلم ، فأجابه بأنه لم ير في طول طريقه « الا شابا بمصر يقال له عبدالغني كأنه شعلة نار »[١٧]، نظرا لعلمه وفضله في مجال علم الحديث وروايته .

ولذلك كان الدراقطني يمدحه كثيرا ويعظم أمره ويرفع ذكره بين المحدثين والعلماء . وقد حدث عندما خرج علماء مصر يودعون الدارقطني أن بكوا لخروجه عنهم ، فقال لهم : « أتبكون وعندكم عبدالغني وفيه الخلف ؟! » . ولذلك ذكر البرقاني أنه ما رأى من هو أحفظ من عبدالغني بعد الدارقطني ، ومن ثم انتفع بعلمه خلق كثير[١٨]، كما انتفع الناس ولا يزالون ينتفعون بتصانيفه العديدة ، وكتبه المفيدة ، والتي منها كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال ، ومشتبه النسبة ، والغوامض والمبهمات ، وعمدة الأحكام من كلام خير الأنام ، وايضاح الاشكال في الروايات .

وهكذا ترى أن هذا المحدث والعالم الأزدي قد اثرى مكتبة الحديث والفقه أيضا بكثير من كتبه ومصنفاته التي عكف عليها حتى توفي في مصر في شوال من عام ٤٠٩هـ/ فبراير ١٠١٩م[١٩]. وكان الناس ينادون في جنازته ويقولون « هذا نافي الكذب عن رسول الله ﷺ »[٢٠]، وذلك لاحساسهم بجهوده البارزة التي

---

(١٥) دول الاسلام للذهبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، سنة ١٩٨٥ ، ص٢١٥ .
(١٦) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، جـ٣ ص١٨٨ .
(١٧) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ٣ ص١٠٤٨ ، ١٠٤٩ .
(١٨) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٣ ص١٨٨-١٨٩ .
(١٩) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٤ ، جـ٣ ص٢٣٠ .
(٢٠) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ٣ ص١٠٤٩

رأوها ورأيناها في مجال الحديث وروايته والتأليف في علومه .

لم تنته سلسلة رجال الحديث من أزد مصر ، اذ كان منهم أيضا في القرن الرابع للهجرة أبو عيسى العباس بن أحمد بن مطروح بن سراج بن محمد بن عبدالله الأزدي النحوي الخصيب الأحمدي من أهل مصر . والنحوي هنا ليست نسبة الى علم النحو المعروف ، ولكن نسبة الى نحو بن شمس بن عمرو بن غانم بن عثمان بن نصر بن زهران ، ونحو هذا بطن من الأزد الذين رحلوا الى عمان بعد مالك بن فهم[٢١]. وقد روى هذا المحدث الأزدي العماني عن جماعة ، وكان ثقة ثبتا كما قال السمعاني ، وروى عنه بعض الرواة من رجال الحديث ، وتوفي في مصر في جمادى الأولى سنة ٣٥٣هـ/ يونيه ٩٦٤م[٢٢].

ومنهم أيضا أبو الحسين محمد بن مكي بن عثمان الأزدي المصري الذي روى بدمشق عن أبي الحسن الحلبي ، وبمصر عن محمد بن أحمد الأخميمي ، وقد وثقه الكتاني وغيره ، وتوفي في مصر في عام ٤٦١هـ/١٠٦٧م عن ستة وسبعين عاما[٢٣].

ويستفاد مما ذكره السمعاني عن آل كثير الأزديين والذين ينتمي اليهم آل الرواس في مصر وعمان ، أنه اشتهر من بينهم محدث في مصر ، ذلكم هو أبو عبدالرحمن بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن محمد بن الصلت المدني الكثيري . ويبدو أن هذا المحدث عاش في المدينة فترة من الزمن فنسب اليها على عادة العلماء الرحالين . وقابله هناك ابن أبي حاتم وكتب عنه ووصفه بالصدق ، ولم يلبث أن عاد الى مصر واستقر بها وحدث بحديث رسول الله ﷺ ، وكان يروي عن

(٢١) العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٤٢ ، ٢٤٣ ، عمر رضا كحالة : نفس المرجع ، جـ٣ ص١١٧٥ .
(٢٢) السمعاني : نفس المصدر ، جـ١ ص٨٩-٩٠ .
(٢٣) ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ، جـ٣ ص٣٠٩ .

اسماعيل بن أبي أويس ، ثم رحل الى مدينة الاسكندرية وحدث بها حتى توفي عام ٢٦٢هـ/٨٧٥م(٢٤).

وإذا كان هؤلاء المحدثون من الأزد من أهل مصر ممن شاركوا في فتحها أو هاجروا اليها من عمان وغيرها من البلاد الاسلامية ، واستقروا فيها وأصبحوا من أهلها وبرزوا في الحديث وروايته على هذا النحو ، فإن هناك كثيرا من الأزد ممن وفدوا الى مصر وكانوا من غير أهلها ، وأخذوا العلم عن علمائها وخاصة علم الحديث وروايته .

من هؤلاء المحدثين من الأزد الوافدين الى مصر ، أبو خازم المعلى بن سعيد التنوخي البغدادي الشبيبي ، وشبيب من أزد عمان كما سبق القول(٢٥)، ومازال اسم الشبيبي اسما عائليا في عمان حتى الآن(٢٦).

وعلى ذلك فمحدثنا أبو حازم الشبيبي ينتمي في الغالب الى عمان التي لم يلبث أن رحل عنها الى بلاد العراق ومنها الى مصر حيث سكنها وروى فيها عن بشر بن موسى ، وأبي خليفة ، وابن جرير وروى عنه أبوبكر بن شاذان ، وأبو القاسم بن الفلاج ، وجماعة من المصريين(٢٧).

ومن الوافدين من الأزد الذين زاروا مصر وأخذوا علم الحديث عن علمائها واستقروا فيها فترة ثم رحلوا عنها ، أبوبكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني . ويبدو أن أجداد هذا المحدث قد رحلوا الى البصرة في صدر الاسلام ثم رحلوا عنها الى سجستان التي تعرف الآن بكابل وهي عاصمة دولة

---

(٢٤) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ص٣٥ .
(٢٥) انظر ، ص٣٥ ، ٣٦ .
(٢٦) معجم أسماء العرب ، مادة « الشبيبي » ، جـ١ ص٩٠٠ .
(٢٧) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٣ ص٣٩٩ .

أفغانستان الاسلامية . ذلك أن السمعاني يخبرنا بأن الجد الخامس لهذا المحدث قتل يوم صفين بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأنه كان محدث العراق وابن امامها في عصره[٢٨].

أما الحفيد وهو أبو بكر الذي نتحدث عنه ، فقد كانت له رحلة طويلة في طلب العلم والحديث . فقد أتى الى مصر وسمع فيها أحمد بن صالح الطبري ، كما ذهب الى بلاد الشام وأصبهان ومدن خراسان مثل نيسابور ومرو ، ثم استقر أخيرا في بغداد وصار مقدما على المشتغلين بالحديث فيها ، وروى عنه جماعة ومات ببغداد في ذي الحجة سنة ٣١٠هـ/ ابريل ٩٢٣م عن ستة وثمانين عاما وستة أشهر[٢٩].

ومن الوافدين أيضا من الأزد الى مصر بقصد دراسة الحديث وروايته أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي المعروف بابن الفرضي (٣٥١-٤٠٣هـ/ ٩٦٢-١٠١٢م) . وقد درس هذا العالم الأزدي الأندلسي بجانب الحديث ، الفقه والأدب والتاريخ في وطنه واستكمل دراسته لهذه الفنون من العلم في القاهرة وأيضا في مكة والمدينة ، وعاد الى وطنه وأصبح قاضيا لمدينة بلنسية في عهد الخليفة المهدي الأموي ، وأخيرا كان نصيبه القتل على يد البربر في عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م . وقد عرف عن هذا العالم الأزدي القرطبي أنه كان كما قال صاحب تذكرة الحفاظ « فقيها عالما في جميع فنون العلم وفي الحديث والرجال » ، وله مصنفات عديدة منها كتاب في شعراء أهل الأندلس ، وكتاب في المؤتلف والمختلف ، وكتاب في مشبته النسبة ، وكتاب في تاريخ علماء الأندلس ، وهو الكتاب الوحيد الذي احتفظ لنا به الدهر ولم يفقد ضمن ما فقد من تراث الأندلس[٣٠].

---

(٢٨) المصدر السابق ، جـ٣ ص٢٢٥ .

(٢٩) المصدر السابق ، جـ٣ ص٢٢٥ .

(٣٠) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ٣ ص١٠٧٦ ، ١٠٧٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ١ ص٣٦٣-٣٦٤ .

لم يكن ابن الفرضي الأزدي القرطبي هو العالم الوحيد الذي وفد الى مصر من أزد الأندلس لدراسة الحديث والفقه ، فقد أقبل منها لنفس الغرض عالم آخر هو أبـوبكـر يحيى بن سعـدون بن تمام الأزدي القرطبي الأندلسي ، وكان هذا المحـدث مقـرئـا نحويا عارفا باللغة والنحو متدينا ، دوّن بعض كتبه في مدينة الاسكندرية ومصر بعد الخمسمائة من الهجرة ، أي أنه وفد الى مصر في مستهل القرن السادس للهجرة واستقر فيها فترة ثم رحل الى دمشق حيث قابله السمعاني هنـاك ونقــل عنـه وتعلم على يديه ، ورأى له « أصـولا حسنـة في القـراءات والحديث » . ومن دمشق رحل أبوبكر الأزدي الى بلاد العراق ومنها الى أذربيجان ثم عاد الى الموصل وسكنها وبها توفي عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م[٣١] .

وبطبيعة الحال فإن من ذكرناهم من المحدثين الأزديين ليسوا كل الوافدين الى مصر أو المقيمين فيها وكانوا من أهلها ، فربما وجد غيرهم ممن تناولتهم مصادر أخـرى لم تصل اليها أيدينا أو لم تتوفر لنا في الوقت الحالي . ومع ذلك فإن من ذكرناهم يكفون للتدليل على ما ذهبنا اليه من قيام الأزد في مصر بدور حضاري علمي لا يمكن اغفاله ، سواء في علم الحديث أوفي غيره من العلوم .

أما مهرة وجهود رجالها في مجال الحديث وروايته ، سواء من هؤلاء الذين شاركوا في فتح مصر أو الذين هاجروا اليها بعد ذلك وسكنوها وصاروا من أهلها ، فهي أيضـا جهود طيبة ، فقد نشط المهريون كاخوانهم من الأزد في هذا المجال نشاطا ملحوظا ، وظهر منهم بعض المحدثين . والأمثلة على ذلك عديدة ، منها تميم بن فرع المهري الذي شارك كما قلنا من قبل في فتح الاسكندرية وكان شابا صغيرا فلم يعط نصيبه من الغنائم ، فكادت تحدث منازعة بين قومه من مهرة وبين

(٣١) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٤ ص٤٧٣ .

قريش بسبب ذلك[٣٢]. وكان تميم هذا من التابعين الذين رووا الحديث عن عمرو بن العاص ، وعقبة بن عامر الجهني وأبي بصرة الغفاري رضي الله عنهم ، وروى عنه حرملة بن عمران المصري[٣٣].

وهناك محدث مهري علا صيته في هذا الميدان حتى صار من أعظم المحدثين في مصر . ذلكم هو عبدالرحمن بن شماسة المهري الذي ساهم في فتح مصر وسكنها وصار من أهلها ومن أهم رجال الحديث بها . وتتضح أهمية هذا المحدث المهري في أنه روى عن كثير من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر مع عمرو بن العاص ، مثل عبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عديس البلوي ، وأبي ذر الغفاري ، وعقبة بن عامر الجهني ، ومعاوية بن حديج وغيرهم من الصحابة الآخرين[٣٤].

ولذلك كان ابن شماسة المهري موضع التقدير والثقة في رواية الحديث ، ومن ثم روى عنه كثير من التابعين وتابعي التابعين ، منهم يزيد بن أبي حبيب الأزدي ، وحرملة بن عمران التجيبي ، وعنهما أخذ الامام الليث بن سعد ، ورشدين بن سعد المهري ، وعبدالله بن لهيعة الحضرمي وآخرون[٣٥]. وكل هؤلاء كما هو معروف من أشهر المحدثين والفقهاء في مصر في القرن الثاني للهجرة ، مما يجعلنا نقول بأن ابن شماسة المهري هذا كان مصدرا خصبا وأساسيا من مصادر الحديث وروايته في مصر في القرن الأول للهجرة .

لم تكتف مهرة بانجاب هؤلاء المحدثين العظام ، وانما وهبتنا محدثا كبيرا آخر

---

(٣٢) انظر ، ص٤٢ ، ٤٣ .

(٣٣) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٧٨ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ص٤١٧ .

(٣٤) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٤٩ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٤٣ ، ٢٣١ ، ٢٥١ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ .

(٣٥) المصدر السابق ، ص٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ .

هو أبو الحجاج رشدين بن سعد المهري . تعلم رشدين في مصر ، فهو من أهلها ، وروى عن جماعة ، منهم عقيل بن خالد ، ويونس بن يزيد ، والحسن بن ثوبان ، وحرملة بن عمران التجيبي وعن غيرهم عن أبي ذر الغفاري ومعاذ بن أنس الجهني وغيرهما . فسلسلة الاسناد متصلة عنده حتى الصحابة . مما جعله مصدرا من مصادر رواية الحديث . ولذلك روى عنه الكثيرون ، منهم ابن المبارك وابن وهب ، وهاني بن المتوكل ، وقتيبة ، وأبو كريب ، وعبدالله بن عبدالحكم القرشي المصري والد صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها ، حيث نقل عنه كثيرا من أخبار مصر وأخبار رواة الحديث بها[٣٦] .

ويبدو أن هذا المحدث كان كثير الرواية في غير تحفظ حتى انتقده بعض علماء الجرح والتعديل مثل ابن معين ، وقال عنه ابن يونس انه كان رجلا صالحا لا يشك في صلاحه وفضله ، ولكن أدركته غفلة الصالحين فخلط في الحديث . ويعلل السمعاني ذلك بقوله انه كان من الذين يجيبون عن كل ما يسألونه عنه ، ويقرأ كل ما يدفع اليه ، سواء كان من حديثه أو حديث غيره ، « فغلبت المناكير في أخباره على مستقيم حديثه » . وقد عاش هذا المحدث في مصر وتوفي بها في عام ١٨٨هـ/ ٨٠٤م [٣٧] .

وقد ظهر من بعض بطون مهرة في مصر عدد من المحدثين ، وكان من هذه البطون سيبان ، ويشير السمعاني إلى محدث من سيبان هو أبو عمر السيباني ويقول عنه انه كان تابعيا من أهل الشام ، روى عن عقبة بن عامر الجهني[٣٨] . وقد سبق القول أن عقبة اشترك في فتح مصر وسكنها ولم يغادرها ومات بها[٣٩] ، مما يدل على

(٣٦) المصدر السابق ، ص٢ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ١٥٨ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ص ٤١٧ .
(٣٧) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ص٤١٧ ، ابن العماد الحنبيلي : نفس المصدر ، جـ١ ص٣١٩-٣٢٠ .
(٣٨) الأنساب ، جـ٣ ص٣٥٤ .
(٣٩) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٩٤ .

أن أبا عمر السيباني ربما يكون قد وفد الى مصر في تلك الفترة ، وعاش في مصر ومات بها ، لأن السمعاني لم يذكر لنا شيئا عن وفاته من حيث المكان والزمان .

وكما كان للأزد مواليهم الذين نبغوا في علم الحديث في مصر فقد كان لمهرة أيضا مواليها الذين ظهروا في هذا الميدان ، وكان من هؤلاء الموالي - وموالي القوم منهم - أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن الحسن اللواز المصري المعافري الدمياطي الذي كان ثقة في الرواية ، ولذلك روى عنه عدد من الرواة مثل يونس بن عبدالأعلى ، وأحمد بن عيسى الخشاب ، ويزيد بن سنان ، وأبي بكر محمد بن ابراهيم المقرىء ، ومات في عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩م (٤٠) .

وهكذا نرى عددا وافرا من المحدثين الذين ظهروا في مصر من الأزد والمهرة ممن وفدوا اليها مع جيش الفتح أو هاجروا اليها بعد ذلك واستقروا فيها واتخذوها سكنا وموطنا ورووا حديث رسول الله ﷺ عن الصحابة وعن التابعين وتابعي التابعين ، وروى عنهم الأئمة والأعلام مثل الليث بن سعد وغيره من كبار الفقهاء والمحدثين ، ورحل اليهم طلاب العلم من شتى الأمصار والأقطار ، مما يشهد بعلو قدرتهم وذيوع صيتهم في هذا المجال وفي غيره من المجالات الأخرى ، ذلك أن مساهمتهم لم تكن قاصرة على الحديث وروايته فقط ، وانما كان لهم مساهماتهم الكبيرة أيضا في الفقه والاشتغال به .

جهود الأزد والمهرة في مجال الفقه :

ظهر كثير من فقهاء الأزد والمهرة في مصر . والواقع أن المحدثين الذين أشرنا اليهم من قبل كان كثير منهم يعملون بالفقه أيضا ، أما من غلب عليه الاشتغال

---

(٤٠) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٥ ص١٤٣ .

بالفقه فهم عديدون . منهم ابو رجاء يزيد بن أبي حبيب المعروف باسم يزيد بن سويد الأزدي أبي رجاء مولاهم المصري الذي كان فقيه مصر وشيخها وفقيها ، وأول من أظهر علوم الدين بها وكانوا قبله يحدثون في الترغيب والملاحم والفتن . ولد في مصر في عام ٥٤هـ/٦٧٣م ودرس بها على يد عدد من الصحابة والتابعين وروى عنهم ، كما روى عنه سعيد بن أبي أيوب وحيوة بن شريح ويحيى بن أيوب ومحمد بن اسحاق صاحب السيرة النبوية ، والامام الليث بن سعد وغيرهم كثيرون[٤١] . كما روى عنه عدد من الاخباريين والمؤرخين مثل البلاذري[٤٢] وابن عبدالحكم الذي لا تكاد تخلو صفحة واحدة من كتابه الذي دونه في فتوح مصر وأخبارها الا وفيها ذكر ليزيد بن حبيب ، سواء في القسم الخاص بأخبار مصر وفتحها ، أم في القسم الخاص بالصحابة الذين دخلوا مصر ورووا فيها عن النبي ﷺ . وتجد أن معظم الروايات التي رواها عبدالله بن لهيعة الحضرمي والليث بن سعد مأخوذة عن يزيد بن حبيب الأزدي الذي نتحدث عنه[٤٣]، مما يدل على عظيم فضله على هذين العالمين الجليلين وعلى الحديث وروايته وعلى الفقه والاشتغال به ، ولذلك لم يكن غريبا أن يقال عنه انه كان فقيه مصر وشيخها وقاضيها ، ولم يكن غريبا أيضا أن يقول عنه الليث بن سعد « هو عالمنا وسيدنا »[٤٤] وأن يقول عنه وعن زميله الفقيه عبدالله بن أبي جعفر انهما كانا جوهرتي البلاد ، وانهما كانا أول من يعطي البيعة من أهل مصر للخلفاء ، ثم يأتي بعد ذلك سائر الناس ، ولم يكن غريبا أيضا أن يقول عنه الذهبي في تذكرته انه

(٤١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ١ ص١٢٩-١٣٠ ، سيدة الكاشف : مصر في فجر الاسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٦ ، ص ٢ ، ٣ ، خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٠ ، جـ٨ ص١٨٣-١٨٤ .

(٤٢) فتوح البلدان ، ص٢١١-٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ .

(٤٣) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٤٩-٣١٦ .

(٤٤) الذهبي : دول الاسلام ، ص٧٩ ، ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ، جـ١ ص١٧٥ .

« كان حجة حافظا للحديث » حتى وصل الى درجة الفتيا وكان أحد ثلاثة فوض اليهم عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أمر الفتيا في مصر . وظل هذا الفقيه والمحدث والمؤرخ الأزدي الكبير يحتفظ بمنزلته العلمية والأدبية والاجتماعية حتى توفي في عام ١٢٨هـ/٧٤٥م (٤٥).

ومن فقهاء الأزد في مصر أيضا زيد بن بشر بن زيد بن عبدالرحمن الأزدي . وقد كان هذا الفقيه مصري المنشأ والمولد ولكنه يعد في أهل تونس لأنه رحل اليها في عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م فرارا من المحنة التي تعرض لها العلماء في مصر بسبب مسألة خلق القرآن . وظل هذا الفقيه الأزدي في تونس حتى توفي بها في عام ٢٤٢هـ/٨٥٦م ، أي بعد عشر سنوات فقط من انتقاله اليها ، مما يدل على أنه عاش معظم سني عمره في مصر حيث تعلم فيها وتفقه في الدين وأصبح فقيها ثقة مأمونا(٤٦).

ذلك ان هذا الفقيه الأزدي سمع عن ثقات ، منهم ابن القاسم وابن وهب ، وأشهب ، وضمام بن اسماعيل ، ويحيى بن سليمان الطائفي ، وبشر بن بكر وغيرهم ، وعده ابن سفيان فيمن لقوا الامام مالك بن أنس وأخذوا عنه ، وان كان القاضي عياض صاحب كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك يستبعد هذا الرأي الذي يقول بالتقائه بالامام مالك ويعتبره فقيها من أكابر أصحاب ابن وهب المالكي المذهب ، كما عده الشيرازي ضمن فقهاء هذه الطبقة ، وقال ابن وضاح عنه انه كان ثقة الثقات(٤٧)، مما يدل على فضله وعلمه وأمانته .

---

(٤٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ١ ص١٢٩-١٣٠ ، سيدة الكاشف : نفس المرجع ، ص٢ ، ٣ .
(٤٦) القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام أعيان مذهب مالك ، تحقيق د. أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٩٦٧ ، جـ٣ ص١٢٨٩ .
(٤٧) المصدر السابق ، جـ٣ ص١٢٧٩ .

وهناك أيضا أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود الجيزي المصري الأزدي بالولاء (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) . فقد كان مولى قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، وكـان صاحبـا وتلميذا للامام الشافعي رضي الله عنه ، وكان أول الأمر مالكيا وتلميذا لعبدالله بن عبدالحكم رئيس المالكية في مصر في عصره ووالده صاحب كتـاب فتـوح مصر وأخبـارهـا ، ثم انضم الى الشافعية مثل غيره من الشافعية الأولين ، وانصرف الى تصنيف وترتيب كتاب الأم الذي وضعه الامام الشافعي تصنيفا دقيقا ، وتعد روايته لهذا الكتاب من أوثق الروايات ، ويمكن أن نعدها المثال للمرحلة الثانية من فقه الشافعي المسماة بالمرحلة المصرية . وكما روى الربيع الجيزي الأزدي عن أستـاذه الشـافعي ، فإنـه روى أيضا عن غيره من الفقهاء والمحدثين والرواة مثل اسحاق بن وهب ، وأسد بن موسى ، وهاني بن المتوكل ، وابن أبي أويس ، وعبدالله بن يوسف وغيرهم من الثقات[٤٨] .

ونظرا لعلو قدره بين الفقهاء والمحدثين ونظرا لعلو اسناده وعدالته ، فقد روى عنـه اثنـان من أصحاب الكتب الستة الصحاح في الحديث وهما أبو داود والنسائي ، كما روى عنه أبوبكر بن أبي داود ، وأبو جعفر الطحاوي الأزدي الذي كان من أعـظم فقهـاء مصر وعلمائهـا ، وابـراهيم الحلواني وعبـدالله بن وهب الدينوري . وقد عده القاضي عياض ضمن فقهاء المالكية ، وعده السبكي ضمن الشـافعية . وكان ثقة فقيها دينا صالحا سكن الجيزة ونسب اليها وبها توفي[٤٩] ، ولازال أحد شوارع مدينة الجيزة يحمل اسمه حتى اليوم ويسمى شارع الربيع الجيزي .

---

(٤٨) القاضي عياض : نفس المصدر ، جـ٣ ص٨٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، عبدالفتاح محمد الحلو ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، بدون تاريخ ، جـ٢ ص١٣٢ ، ابن خلكان : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٩٢ ، ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٣٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ١٣ ص١١٥ .

(٤٩) نفس المصادر السابقة ونفس الصفحات ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٣ ص٣٩٢ .

ومن فقهاء الأزد في مصر أيضا أبو القاسم بكر بن ادريس بن الحجاج بن مازن بن أبي الكنود الأزدي (ت ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م) ، يعرف بالحمراوي ربما نسبة الى الحمراء وهي احدى خطط مدينة الفسطاط . كان كثير الرواية عن عبدالله بن عبدالحكم ، كما روى أيضا عن غيره ، وأخذ عنه أبو جعفر الطحاوي الأزدي ، وقال عنه انه كان فقيها(٥٠) .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة يطالعنا اسم أحد المهالبة الذين كانوا يعيشون في مصر وصاروا من أهلها ، ذلكم هو ابراهيم المهلبي .

كان ابراهيم هذا أحد الفقهاء المصريين الذين ذهبوا من مصر الى دمشق لحضور اجتماع دبره الأمير أحمد بن طولون أمير مصر والشام ، وذلك بسبب قيام أبي أحمد الموفق طلحة بمنع أخيه الخليفة العباسي المعتمد على الله من الذهاب الى بلاد الشام لمقابلة أحمد بن طولون ، أو الاحتماء به في الواقع من استبداد أخيه به وتضييقه عليه . وعندما خرج المعتمد الى ابن طولون أدركه أبو الموفق في الطريق ووكل به ، أي أنه في الواقع قبض عليه واعتقله ورده الى مدينة سر من رأى (سامراء) ، مما أغضب أحمد بن طولون وجعله يجمع حشدا كبيرا من فقهاء وعلماء مصر والشام في دمشق ، وكتب كتابا خلع فيه الموفق من ولاية عهد الخليفة ، وشهد على ذلك معظم هؤلاء الفقهاء(٥١) .

وللأسف فإننا لم نسمع شيئا عن هذا الفقيه المهلبي الا ما ذكر عنه القاضي عياض بخصوص هذا الاجتماع ، ولا ندري عمن أخذ ومن تفقه على يديه ، وكيف كانت حياته ومنزلته بين الفقهاء . وان كان استحضاره ضمن هؤلاء الفقهاء المشاركين في هذا الاجتماع التاريخي الهام يدل على علو قدرته ورفيع منزلته بين فقهاء عصره .

(٥٠) القاضي عياض : نفس المصدر ، جـ٣ ص٩٠-٩١ .
(٥١) المصدر السابق ، جـ٢ ص٧٣ .

ومن أشهر فقهاء الأزد في مصر أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك الأزدي الحجري الطحاوي الفقيه الحنفي (٢٣٩ - ذو القعدة ٣٢١هـ/ ٨٥٣ - نوفمبر ٩٣٣م) . وهو كما هو واضح من اسمه فإنه من حجر الأزد ، وهو الحجر بن عمران بن عامر ماء السماء الذي هاجر الى عمان عقب هجرة مالك بن فهم اليها[٥٢]. ولد هذا الفقيه الأزدي في مصر في مدينة طحا وهي احدى مدن الصعيد وانتسب اليها فقيل له الطحاوي ، وتعلم وتفقه حتى أصبح شيخا للحنفية في مصر كلها ، وانتهت اليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه . وكان أول الأمر شافعي المذهب ، ثم انتقل الى المذهب الحنفي بسبب لوم وجهه اليه خاله أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني الذي كان تلميذا للشافعي رضي الله عنه . وكان أبو جعفر الأزدي يقرأ على خاله هذا ذات يوم فقال له : « والله لا جاء منك شيء » ، فتركه وانتقل الى المذهب الحنفي ربما لهذا السبب ، أو لأنه كما قال عندما سئل عن ذلك رأى استاذه وخاله المزني « يديم النظر في كتب ابي حنيفة » ، فانتقل الى مذهب صاحب هذه الكتب ، أي إلى المذهب الحنفي[٥٣].

وقد بلغ أبو جعفر الطحاوي الأزدي العماني الأصل مبلغا كبيرا في دراسته للفقه واشتهر أمره بين علماء عصره ، وصار اماما ثقة ثبتا فقهيا محدثا ، وان كانت شهرته في الفقه أكثر من شهرته في الحديث . تعلم وروى عن أستاذه المزني ، وعن أبي عثمان سعيد بن بشر بن مروان الأزدي الحجري ، وهارون بن سعيد الأيلي ، وعبدالغني بن رفاعة ، ويونس بن عبد الأعلى ، وعيسى بن مثرود ، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم ، وبحر بن نصر ، ويزيد بن سنان ، وبكار بن قتيبة ، كما

---

(٥٢) انظر ، ص١٠ .

(٥٣) السمعاني : نفس المصدر ، جـ١ ص١٢٠ ، ٥٠٤ ، جـ٢ ص١٧٩ ، ٤٤٨ ، جـ٣ ص٨٧ ، جـ٤ ص٥٣ ، لبن خلكان : نفس المصدر ، جـ١ ص٧١-٧٢ ، الذهبي : دول الاسلام ، ص١٧٥ ، ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٢٨٨ .

أخذ العلم أيضا عن أبي جعفر بن أبي عمران ، وأبي حازم القاضي وغيرهما حتى وصل الى درجة عظيمة من العلم والفتيا(٥٤) .

ولـذلك تعلم على يديه وروى عنه الكثيرون مثل أبي القاسم عبدالله بن علي بن الحسن النخعي الكـوفي ، وأبي بكـر محمـد بن بكـر بن الفضل الثعالي المصري ، وأبي جعفر أحمد بن محمد بن عبدالوارث الرماح المصري ، وأحمد بن القاسم الخشاب ، وأبي الحسن محمد بن أحمد الأخميمي ، ويوسف الميانجي وأبي بكـر بن المقـرىء ، والطبراني ، وأحمد بن عبدالوارث الزجاج ، وعبدالعزيز بن محمد الجوهري قاضي الصعيد ، ومحمد بن مطروح ، وآخرون كثيرون(٥٥)، مما يدل على مدى نبـوغـه وفضله وعلمه وعلى أثره في الدراسات الفقهية وفي مجال الحديث حتى ان أحد أئمة الحديث وهو الطبراني أخذ عنه .

ومما يدل أيضا على هذا الفضل وذلك العلم ، تلك المصنفات التي صنفها وتركها لتشهد بذلك وتقر به ، وهي مصنفات كثيرة منها أحكام القرآن ، واختلاف العلماء ، ومعـاني الآثار ، والشروط . ولذلك قال عنه ابن يونس انه « لم يخلق مثله » . وقد مات هذا الفقيه الأزدي الكبير في عام ٣٢١هـ/٩٣٣م ودفن بالقرافة التي يوجد بها قبر الامام الشافعي والتي تقع جنوب شرق مدينة الفسطاط(٥٦) .

هذا ولم يترك لنا أبو جعفر الطحاوي الأزدي كتبه التي أشرنا اليها كدلالة على علو قدره وعلو همته في ميدان الفقه فقط ، وانما ترك لنا أيضاً أبناء وأحفادا اشتغلوا بالعلم والفقـه ، منهم ابنه أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الذي روى عن أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي وغيره ،

---

(٥٤) المصادر السابقة ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ٣ ص٨٠٨-٨١١ .
(٥٥) المصادر السابقة ، الذهبي : نفس المصدر ، جـ٣ ص٨٠٩ .
(٥٦) المصادر السابقة ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ٣ ص٨١٠ .

وتـوفي في شهـر ربيع الأول من عام ٣٥١هـ/ ابريل ٩٦٢م[٥٧]. ومنهم حفيده أبو علي الحسين بن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الذي توفي في ربيع الآخر من عام ٣٦٠هـ/ فبراير ٩٧١م[٥٨].

ويجانب هؤلاء الفقهاء الأزديين في مصر والذين ينتمي معظمهم أصلا الى عمان ، فإن هناك أيضا ذلك الفقيه الشيخ الذي يسمى عبدالرحمن بن أبي يزيد المصري ، وكان هذا الفقيه من ولد سنبر(سبرة) بن أبي صفرة العتكي ، فهو أزدي مصري من أصل عماني أيضا . وقد علا صيت هذا الفقيه حتى وصل الى بلاد الأندلس وصار شيخا لابن حزم القرطبي الأندلسي حسبما جاء في جمهرته[٥٩]، وان كان مقـدم كتـاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم لم يذكره ضمن من ذكر من شيوخه ، ولذلك لم نعرف عن هذا الفقيه الشيخ أكثر من هذه العبارة التي ذكرها عنه تلميذه ابن حزم نفسه .

هذا عن فقهاء الأزد أمكننا أن نتحدث عنهم في هذه العجالة ، وذلك هو خبر أحـوالهم ودراساتهم وكتبهم ومشايخهم وتلاميذهم ، وهو كما ترى يدل على مدى أثرهم الحضاري والعلمي الكبير في مجال من أهم مجالات الدراسات الدينية وهو الفقه .

أما رجال مهرة الذي اشتغلوا بالفقه والعلم في مصر فهم أيضا عديدون ، ذلك أنه نبغ منهم عدد كبير من المحدثين ، وكان هؤلاء المحدثون يشتغلون في معـظم الأحيان بالفقـه أيضـا . أمـا من غلب عليه الاشتغـال بالفقـه فهـو عبـدالرحمن بن أحمد بن محمد بن الحجاج أبو محمد الرشيدي المهري . وان كنا

(٥٧) السمعاني : نفس المصدر ، جـ٤ ص٥٣ .
(٥٨) المصدر السابق ، ونفس الصفحة .
(٥٩) ابن حزم : نفس المصدر ، ص٣٦٨ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٢١ .

لا نعرف عنه الكثير سوى أنه روى عن أبي طاهر بن السرح وسلمة بن شبيب ، وتوفي في عام ٣٢٦هـ/٩٣٧م[٦٠] .

وهكذا كان دور الأزد والمهرة في مجال العلوم الدينية ، وهو مجال ظهروا فيه وبزوا أقرانهم ، وتركوا لنا مدونات ومصنفات كان لها أثرها في مجال علوم الحديث والفقه والمذاهب الفقهية ، حتى ان أصحاب المذاهب وجماع الحديث وأئمته المشهورين من أمثال البخاري ومسلم والطبراني والليث بن سعد وغيرهم أخذوا عنهم وتعلموا على أيديهم . فهذا مسلم يقول في صحيحه « حدثنا محمد بن المثنى . . حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري »[٦١] ، كما يقول أيضا « حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن رمح المصري عن الليث بن سعد »[٦٢] .

ومسلم هنا كما ترى يروي عن أحد فقهاء الأزد ومحدثيهم في مصر وهو يزيد بن أبي حبيب ، وعن شيخ من شيوخ المحدثين من مهرة في مصر وهو ابن شماسة المهري ، وكذلك يروي عن شيخ الفقهاء المصريين الليث بن سعد ، والليث روى عن يزيد بن أبي حبيب الأزدي وعن ابن شماسة المهري . مما يبين فضل الأزد والمهرة في روايات مسلم صاحب أحد الصحيحين .

وكذلك إذا تصفحنا سند الأحاديث التي جاءت عند البخاري نجد أن بعضا منها يأخذ عن الليث بن سعد[٦٣] . وقد أخذ الليث كما أشرنا عن رواة بعضهم من الأزد والمهرة .

وهكذا كان الدارقطني الذي زار مصر وروى عن علمائها ومحدثيها يأخذ عن

---

(٦٠) ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ، جـ٢ ص٣٠٨ .

(٦١) صحيح مسلم بشرح النووي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٢ ، جـ١ ص١٣٦ ، ١٣٧ .

(٦٢) المصدر السابق ، جـ٦ ص١٣٧ ، ٢٠٥ .

(٦٣) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة ١٩٨٣ ، جـ٢ ص٤٢١ .

محمـد بن عبـدالله بن عبـدالحكم المصري[٦٤]، ويأخـذ أيضـا عمن رووا عن عبدالله بن لهيعة[٦٥] . وابن لهيعة وابن عبدالحكم كلاهما مصريان وكلاهما يأخذان عن يزيد بن أبي حبيب الأزدي وعبـدالرحمن بن شماسة المهري اللذين عاشا في مصر وكانا من أهلها كما سبق القول .

وكذلك ابن ماجة نراه هو الآخر يأخذ كثيرا عن محمد بن محمد بن رمح المصري ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب الأزدي[٦٦] وعن غيره من المصريين من المهرة وغيرهـم وعن غير المصريين أيضا[٦٧] .

وهكذا نجد فضل الأزد والمهرة على الحديث ورواته وعلى الفقه والمشتغلين به في مصر عظيما وكبيرا . وكما تفوق الأزد والمهرة في مصر في هذا المجال فإنهم تفوقوا أيضا في مجال آخر وهو مجال اللغة العربية وعلومها وآدابها .

ثانيا : دور الأزد والمهرة في مجال اللغة العربية وآدابها :.

وفي هذا المجال نستطيع ان نقول أن استيلاء الأتراك على السلطة في مصر في العصر العبـاسي الثـاني ، وخـاصـة منذ بداية عصر الدولة الطولونية في عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م ، يبدو أنه ترك أثره في مجال اللغة العربية وآدابها . وبطبيعة الحال فإن اللغـة لا تجد تشجيعـا الا من بنيهـا وممن يفهمها ويعشقها ، وكان الأتراك لا يهتمون بها لا يحسنونه ولا يتقنونه من لغة وأدب ، ولذلك لم يظهر في عهدهـم في مصر من الأزد الا عالمان من علماء اللغة ، ولم يظهر أحد من الأزد ممن يقول الشعر .

(٦٤) سنن الدار قطني ، دار المحاسن للطباعة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ ، جـ٣ ص٢٢٩ .
(٦٥) المصدر السابق ، جـ٣ ص٢٥٩ .
(٦٦) سنن ابن ماجة ، تحقيق محمود فؤاد عبدالباقي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ١ ص٥٢٥ .
(٦٧) المصدر السابق ، جـ١ ص٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ ، ٢٧٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٣٥ ،

أما اللغة وعلومها من نحو وصرف وغير ذلك من العلوم اللغوية ، فقد ظهر فيها لغوي مصري كبير من هناءة من أزد عمان ، هذا اللغوي هو علي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل نظرا لقصر قامته . وهناءة التي ينسب اليها انما ترجع الى هناءة بن مالك بن فهم ذلك الزعيم العماني المشهور . وفيما يبدو فقد عاش هذا اللغوي الفترة التي تقع بين منتصف القرن الثالث ، وبين منتصف القرن الرابع للهجرة . ذلك أننا لم نعثر له على تاريخ ميلاد أو وفاة اللهم اشارة تقول انه كتب أحد كتبه وهو الكتاب المعروف باسم المنضد في عام ٣٠٧هـ/ ٩١٩م[٦٨] .

وعلى ذلك فهذا اللغوي معاصر لابن دريد الأزدي الذي توفي عام ٣٢١هـ/٩٣٢م . وقد ذكره ابن النديم وقال « انه من أهل مصر ويعرف بالدوسي »[٦٩] . ويذكر ياقوت في معجم أدبائه بأنه يعرف بالرواسي ويزيد فيقول « قبيلة من الأزد »[٧٠] . وسواء كان دوسيا أو رواسيا فهو أزدي لأن دوس والرواس من الأزد كما بينا من قبل .

المهم أن هذا اللغوي كان من هناءة من أزد عمان الذين انتقلوا الى مصر وعاشوا فيها وصاروا من أهلها ، ونبغ من بينهم هذا العالم اللغوي الكبير الذي يضارع ابن دريد . فقد ذكر له ابن النديم وياقوت كتبا كثيرة في اللغة وعلومها ، منها كتاب المنضد الذي جاء فيه الهنائي بلغة كثيرة مستعملة وحوشية ، أي غريبة على الأسماع ، ورتبه على الحروف الأبجدية وكأنه قاموس في اللغة مثل قاموس العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي . ويبدو أن هذا الكتاب كان ضخما متعدد الأسفار والمجلدات ، فاختصره صاحبه في كتاب آخر يسمى المجرد ، ثم

(٦٨) ياقوت : معجم الأدباء ، المجلد ٧ جـ١٣ ص١٢ .
(٦٩) ابن النديم : الفهرست ، تحقيق د. ناهد عباس عثمان ، دار قطري ابن الفجاءة ، قطر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥ ، ص١٦٥ .
(٧٠) ياقوت : معجم الأدباء، مجلد ٧ جـ١٣ ص١٣ .

اختصر المجرد في كتاب ثالث يسمى المنجد . وله أيضا كتب أخرى منها كتاب أمثلة الغريب أو مجرد الغريب ، جعله على أوزان الأفعال على مثال كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ، جاء فيه بغريب اللغة ، وفي الغالب فإن هذا الكتاب هو نفسه كتاب المنضد المختصر في كتاب المجرد . وله أيضا كتاب المصحَّف ، وكتاب المنظَّم(٧١) ، مما يدل على قدره ونبوغه في مجال اللغة وعلومها .

ويشير صاحب أنباء الرواة بأن الهنائي كان لغويا نحويا من علماء مصر وأنه خلط المذهبين ، أي مذهب أهل الكوفة وأهل البصرة في النحو واللغة . ذلك أنه أخذ عن النحويين البصريين والكوفيين ، وان كان الى قول البصريين أبين وأقرب ، وقد روى في كتبه التي أشرنا اليها عن أبي يوسف الأصبهاني وأبي عبيد بن القاسم بن سلام(٧٢) .

وقد كانت هذه الكتب التي ظهرت على يديه معروفة وموجودة في عصر ابن النديم وعصر ياقوت ومرغوب فيها في مصر وبلاد المغرب . وكما تميز صاحبها بجودة التصانيف اللغوية وسعة الاطلاع والعلم ، فقد تميز أيضا بجودة الخط ، ولذلك كان يكتب كتبه بخط يده . ويذكر معجم الأدباء وصاحب انباء الرواة أن كلا منهما رأى جزءا من كتابه المنضد مكتوبا بخطه(٧٣) .

ومن المهالبة ذوي الأصل العماني والذين كانوا من أهل مصر ونبغوا في اللغة وعلومها أيضا ، أبو يعقوب محمد بن أحمد بن ابراهيم بن يزيد بن حاتم بن المهلب بن أبي صفرة ، عاش هذا اللغوي المهلبي المصري في عهد الدولة الاخشيدية ، وكان عالما نحويا لغويا كما يقول صاحب معجم الأدباء الذي لم يذكر

(٧١) ابن النديم : نفس المصدر ، ص١٦٥-١٦٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ، مجلد ٧ ، جـ١٣ ص١٢-١٣ .
(٧٢) المصدرين السابقين ونفس الصفحات ، القفطي : انباء الرواة ، جـ٢ ص٢٤٠ .
(٧٣) المصدرين السابقين ونفس الصفحات .

لنا عنه سوى ذلك ، وسوى أنه مات بمصر في عام ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م في خلافة المطيع بالله العباسي ، وقال انه ربما كان أخا لأبي الحسين علي بن أحمد المهلبي النحوي الذي كان يعيش في تلك الفترة في مصر وكان من أهلها أيضا[٧٤] .

وفي عهد الدولة الفاطمية نعثر على بعض النحويين من المهالبة في مصر . منهم على سبيل المثال مهذب الدين أبو المحاسن مهلب بن حسن بن بركات المهلبي البهنسي ، نسبة الى بهنسا احدى مدن صعيد مصر . ولم نعرف لهذا النحوي المهلبي المصري تاريخ ميلاد أو وفاة الا ما يمكن استنباطه من أنه كان تلميذا لأبي محمد بن عبدالله بن بحري بن عبدالجبار المقدسي المصري المولود في عام ٤٩٩هـ/١١٠٦م . والمتوفى في عام ٥٨٢هـ/١١٨٧م[٧٥] .

وعلى ذلك فإن مهذب الدين أبا المحاسن المهلبي عاش في الفترة التي تقع بين متصف القرن الخامس ، ومنتصف القرن السادس للهجرة ، عاش في بهنسا وكان قاضيا لها ، وقضى بقية عمره في مصر حيث تصدى لتدريس الأدب في مدارسها ، فانتفع بعلمه أناس كثيرون . فقد كان هذا اللغوي مبرزا في علمه ضليعا في فنه ، يتبين ذلك من كتبه التي تركها في هذا المجال ، منها كتاب النظم الزائد وحصر الشوارد ، وكتاب شرح مقصورة ابن دريد ، وكتاب المقصور والممدود[٧٦] ، مما يدل على فضله وعلمه وإثرائه للغة ، كما أثراها أهل قبيلته الآخرون في غير مصر من أمثال ابن دريد والخليل بن أحمد الفراهيدي .

ويبدو أن كتب هذين اللغويين والعالمين الجليلين كان لهما رواج كبير في مصر في ذلك الحين . اذ يخبرنا المقريزي في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

(٧٤) ياقوت : معجم الأدباء ، مجلد ٩ جـ١٧ ص١٤٣ ، مجلد ٢ جـ٤ ص١٩٠ .
(٧٥) القفطي : نفس المصدر ، جـ٣ ص٣٣٣-٣٣٤ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، جـ٥ ص٣٠٤ .
(٧٦) المصدرين السابقين ونفس الصفحات .

بأن المسبحي الذي ألف كتابا في تاريخ مصر وخططها في عصر الفاطميين يقول بأنه ذات مرة جاء ذكر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي في مجلس للخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) ، فأمر هذا الخليفة خزان دفاتره ، أي أمناء مكتبته بالبحث عن هذا الكتاب في مكتبته ، فأخرجوا له نيفا وثلاثين نسخة من هذا الكتاب ، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد نفسه . ولما ذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد ، أخرج له أمناء مكتبته مائة نسخة منه[٧٧] . مما يدل على تشجيع الفاطميين للعلم والفكر والثقافة ، ولذلك توالى ظهور اللغويين في عهدهم في مصر من الأزد وغيرهم .

مثال ذلك هذا اللغوي المعروف باسم أبي العباس أحمد بن محمد المهلبي الذي يعرف بالبرجاني . وكان هذا اللغوي المهلبي من أهل مصر أي من أهل الفسطاط والقاهرة ومقيما فيها ، ويبدو أنه كان وافر العلم عظيم المعرفة ، فقد ترك كثيرا من المصنفات ، منها كتاب شرح علل النحو ، وكتاب المختصر في النحو . ولم يعط هؤلاء الذين كتبوا عنه تاريخ ميلاد أو وفاة لهذا النحوي المهلبي صاحب هذه التصانيف النحوية[٧٨] .

ويبدو أن اهتمام الفاطميين باللغة جعل مصر مهبطا لطالبي العلم من عشاق اللغة ومحبيها . ذلك أننا نسمع أن أزديا قرطبيا أندلسيا وفد الى مصر وكتب بعض علمه فيها . ذلكم هو أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي الذي كان اماما نحويا عارفا باللغة والنحو ، والذي سبق الحديث عنه في مجال علم الحديث وروايته ، والذي انتهى به الترحال الى الموصل حيث سكنها وتوفي بها في عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م[٧٩] .

(٧٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص٤٠٨ .
(٧٨) ياقوت : معجم الأدباء ، مجلد ٢ جـ٤ ص١٨٩-١٩٠ .
(٧٩) انظر ، ص٩٤ .

وإذا كنا قد أشرنا الى هذا العدد من علماء اللغة من الأزد الذين عاشوا في مصر والذين وفدوا اليها ، فإن هناك أيضا عددا من شعراء الأزد ظهروا في مصر وان كان هذا العدد قليلا ربما للسبب الذي ذكرناه في صدر الحديث عن اللغة وعلومها . ولذلك لم نقف على شعر قاله الأزد في مصر الا لواحد منهم عاش في صدر الاسلام ، ولاثنين آخرين كانا موجودين قبيل نهاية الدولة الفاطمية .

أما الأول فقد جاء ذكره عرضا عند الحديث عما قام به والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري في عهد معاوية بن أبي سفيان من توسيع جامع عمرو بن العاص في الفسطاط ، وقيامه بزخرفة جدرانه وسقوفه وبناء مئذنة له ، وذلك في عام ٥٣هـ/٦٧٣م . ولم يكتف مسلمة بن مخلد ببناء مئذنة واحدة لهذا المسجد الجامع ، وانما بني فيه أربع مآذن ، واحدة في كل ركن من أركانه الأربع ، وكان بهذا العمل أول من فعل ذلك في الولاة ، سواء من تلقاء نفسه أم بأمر معاوية بن أبي سفيان(٨٠) .

ومهما كان الأمر فقد بنى مسلمة هذه المآذن الأربع وأمر ألا يدق المسيحيون نواقيسهم عند أذان الفجر ، وأمر المؤذنين في أنحاء الفسطاط أن يؤذنوا لصلاة الفجر اذا مضى نصف الليل ، فإذا فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد . ولذلك كان لأذانهم دوي شديد في تلك الفترة المبكرة من الصباح ، مما أثار خيال شاعر أزدي كان مقيما في مدينة الفسطاط . هذا الشاعر هو عابد بن هشام الأزدي السلاماني الذي قال يمدح مسلمة بن مخلد(٨١) :

لقد مدت لمسلمة الليالي .:. على رغم العداة مع الأمان
وساعده الزمان بكل سعد .:. ويبلغه البعيد من الأماني

(٨٠) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص١٣١ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص٢٤٨ .
(٨١) المقريزي : المواعظ والاعتبار : جـ٢ ص٢٤٨ .

أمسـلم فارتقـي لازلـت تعلـو .:. على الأيـام مسـلم والزمـان
لقد أحكمت مسجدنا فأضحى .:. كأحسـن ما يكون من المباني
فتـاه به البـلاد وسـاكنوها .:. كمـا تاهـت بزينتها الغـواني
وكم لك من مناقـب صـالحات .:. وأجـدل بالصـوامع للأذان
كـأن تجـاوب الأصـوات فيهـا .:. إذا ما الليـل ألقى بالجـران
كصـوت الرعـد خالطـه دوي .:. وأرعـب كل مختطـف الجنـان

ولم تخبرنا المصادر بشيء عن هذا الشاعر سوى ما قاله من هذه الأبيات في تلك المنـاسبة ، مما يدل على أنه لم يكن شاعرا مشهورا ، وانما كان رجلا مثقفا اهتزت أريحيته على عادة العرب فقال هذا الشعر ، ولم نجد بأسا من أن نذكره لعل الزمان يجود بشيء آخر نعرفه له ويعرفه الآخرون فيتحدثون به .

أمـا الشـاعـر الثـاني ، فهو القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن علي بن ابـراهيم بن محمـد بن الحسين بن الزبير الغسـاني الأسواني . والغساني نسبة إلى الغساسنة ، وهـم أزد الشام ، فهو من أزد الشام أو من أزد عمان على أساس أن الغساسنة لم يكونوا كلهم يعيشون في بلاد الشام كما سبق القول ، بل كان بعضهم في عمان[٨٢] ، ولازال اسم الغساني اسما عائليا في عمان حتى الآن[٨٣] . أما الأسواني فهي نسبة الى احدى مدن صعيد مصر ، وهي مدينة أسوان التي ولد فيها القاضي الـرشيد ونشأ ثم انتقل منها الى قوص (دار امارة الصعيد) في مطلع صباه ، ثم ارتحـل منهـا الى القـاهـرة بعـد مقتـل الخليفـة الفـاطمي الـظافـر في عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م . فلما بويع الفـائـز الفـاطمي بالخـلافـة دخل الشعراء عليه يهنئونه ، فأنشد القاضي الرشيد قصيدة كانت سبب حظوته في البلاط الفاطمي[٨٤] .

(٨٢) انظر : ص ٧٨ ، ٧٩ .
(٨٣) معجم أسماء العرب ، جـ٢ ص١٢٧٤ .
(٨٤) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٤ ص٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، عمر فروخ : نفس المرجع ، جـ٣ ص٣٢٧ .

وعندما علا صيته لدى الفاطميين أرسلوه في مهمة الى بلاد اليمن ، فأقام هناك مدة تولى فيها القضاء ومدح نفرا من ملوكها من همدان وقحطان ، وعرض بمصر وبالقيسية التي ينتمي اليهم الخلفاء الفاطميون ، واشتد به الطموح حتى انقلب على الفاطميين وتمرد وتسمى بالخلافة ، وضرب سكة باسمه ، ولكن سرعان ما قبض عليه وأرسل الى قوص مكبلا بالأغلال ، ثم أفرج عنه نتيجة لتدخل طلائع بن رزيك وزير الخليفة الفاطمي الفائز ، وأرسل الى القاهرة(٨٥) .

ورغم اطلاق سراح القاضي الرشيد ، الا أن قلبه كان قد تغير من ناحية الفاطميين ، ولذلك عندما جاء أسد الدين شيركوه هو وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي الى مصر في عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م ، اتصل به القاضي الرشيد وكاتبه وانضم اليه في مقاومة الصليبيين ، فقبض عليه الوزير شاور بن مجير وزير العاضد الفاطمي آخر خلفاء الفاطميين في مصر ، وكان هذا الوزير متواطئا مع الصليبيين ليس كرها في شيركوه وصلاح الدين فقط ، ولكن خوفا على الدولة الفاطمية منهما أيضا . وأدى هذا الأمر الى قيامه بقتل القاضي الرشيد في المحرم من عام ٥٦٣هـ/١١٦٧م قبل أن تسقط الخلافة الفاطمية بأربعة أعوام(٨٦) .

ومع هذه النهاية السياسية المحزنة لهذا القاضي الأزدي الأديب ، الا أنه كان مشهورا في مجالات أخرى غير مجال السياسة . فقد كان ملما بعدد من فنون العلم والمعرفة ، منها اللغة والنحو والعروض والأدب والشعر والفقه والتاريخ والمنطق والهندسة والفلك والموسيقى والطب . وكانت شهرته في الأدب أكثر ، حيث كان كاتبا منشئا ومصنفا وشاعرا مجيدا لطيف المعاني غريب الأغراض قليل التكلف ،

---

(٨٥) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٤ ص٥٥ ، ٥٧ ، عمر فروخ : نفس المرجع ، جـ٣ ص٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٨٦) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٤ ص٦٠ ، ٦٢ ، ابن خلكان : نفس المصدر ، جـ١ ص١٦١ ، ١٦٣ ، عمر فروخ : نفس المرجع ، جـ٣ ص٣٢٨ .

وأكثر شعره في أغراض نفسه الوجدانية(٨٧).

وقد ترك هذا الأديب الأزدي ثروة أدبية كبيرة ، منها كتاب (منية الألمعي وبلغة المدعي) ، وهو رسالة تشتمل على علوم كثيرة ، وكتاب (جنان الجنان وروضة الأذهان) ، في أربعة مجلدات ، وهو كتاب يشتمل على ذكر شعراء مصر ومن طرأ عليها من الشعراء ، وله أيضا كتاب (المقامات) وكتاب (الهدايا والطرف)، وكتاب (شفاء العلة في نسمت القبلة) ، وكتاب رسائله الذي يقع في نحو خمسين صفحة ، بالاضافة الى ديوان شعره الذي يقع في نحو مائة ورقة(٨٨).

أما الشاعر الأزدي الثالث فهو جمال الدين أبوالحسن علي بن ظافر الأزدي . وقد اختلف من كتبوا عنه في تاريخ ميلاده . فقد ذكر بروكلمان أنه ولد بمصر عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م(٨٩). وذكر الأستاذ عمر فروخ نفس التاريخ(٩٠). وذكر ياقوت انه توفي في عام ٦١٣هـ/١٢١٦م عن ثمانية وأربعين عاما(٩١)، أي أنه ولد في عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م. وذكر الأستاذ محمد فريد وجدي في دائرة معارفه أنه ولد عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م(٩٢)، وان كان محقق كتاب معجم الأدباء قد ذكر بأنه ولد عام ٥١٧هـ/١١٢٣م، وقال انه استقى هذا الخبر عن محمد فريد وجدي(٩٣).

والراجح لدينا أن هذا الشاعر ولد في التاريخ الأخير الذي أورده هذا المحقق ، يدل على ذلك ما أورده الأستاذ عمر فروخ من مقتطفات من بعض كتب هذا الشاعر ، فقد ورد في أحدها وهو « كتاب التنبيهات » أن ابن ظافر الأزدي

(٨٧) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٤ ص٥٢ ، ابن خلكان : نفس المصدر ، جـ١ ص١٦١ ، عمر فروخ : نفس المرجع ، جـ٣ ص٣٢٩ .
(٨٨) ابن خلكان : نفس المصدر ، جـ١ ص١٦١ ، عمر فروخ : نفس المرجع ، جـ٣ ص٣٢٩ .
(٨٩) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، جـ٦ ص٢٦ .
(٩٠) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٨١ ، جـ٣ ص٤٥٨ .
(٩١) معجم الأدباء ، مجلد ٧ جـ١٣ ص٢٦٥ .
(٩٢) دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧١ ، جـ٦ ص٦٧٠ .
(٩٣) معجم الأدباء ، مجلد ٧ جـ١٣ هامش ١ ص٢٦٤ .

الـذي نتحدث عنه مدح السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي . ومعروف أن صلاح الـدين هو الذي قضى على الدولة الفاطمية في عام ٥٦٧هـ/١١٧١م، وأقام مكانها دولته الجديدة التي عرفت بالدولة الأيوبية(٩٤).

ولا يمكن أن يكون ما ورد عن مدح ابن ظافر لصلاح الدين صحيحا إذا كانت ولادة هذا الشاعر في نفس العام الذي قضى فيه صلاح الدين على الدولة الفاطمية . اذ كيف يمدح انسان انسانا آخر وهو في العام الأول من عمره ؟

ويبدو أن خلطا قد حدث بين تاريخ ميلاد هذا الشاعر وتاريخ انتقاله إلى الشام فترة من الزمن . فمن المعروف عن هذا الشاعر أنه كان انسانا طموحا أراد نيل المناسب والجاه وعرض الدنيا ، ولذلك اتصل بالحكام ولزم القاضي الفاضل في مصر مدة طويلة ، وانتقل الى بلاد الشام في عام ٥٦٧هـ/١١٩١م، وهو العام الذي قيل خطأ انه تاريخ ميلاده ، وارتقى منصب الوزارة هناك ثم صرف عنه وعاد الى مصر عام ٦١٢هـ/١٢١٥م(٩٥).

ومهما كان من أمر ، فهذا الشاعر يعتبر شاعرا مخضرما اذ عاش في أواخر عصر الدولة الفاطمية ، واستقبل بداية عصر الدولة الأيوبية . وعلى ذلك فقد عمر طويلا ، اذ قيل انـه توفي في عام ٦١٣هـ/١٢١٦م(٩٦) أو في عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م(٩٧). وخلال هذا العمر المديد نراه في صباه يدرس الفقه على يد والده ، ثم نراه بعد ذلك ينكب على دراسة الأدب على يد نفر من الأدباء ، منهم أبـو الحسن علي بن المفضـل اللخمي المقـدسي ، وتاج الدين أبو اليمن زيد بن

(٩٤) عمر فروخ : نفس المرجع ، جـ٣ ص٤٥٨ ، ٤٦٠ .
(٩٥) المرجع السابق ، جـ٣ ص٤٥٨ .
(٩٦) ياقوت : معجم الأدباء ، مجلد ٧ جـ١٣ ص٢٦٥ .
(٩٧) جاء هذا التاريخ محرفا في دائرة معارف القرن العشرين ، جـ٦ ص٦٧٣ ، فورد على أنه ٢٦٣هـ وهو تصحيف ظاهر ، والمراد أنه ٦٢٣ هـ .

الحسن الكندي ، وأبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن الحرستاني ، وأبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي البلنسي وغيرهم . ولم يلبث أن ظهر أمر ابن ظافر الأزدي وعظم شأنه في مجال العلم والأدب وخلف أباه في تدريس الفقه في المدرسة المالكية المعروفة بالمدرسة القمحية(٩٨) .

وكان ابن ظافر الأزدي الى جانب اشتغاله بتدريس الفقه ملما بعدد من فنون العلم في الحديث واللغة والأدب والتاريخ ، غير أن براعته وشهرته كانتا في مجال الأدب . وذلك أنه كان شاعرا وناثرا وناقدا ومصنفا . أما في مجال الشعر فقد كان ابن ظافرالأزدي يهتم بالصناعة ويتصيد التشبيهات النادرة ، ولذلك قلت في شعره المعاني وقل الرونق ، وكان أكثر ما قاله من شعر في المديح والوصف والشكوى . والغريب أن نثره يعتبر أحسن من شعره ، ذلك لأنه نثر أنيق قام على الصناعة من السجع والموازنة والتشبيه والاستعارة والبديع(٩٩) .

ونظرا لأن هذا الشاعر الأزدي كان أديبا وعالما موسوعيا ، فقد ظهرت له كتب ومصنفات في التاريخ والأدب والبلاغة والنقد والاجتماع ، منها كتاب (الدول المنقطعة) ، أي الدول التي زال حكمها كالدولة الطولونية والاخشيدية والحمدانية وغيرها . وكتاب (أخبار الملوك السلجوقية) ، و(أخبار الشجعان) ، و(أخبار الدول الاسلامية) ، وكتاب (من أصيب ممن اسمه علي) ، وابتدأه بالامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكتاب (أساس السياسة) و(مكرمات الكتاب) ، و(أسس البلاغة) ، و(نفائس الذخيرة) ، و(شفاء العليل في ذم الصاحب والخليل) ، و(بدائع البدائه فيمن قال شعرا على البديهة) ، وكتاب (الذيل على بدائع البدائه) ، و(غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات)(١٠٠) .

(٩٨) عمر فروخ : نفس المرجع ، جـ٣ ص٤٥٨ .
(٩٩) المرجع السابق ، جـ٣ ص٤٥٨ ، ٤٥٩ .
(١٠٠) ياقوت : معجم الأدباء : مجلد ٧ جـ١٣ ص٢٦٤-٢٦٧ ، عمر فروخ : نفس المرجع ، جـ٣ ص٤٥٩ .

وهكذا نرى أن معظم كتبه كانت في الشعر والنثر والأدب والتاريخ . وقد أورد الأستاذ عمر فروخ شيئا من شعره ونثره[١٠١] يدل على علو قدره وعظيم همته في هذا الميدان .

تلك هي جهـود بعض الأزد المصريين من نحـويين وأدباء في مجال اللغة والأدب ، ورغم قلة عددهم مقـارنـة باخوانهم ممن تحدثنا عنهم في مجال العلوم الدينية ، الا أنهم لاشك قد أثروا المكتبة الأدبية واللغوية بهذا العدد الوافر من كتب اللغة والأدب ، مما يعتبر اضافة علمية وحضارية جديرة بالاشارة والتقدير .

وإذا كانت هذه هي جهود الأزد في مصر في ميدان اللغة والأدب ، فماذا عن جهودهم في ميدان التاريخ ؟

ثالثا : دور الأزد والمهرة في مجال التاريخ :

من الملاحظ أننا اعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر أساسية عديدة ، وكان من أهم هذه المصادر اثنان لا يمكن لأي باحث في تاريخ مصر في صدر الاسلام وحتى انتقـال الفـاطميين الى مصر في عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م أن يستغني عنهما . وهـذان المصـدران هما كتاب (فتوح مصر وأخبارها) لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم القرشي المصري الذي توفي عام ٢٥٧هـ/ ٧٨١م والمصدر الثاني .هو كتاب (تاريخ ولاة مصر وقضاتها) لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المتوفى عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م أو من خلال دراستنا لسلسلة الرواة الذي أخذ عنهم ابن عبدالحكم والكندي يمكننا أن نقف على دور الأزد والمهرة في كتابة تاريخ مصر في هذه الفترة الهامة من تاريخها الاسلامي .

---

(١٠١) عمر فروخ : نفس المرجع ، جـ٣ ص٤٥٩-٤٦٢ .

ومن البداية نقول انه لا تكاد تخلو صفحة واحدة من كتاب ابن عبدالحكم من ذكر راوية عظيم ومشهور من رواة الأزد . هذا الراوية هو يزيد بن أبي حبيب المعروف باسم يزيد بن سويد الأزدي أبي رجاء مولاهم المصري الذي كان فقيه مصر وشيخها ومفتيها وأول من أظهر علوم الدين واللغة بها وكان أحد ثلاثة فوض اليهم عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أمر الفتيا في مصر . وقد سبق الحديث عن هذا الفقيه والمحدث والمؤرخ الأزدي في شيء من التفصيل حين حديثنا عن فقهاء الأزد في مصر ، وقلنا انه ولد بها في عام ٥٣هـ/٦٧٣م ، وتوفي بها في عام ١٢٨هـ/٧٤٥م[١٠٢] .

ومعنى ذلك أن هذا الفقيه والمؤرخ الأزدي الكبير عاش في فترة حاسمة من تاريخ مصر ، وهي فترة بداية تحولها من النظام البيزنطي والحياة المسيحية الى النظام الاسلامي والحياة الاسلامية . شهد ابن أبي حبيب الصحابة والتابعين الذين فتحوا مصر ، وعاصرهم ونقل عنهم أخبار الفتح وأحداثه . ولذلك تعتبر رواية ابن أبي حبيب الأزدي من أهم وأوثق الروايات الخاصة بتاريخ مصر في القرن الأول للهجرة وحتى وفاته في عام ١٢٨هـ/٧٤٥م .

والدليل على ذلك هو أن ابن عبدالحكم أخذ روايته بسند ينتهي الى يزيد بن أبي حبيب الأزدي في معظم ان لم يكن كل رواياته التي تحدثت عن الفتح وأحداثه ، بل وعن بعض أخبار مصر قبل الاسلام ، وعن وصية النبي ﷺ للصحابة بمصر وأهلها[١٠٣]، وعن الوقائع التي حدثت بين عمرو بن العاص والبيزنطيين في مصر ، وعن الصلح الذي تم بين الفريقين[١٠٤]، وأخبار الزحف

---

(١٠٢) انظر ، ص٩٧ ، ٩٨ .
(١٠٣) فتوح مصر وأخبارها ، ص٣-٦ .
(١٠٤) المصدر السابق ، ص٥٦-٥٨ ، ٦١ ، ٧٢ .

من حصن بابليون الى الاسكندرية ، وعن معركة كوم شريك ومعركة الكريون التي صلى فيها المسلمون صلاة الخوف نظرا لكثرة الروم[١٠٥]، وأخبار فتح الاسكندرية[١٠٦].

كذلك يتحدث ابن أبي حبيب الأزدي عن الحكم الفقهي في فتح مصر ، وهل فتحت صلحا أم عنوة[١٠٧]، وعن أخبار معاوية بن أبي سفيان في مصر[١٠٨]، وأخبار القبط ، وأخبار من شهد فتح مصر من الصحابة مهاجرين وأنصارا ، والخطط التي اختطوها في مدينة الفسطاط ومدينة الجيزة[١٠٩]، وتحول عمرو بن العاص إلى الفسطاط من الاسكندرية التي كان يريد أن يتخذها عاصمة للبلاد[١١٠]، والخطط التي اختطتها القبائل الفاتحة لمصر ، ومنها بالطبع خطط الأزد ومهرة[١١١].

كما حدثنا يزيد بن أبي حبيب الأزدي عن العلاقة بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وأشار إلى قيام عمر بن الخطاب بمقاسمة العمال أموالهم[١١٢]، وحدثنا عن تمرد أهل الاسكندرية من غير العرب وقدوم الروم اليها ، ثم عن قيام عمرو بن العاص بفتحها للمرة الثانية والأخيرة[١١٣]، كما أخبرنا عن موت عمرو بن العاص ومشاهدة ابن أبي حبيب الأزدي لذلك وما قاله عمرو حين موته[١١٤]، وامتداح عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص[١١٥].

---

(١٠٥) المصدر السابق ، ص٧٣ ، ٧٤ .
(١٠٦) المصدر السابق ، ص٧٦ ، ٧٩ .
(١٠٧) المصدر السابق ، ص٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ .
(١٠٨) المصدر السابق ، ص٩٥ .
(١٠٩) المصدر السابق ، ص٩١-٩٧ .
(١١٠) المصدر السابق ، ص٩١ .
(١١١) المصدر السابق ، ص١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ .
(١١٢) المصدر السابق ، ص١٤٥-١٥١ .
(١١٣) المصدر السابق ، ص١٧٥ .
(١١٤) المصدر السابق ، ص١٨٠ .
(١١٥) المصدر السابق ، ص١٨٠ .

كذلك أورد أبن أبي حبيب الأزدي أخبارا عن غزوة عبدالله بن سعد بن أبي السرح لافريقية (تونس) عام ٢٧هـ/٦٤٧م وكذلك غزوه لبلاد النوبة عام ٣١هـ/٦٥١م وصلح النقط وتفاصيله[١١٦]، وغزوة ذات الصواري عام ٣٤هـ/٦٥٤م[١١٧]، وأخبار غزو معاوية بن حديج لافريقية ثلاث مرات ، أولاها في عام ٣٤هـ/٦٥٤م . وقد انفرد ابن أبي حبيب الأزدي بخبر الغزوة الأولى ويقول أن هذه الغزوة لا يعرفها الكثير من الناس ، وأنها حدثت قبل مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث أرسل اليه خمس المغانم التي غنمها المسلمون في هذه الغزوة[١١٨] .

وبعد ذلك لا نرى ابن أبي حبيب الأزدي يتابع جهود المسلمين في استكمال فتح افريقية وبلاد المغرب والاندلس[١١٩] رغم أنه كان معاصرا لهذه الأحداث ، فالأخبار الواردة عنه في هذه الناحية تكاد تكون نادرة ، مما يدل على أنه كان مهتما بتاريخ فتوحات مصر وحدها ، وربما كانت له روايات عن الفتوحات الاسلامية في هذه البلدان ، ولكن ابن عبدالحكم صاحب كتاب « فتوح مصر وأخبارها » لم يأت لنا بهذه الأخبار ، لسبب واضح يتبين من عنوان كتابه ، فقد جعله للحديث عن فتوح مصر فقط .

وكذلك لا نجد لاسم يزيد بن أبي حبيب الأزدي ذكرا في الأخبار التي أوردها ابن عبدالحكم عن القضاة الذي تولوا منصب القضاء منذ الفتح وحتى قيام الدولة الطولونية . هذا وعندما يبدأ ابن عبدالحكم في ذكر الأحاديث النبوية ورواتها ممن دخل مصر من الصحابة ، نجد اسم ابن أبي حبيب الأزدي يعود

(١١٦) المصدر السابق ، ص١٨٥-١٨٦ ، ١٨٨ .
(١١٧) المصدر السابق ، ص١٩٠ .
(١١٨) المصدر السابق ، ص١٩٤ .
(١١٩) المصدر السابق ، ص١٠٧ .

للذكر مرة أخرى ويكاد يكون القاسم المشترك لجميع مسانيد هذه الأحاديث[١٢٠]، مما يدل على الميول الدينية الغلابة لدى هذا التابعي الأزدي العظيم ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان شيخ الفقهاء والمفتين في مصر حتى ان عمر بن عبدالعزيز أوكل اليه وكما أشرنا من قبل أمر الفتيا في مصر ضمن ثلاثة كان هو أحدهم .

وعلى ذلك فإن ابن أبي حبيب اهتم اهتماما كبيرا بأخبار الفتح وما تلا ذلك من أحداث حتى منتصف القرن الأول للهجرة تقريبا ، فلم يترك شيئا تقريبا من أخبار الفتح التي استعرضناها والتي أخذها عنه ابن عبدالحكم وغيره من المؤرخين الا ودونها ، مع اهتمامه الواضح بتدوين أخبار الصحابة وذكر الأحاديث التي رواها عنهم أهـل مصر وكان هو أحدهم ، فهو ـ كما ترى ـ مؤرخ محدث أو أخباري راوية . ورواياته كما أشرنا في منتهى الأهمية لأنه نقل عمن شارك في الأحداث وشاهدها بنفسه ، ولذلك يعتبر ذا فضل كبير في تدوين تاريخ مصر الاسلامية ، وخاصة في أخبار فتحها ومن سكنها من الصحابة والتابعين ، وكذلك أخبار القبائل الأخرى التي اشتركت في هذا الفتح وكان الأزد والمهرة جزءا منها .

وتنبع هذه الأهمية ليس فقط لأنه روى عمن شهد أحداثا واشترك فيها ، بل لأنه يمتاز بالدقة وتحري الصدق في كل رواياته ، ونراه أحيانا يأتي بأكثر من رواية للحدث الواحد ويسند كل رواية الى صاحبها ، مما يدل على مدى الدقة والحيدة التي التزم بها في نقل أخباره ورواياته . ولذلك أصبح ابن أبي حبيب الأزدي محور معظم الروايات والأخبار المتعلقة بتاريخ مصر في النصف الأول من القرن الأول الهجري .

فابن عبدالحكم وكما هو ملاحظ في كتابه الذي نقل فيه كثيرا عن ابن أبي

(١٢٠) المصدر السابق ، ص٢٤٨-٣١٩ .

حبيب ، يأخذ رواياته التي دونها في هذا الكتاب من أكثر من طريق ، أو من عدة سلاسـل من الرواة ، وتنتهي هذه السلاسل في الغالب الى يزيد بن أبي حبيب الأزدي وتستقي منه . ولذلك نرى ابن عبدالحكم غالبا ما يقول « حدثنا عثمان بن صالـح عن الـليث ، قال كان يزيد بن أبي حبيب . . . »[١٢١]، أو « حدثنـا عبـدالملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب . . . »[١٢٢]، وهكذا ، فالرواية كما ترى تنتهي دائما الى ابن أبي حبيب الأزدي .

ويتعدد الرواة الموثوق بهم والذين أخذوا عنه ، فلم يأخذ عنه فقط ابن لهيعة والليث بن سعـد وهمـا من هما في الضبط والثقة والعدالة ، وانما أخذ عنه أيضا عمرو بن الحارث وبكر بن نصر وغيرهما من الرواة والمحدثين . وانتهت روايات هؤلاء الرواة الذين أخذوا عن يزيد الى عبدالله والد ابن عبدالحكم ثم الى الابن وهو عبدالرحمن صاحب كتاب « فتوح مصر وأخبارها » والذي كان أحد المصادر الأساسية لهذا البحث .

وإذا كان ليزيد بن أبي حبيب الأزدي كل هذا الفضل في الروايات التي اعتمد عليها ابن عبدالحكم في تدوين كتابه ، فإن هذا المؤلف اعتمد أيضا في رواياته على غير ابن أبي حبيب . اذ نراه يأخذ عن أخباري راوية من مهرة ، ذلكم هو أبو الحجاج رشدين بن سعد المهري الذي سبق الحديث عنه في مجال علم الحديث[١٢٣] .

ذلك أن ابن عبدالحكم نراه يروي عمن أخذوا عن أبي الحجاج رشدين ، عن الحسن بن ثوبان وغيره ممن يتصل السند عندهم حتى ينتهي الى من شهدوا

---

(١٢١) المصدر السابق ، ص٨٤ .
(١٢٢) المصدر السابق ، ص٧٣ ، ٨٦ ، ٨٧ .
(١٢٣) انظر ، ص٩٥ ، ٩٦ .

أحـداث فتـح مصر أو سمعـوا بها من أصحـابهـا[١٢٤]، مما يجعـل روايته موثقة وصحيحة . ولم يقتصر فضل رشدين المهري على مصر في مجال التاريخ وحده ، بل انـه أدلى بدلـوه في مجال الحـديث مما سبق بيانـه . فقـد روى بسنده بعض الأحاديث عن بعض الصحابة مثل أبي ذر ومعاذ بن أنس الجهني رضي الله عنهما[١٢٥] .

ومن المصـادر الأخرى التي روى عنها رشدين المهري أخبار فتح مصر ، رجل من مهرة أيضا . ذلكم هو عبدالرحمن بن شماسة المهري الذي تحدثنا عنه ضمن المحدثين الذين ظهروا في مصر من مهرة[١٢٦] . ولم يأخذ رشدين وحده عن ابن شماسة ، بل ان يزيد بن ابي حبيب الأزدي صاحب الفضل الأكبر في أخبار وروايات ابن عبـدالحكم كلها ، نراه يروي ويأخذ أيضا وكثيرا عن ابن شماسة المهري الذي أخذ أخباره ورواياته مباشرة عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وعن معاوية بن حديج ، وعن أبي الخير عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنهم ، وهم من صحابة رسول الله ﷺ ، وكانوا من أبطال الفتح كما هو معروف[١٢٧] .

وإذا أردنا أن نعرف قيمة الروايات التي غلبت على كتاب ابن عبدالحكم والتي ترجع في أصلها الى رواة من الأزد والمهرة ، يكفي أن نشير الى أن معظم المؤرخين المتقدمين والمتأخرين الذين أتوا بعد ابن عبدالحكم وكتبوا في تاريخ مصر الاسلامية ، أخذوا عنه واستقوا رواياته في كتبهم واستفادوا منها الى حد بعيد . ومن هؤلاء المؤرخين نذكر الكندي المتوفى عام ٣٥٠هـ/٩٦١م ، والذي سوف نخصه عما قليل بحديث ، ومنهم أيضا ابن زولاق المتوفى عام ٣٨٧هـ-٩٩٧م ،

(١٢٤) ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١٥٨ .
(١٢٥) المصدر السابق ، ص٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
(١٢٦) انظر ، ص٩٥ .
(١٢٧) فتوح مصر وأخبارها ، ص٢ ، ٦ ، ٤٩ ، ١٤٣ ، ١٨٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ .

والقضاعي المتوفى عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م ، وياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦هـ/١٢٣٠م والذي نقل ما كتبه عن وصف مصر في كتابه حرفيا عن كتاب ابن عبدالحكم ، وابن دقماق المتوفى عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م ، والمقريزي المتوفى عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م والذي أخذ كثيرا من نصوص كتابه عن كتاب ابن عبدالحكم ، وأبو المحاسن المتوفى عام ٨٧٤هـ/١٤٦٩م ، والسيوطي المتوفي عام ٩١٠هـ/١٥٠٤م والذي يعتبر كتابه (حسن المحاضرة) مأخوذا من كتاب ابن عبدالحكم ، وكذلك نذكر ابن اياس المتوفى عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م والذي استقى هو الآخر من كتاب ابن عبدالحكم . وهكذا كان هؤلاء المؤرخون عالة على ابن عبدالحكم[١٢٨] وعلى رواياته التي تعود في غالبها وكما قلنا الى رواة من الأزد والمهرة .

أما المصدر الثاني الذي استقينا منه واستقى منه أيضا كل من كتب عن تاريخ مصر الاسلامية حتى قدوم الفاطميين ، هو كتاب تاريخ « ولاة مصر وقضاتها » لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المتوفى عام ٣٥٠هـ/٩٦١م .

والكتاب كما هو واضح من عنوانه أرخ للولاة الذين تولوا حكم مصر ،

---

(١٢٨) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ١ ص٣٣٥-٣٣٦ .
هذا ولم يكن مصدر روايات ابن عبدالحكم في كتابه (فتوح مصر وأخبارها) رواة من الأزد والمهرة فقط ، فقد كان هناك رواة آخرون اعتمد عليهم ابن عبدالحكم وكانوا من أصل عماني ، فقد استقى بعض أخباره على سبيل المثال عن ابن لهيعة عن أبي هانىء الخولاني عن عمرو بن مالك الجنبي الذي أخذ عن الصحابي فضالة بن عبيد القتباني الذي اشترك في فتح مصر وصار من أهلها . كما أخذ بعض رواياته عن حيوة بن شريح عن أبي هانىء الخولاني عن عمرو بن مالك الجنبي ، وعمن أخذوا عن الليث بن سعد عن عمرو بن مالك الجنبي .
انظر ، ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٧٧-٢٧٩ .
وهناك أيضا أحد رواة الجنبة المصريين الذين أخذ عنهم ابن عبدالحكم ، مثال ذلك أبو علي الجنبي الذي عاش في مصر وروى عن فضالة بن عبيد القتباني وانتقلت روايته أيضا الى ابن لهيعة عن طريق أبي هانىء الخولاني ، ومنه الى ابن عبدالحكم . (انظر ، ابن عبدالحكم : نفس المصدر ، ص٢٧٧) . مما يبين فضل آل جنبة على تاريخ مصر وأخبارها .
والجنبة قبيلة عمانية من أصل يمني من مذحج شاركت في فتح مصر وكانت لها خطة في الفسطاط ، (ابن عبدالحكم : ص١٢٦ ، ابن حزم : ص٤٧٧ ، العوتبي : جـ١ ص٣١٢ ، عمر رضا كحالة : جـ١ ص٢١٠) .
ولازالت قبيلة الجنبة تعيش في صور في عمان حتى الآن ، وقد سموا الجنبة لأنهم جانبوا أخاهم صداء . (انظر ، خالد بن يحيى العزي : ص١٦٧ ، سالم بن حمود السيابي : اسعاف الأعيان ، ص١٤٣-١٤٥) .

وتحدث عن أخبارهم فيها منذ الفتح وحتى قدوم الفاطميين اليها ، كما أرخ لقضاة مصر منذ فتحها وحتى عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م[١٢٩] ، ولا ندري السبب في توقفه عن ذكر بقية قضاة مصر بعد ذلك وخاصة أنه كان معاصرا لمعظمهم ، اذ أن وفاته كانت في عام ٣٥٠هـ/٩٦١م . وقد استكمل هذا النقص بأن ذيل عليه أحمد بن عبدالرحمن بن برد ، فذكر القضاة وأخبارهم منذ عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م وحتى عام ٤٢٤هـ/١٠٣٣م[١٣٠] .

ومهما كان الأمر فالكتاب من أهم المصادر التي لا غنى عنها بالنسبة لتاريخ مصر الإسلامية ، ويزيد من أهمية هذا الكتاب تلك المصادر التي اعتمد عليها الكندي في رواياته . وكما كان أهم مصدر للروايات التي استقى منها ابن عبدالحكم كتابه « فتوح مصر وأخبارها » راوية أزديا هو يزيد بن أبي حبيب ، فإن الكندي في كتابه هذا الذي نتحدث عنه ، اعتمد هو الآخر في مادته التي استقاها في تأليفه لهذا الكتاب البالغ الأهمية على أزدي آخر هو أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدي المصري .

وإذا كان ابن أبي حبيب الأزدي هو الاستاذ غير المباشر لابن عبدالحكم ، فإن ابن قديد الأزدي كان استاذا مباشرا أخذ عنه الكندي مباشرة وليس بالواسطة عن رواة آخرين ، بل انه يعتبر أشهر وأعظم أساتذته على الاطلاق[١٣١] .

وإذا كان الكندي من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وأعمالها[١٣٢] ، فإن الفضل في ذلك يعود الى أستاذه ابن قديد الأزدي الذي استقى منه الكندي معظم

---

(١٢٩) الكندي : تاريخ ولاة مصر وقضاتها ، ص٣٦٠ ، جرجي زيدان : تاريخ اداب اللغة العربية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ١ ص٦٢٩ .
(١٣٠) الكندي : نفس المصدر ، ص٣٦١-٣٧٩ .
(١٣١) أحمد أمين : ظهر الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، جـ١ ص١٦٥ ، ١٦٦ .
(١٣٢) المرجع السابق ، ص١٦٦ .

مادته حين تأليفه لهذا الكتاب الذي اعتمد عليه المقريزي في خططه ، كما اعتمد عليه الآخرون من المؤرخين قدامى ومحدثين ، وهو كتاب يلقي لنا ضوءا كثيرا على حالة مصر السياسية والاجتماعية والأدبية في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، اذ يعرض للأحداث التي حدثت في عهد كل وال من ولاتها ، وكيف تصرف هذا الوالي ازاء هذه الأحداث[١٣٣] .

والكندي كما أشرنا يأخذ رواياته عن ابن قديد الأزدي مباشرة ، يدل على ذلك ما يقوله في صدر كل رواية من رواياته التي أوردها في كتابه « أخبرني ابن قديد . . . » أو « سمعت ابن قديد يقول . . . »[١٣٤] وهكذا مما يعطي الكتابات التاريخية التي وردت عند الكندي أهمية كبيرة ، ليس لهذا السبب فقط وانما أيضا لأن ابن قديد الأزدي اعتمد في رواياته على رواة غاية في الثقة والضبط ، منهم عبدالرحمن بن عبدالله بن الحكم صاحب كتاب « فتوح مصر وأخبارها »[١٣٥] ، ومنهم يحيى بن عثمان بن صالح عن أبيه عن ابن لهيعة الحضرمي[١٣٦] ، وعبدالله بن سعيد بن عفير عن أبيه عن أشياخه الذين كان منهم ابن لهيعة والليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب الأزدي[١٣٧] . وكذلك يأخذ عن الشافعي[١٣٨] . وعلي بن عمر بن خالد عن ابن لهيعة ، وعن الحجاج بن سليمان عن ابن لهيعة[١٣٩] .

وابن لهيعة الذي انتهت روايته الى ابن قديد الأزدي محدث مشهور حتى ان

---

(١٣٣) المرجع السابق ، ص١٦٦ .
(١٣٤) الكندي : ولاة مصر وقضاتها ، ص٢٣ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ١٨٨ وما بعدها .
(١٣٥) المصدر السابق ، ص٣٣ ، وكيع : نفس المصدر ، جـ٣ ص٢٢٠ .
(١٣٦) الكندي : نفس المصدر ، ص٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ وما بعدها .
(١٣٧) المصدر السابق ، ص٣٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ وما بعدها .
(١٣٨) المصدر السابق ، ص٢٩٦ .
(١٣٩) المصدر السابق ، ص٤٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ وما بعدها .

الذهبي وصفه بأنه « محدث مصر »[١٤٠]. وتولى ابن لهيعة القضاء في مصر حوالي عشر سنوات (مستهل ١٥٥ - ربيع الآخر ١٦٤هـ/ مستهل ٧٧٢ - ديسمبر ٧٨٠م)[١٤١]. وإذا جاءتك الأخبار من قاض فقيه محدث راوية ، فما أوثق هذه الأخبار ، لأننا نعرف أن المتحدثين هم أول الناس ضبطا لرواياتهم ، وتحريا عن رواتهم ، كما أن منهجهم في الرواية منهج انفردوا به انفرادا تاما ، لم يشاركهم فيه أحد لا من الشرق أو الغرب .

ذلك أنهم يعطوننا سلسلة رواتهم الذين أخذوا عنهم ، وعلى ذلك يمكننا أن نضع - في مجال التاريخ - أفراد هذه السلسلة أو هؤلاء الرواة موضع الجرح والتعديل لنرى مدى ضبطهم ودقتهم ، فنطمئن الى أخبارهم ان كان رواتهم عدولا موثوقا بهم ، وان لم يكونوا كذلك نتحفظ في قبول رواياتهم ونضعها موضع المناقشة والبحث .

وابن قديد الأزدي على ما رأينا يأخذ عن ثقات عدول أخذوا عن ابن لهيعة الذي أخذ عن يزيد بن أبي حبيب الأزدي الذي كان أستاذا له وتنبأ بولايته للقضاء[١٤٢]. وقد سبق أن تحدثنا عن يزيد بن أبي حبيب وعن أهميته في كتابات ابن عبدالحكم . ولذلك فإن روايات ابن قديد الأزدي تأتي على درجة عالية من الضبط والدقة ، ونجد أن هذه الروايات تغطي الأخبار الواردة عن ولاة مصر منذ فتحها وحتى عام ٢١٨هـ/٨٣٣م حتى اننا لا نكاد نجد صفحة في كتاب الكندي وحتى ذلك العام ليس فيها اسم ابن قديد .

ولكننا لا نجد له ذكرا بعد ذلك ، اذ نرى الكندي يعتمد في بقية حديثه

---

(١٤٠) تذكرة الحفاظ ، جـ٣ ص٧٨٧ .
(١٤١) الكندي : نفس المصدر ، ص٢٧٨-٢٨٠ .
(١٤٢) المصدر السابق ، ص٢٧٩ .

عن ولاة مصر على رواة آخرين . وعندما يأخذ الكندي في حديثه عن قضاة مصر نجده يعود مرة أخرى الى الاعتماد بشكل رئيسي على ابن قديد الأزدي ، فلا تكاد توجد صفحة واحدة من صفحات هذا الجزء الخاص بالقضاة ، خالية من ذكر ابن قديد ، مما يؤكد فضل هذا الراوية الأزدي على تاريخ مصر وأخبارها في تلك الفترة الهامة التي غطى أحداث ولاتها حتى عام ٢١٨هـ/٨٣٣م وأخبار قضاتها حتى وفاته في عام ٣١٢هـ/٩٢٤م(١٤٣).

والجدير بالذكر أن الكندي لم يعتمد في رواياته التي اعتمد عليها في كتابه « تاريخ ولاة مصر وقضاتها » على أزدي واحد هو ابن قديد ، وانما اعتمد أيضا على رواة آخرين من الأزد . منهم أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الذي سبق الحديث عنه ضمن فقهاء الأزد في مصر ، وهو ينقل عنه مباشرة فيقول : « حدثني أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي » وذلك في روايات كثيرة أخذها عنه(١٤٤). كما أخذ أيضا مباشرة عن رباح بن طيبان الأزدي(١٤٥)، ومباشرة أيضا عن محمد بن ربيع الجيزي الأزدي(١٤٦) الذي سبق الحديث عنه ضمن فقهاء مصر من الأزد ، وكذلك مباشرة عن محمد بن هارون بن حسان الأزدي(١٤٧).

وهكذا ترى عددا وفيرا من رواة الأزد اعتمد عليهم الكندي في كتابه عن الولاة والقضاة في مصر . وهو لم يعتمد على رواة من الأزد فقط ، وانما اعتمد أيضا على رواة من مهرة ، منهم محمد بن داوود بن أبي ناجية المهري الذي وصلت روايته الى الكندي عن طريق السكن بن محمد بن السكن التجيبي(١٤٨).

(١٤٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ٣ ص٧٨٧ .
(١٤٤) الكندي : نفس المصدر ، ص٩٧ ، ٢٧٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ .
(١٤٥) المصدر السابق ، ص٢٣٨ .
(١٤٦) المصدر السابق ، ص٢٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ .
(١٤٧) المصدر السابق ، ص٢٣١ .
(١٤٨) المصدر السابق ، ص١٣ .

وإذا كان الكندي قد اعتمد على رواة انتهى السند برواياتهم الى ابن أبي حبيب الأزدي ، فإن ابن أبي حبيب هذا وكما أشرنا من قبل يأخذ كثيرا عن راوية مهري وهو عبدالرحمن بن شماسة المهري الذي سبق الحديث عنه ضمن المحدثين في مصر من مهرة[149]. وعلى سبيل المثال فإن الكندي يقول في احدى رواياته : « حدثنا حسن المديني قال : حدثني يحيى بن عبدالله بن بكر ، قال : حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عبدالرحمن بن شماسة المهري حدثه أنه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة . . . الخ »[150]. وعبدالرحمن بن شماسة المهري كما ترى كان يعيش عصر الفتح ، وكان متصلا برجاله وأحداثه ، وسلسلة السند الذي تصله بالكندي كما نرى سلسلة معروفة بالثقة والضبط والعدالة .

وهكـذا نرى فضل الأزد والمهرة على المؤرخين عظيما . وإذا كان هذا هو فضلهم في مجال التاريخ ، فإننا لا ننسى جهد واحد منهم ظهر في عهد العزيز بالله الفـاطمي (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) . ذلكم هو الحسن بن محمد المهلبي الأزدي الذي قام برحلة طويلة في بلاد السودان بتكليف من ذلك الخليفة ، وألف له في عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م بعد عودته من رحلته كتابا في الطرق والمسالك عني فيه بتتبـع منابع النيل ، ووصف ما شاهده عند هذه المنابع ، وكذلك وصف بلاد السودان وصفا دقيقا يفيد من يؤرخ لهذه البلاد[151].

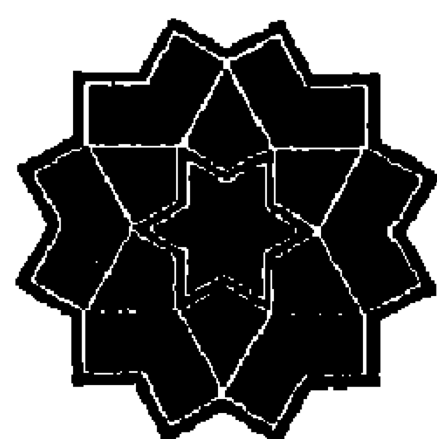
ولسوء الحظ فقد ضاع هذا الكتاب ولم تصلنا الا معلومات قليلة عنه وعن محتوياته في بعض المصادر التاريخية ، اذ نجد فقرات وجملا مقتبسة عنه عند كل من ياقوت الحموي وأبي الفداء والقلقشندي ، ومع ذلك فإن هذا الكتاب أو بالأحرى

(١٤٩) انظر ، ص٩٥ .
(١٥٠) الكندي : نفس المصدر ، ص٣٣ .
(١٥١) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٥ ص٤١ ، ٢٨٥ ، عطية القوصي ، محاولة العرب المسلمين كشف منابع النيل في القرون الأولى للاسلام ، فصلة في كتاب العرب وافريقيا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٧ ، ص٥١ ، أيمن فؤاد عباس ، صفة أفريقيا في المصادر العربية ، فصلة في نفس الكتاب المذكور ، ص٣٠ .

ما بقي منه يحتل أهمية كبيرة بالنسبة لدراسة نهر النيل وأهمية أكبر بالنسبة لبلاد السودان[١٥٢]، ويعتبر صاحبه هو أول من توغل من الرحالة المسلمين في هذه البلاد ووصل في ترحاله حتى أقصى جنوب السودان ، فهو رائد من الرواد الأوائل في هذا المجال دون جدال .

وهكذا لعب الأزد والمهرة دورهم في تاريخ مصر الثقافي بكل اقتدار بعد أن شاركوا في فتحها وهاجروا اليها وسكنوها وصاروا من أهلها واشتغلوا بالعلم والتصنيف ، فظهرت لهم مؤلفات عديدة في مجالات الحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ والرحلات ، وقصدهم طلاب العلم والمعرفة من شتى أنحاء العالم الاسلامي ، وأخذ عنهم كبار المحدثين والفقهاء والمؤرخين ، وبذلك فإنهم أثروا الحياة الثقافية والعلمية في مصر كل الثراء وأغنوها كل الغنى ، ربما أكثر من غيرهم ممن وفدوا الى مصر وسكنوها ، ولكنّهم لم يتركوا فيها ما نذكرهم به الا القليل مما لا يقاس بما تركه الأزد والمهرة .

وإذا كان للأزد ومهرة في مصر هذا الدور السياسي والثقافي والعلمي الكبير ، فإنه كان لهذا الدور بالضرورة نتائج هامة .



---

(١٥٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٥ ـ نتائج وجود وجهود الأزد والمهرة في مصر وأثر ذلك في تقوية الروابط بين مصر وعمان

كان لوجود الأزد والمهرة في مصر وما قاموا به من دور في مجال الحياة السياسية والثقافية والعلمية نتائج هامة يمكن أن نتناولها في شيء من التفصيل :

وأولى هذه النتائج هو تدعيم حركة انتشار الاسلام وحركة التعريب في مصر بتيار مستمر ومتدفق من الهجرات الفردية والجماعية التي أقبلت الى مصر ، سواء أثناء فتحها على يد عمرو بن العاص ، أم بعد ذلك ، وسواء أتى هؤلاء المهاجرون مع الحكام من الأزد الذين تولوا حكمها وأتوا من خارجها من قبل الخليفة سواء كان أمويا أم عباسيا ، أو أتى هؤلاءُ المهاجرون ضمن الجيوش التي كان يرسلها هؤلاء الخلفاء لاقرار الأوضاع في مصر اثر ثورات كان يقوم بها بعض أهلها من العرب أو القبط ، أو لاستئناف حركة الفتوحات في البلاد التي تقع غربي مصر .

وقد رأينا أن مصر تولى حكمها عدد كبير من المهالبة الذين كانوا يعينون أقاربهم في الوظائف العليا ويستقدمونهم لهذا الغرض ، كما كانوا يعينون في هذه الوظائف أيضا من يجدونه في مصر منهم . ولذلك أصبح لهؤلاء الأزد والمهريين في مصر نفوذ كبير تمكنوا به من الوقوف ضد ولاتها إذا ما خرجوا عن العدالة ومالوا الى الظلم والتعسف والقسوة .

وكان لهذا الموقف بطبيعة الحال أثره في أهالي مصر من القبط الذين كان يزاد عليهم الخراج أحيانا ، أو يساء استخراجه منهم أحيانا أخرى ، والذين ثاروا كما رأينا مرات عديدة من أجل هذا السبب . فقد كان يعجبهم دون شك تمرد الأزد والمهرة على الولاة الظلمة ، وعندما كان يتم ازاحة هؤلاء الولاة من مناصبهم

وتحقق العدالة ، كان الاقتراب يزداد بين القبط والمسلمين ، وتزداد حركة التحول إلى الاسلام قوة وفاعلية .

ولاشك أن اقامة الأزد والمهرة في الريف بين المصريين القبط ، وخاصة بعد أن أمر الخليفة المعتصم بالله العباسي باسقاط العرب من ديوان العطاء في عام ٢١٨هـ/٨٣٣م ، كان له أثره البالغ في الالتحام بين هؤلاء العرب والمصريين ، وفي التحول النهائي لمعظم سكان مصر من القبط الى الاسلام .

ذلك أنه في القرن الأول للهجرة بالذات كان الأزد والمهرة ومعظم العرب يقيمون في المدن التي اختطوها أو في المدن القديمة التي وجدوها ، ولذلك لم ينتشر الاسلام سريعا في مصر في تلك الفترة[1] ، ولكنه أخذ في الانتشار السريع بدءا من القرن الثاني للهجرة ازاء تدفق الهجرات العربية على مصر ، ووصل الى القمة كما قلنا في القرن الثالث عقب اسقاط العرب من الديوان ونزوحهم الى القرى واشتغالهم بشتى المهن والحرف حتى يكسبوا عيشهم ، مما أدى الى انصهارهم في المصريين وانتشار الاسلام في مصر على نطاق واسع .

وبانتشار الاسلام انتشرت اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية في مصر ، وأصبحت بالتدريج لغة المصريين جميعا مسلمين وأقباطا . وبالطبع فإننا لا ندعي أن هذه النتيجة تسبب فيها أزد مصر ومهرتها فقط ، فقد كان الأزد والمهرة يمثلون جزءا من كل ، ولكن تأثيرهم كان أقوى من غيرهم بسبب كثرة تواجدهم ووفرة اعدادهم ، وبسبب ما وصلوا اليه من نفوذ سياسي قوي نتيجة لتسنمهم زمام السلطة في كثير من الأحيان ، وبسبب ما قاموا به من نشاط علمي وثقافي كبير

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص٢٦١ .

أشرنا اليه وتحدثنا عنه وكان له أثره بطبيعة الحال في انتشار الثقافة العربية الاسلامية في مصر .

والنتيجة الثانية ، هي المساهمة في الفتوحات الاسلامية في بلاد المغرب والأندلس وجزر البحر المتوسط انطلاقا من مصر . فقد اتخذت مصر قاعدة لفتح هذه البلاد ودعوة أهلها الى الاسلام[٢]، ولذلك تدفقت عليها الهجرات العربية كما تدفق عليها الراغبون في الجهاد من شتى جزيرة العرب وبلاد العراق والشام وعمان بطبيعة الحال ، وكان الأزد والمهرة يحتلون جزءا كبيرا من هذه الهجرات . وسواء جاء الأزد والمهرة إلى مصر من عمان مباشرة أم من البلاد التي رحلوا اليها كالبصرة والعراق والمشرق ، وسواء أتوا مع الحكام المهالبة الذين أرسلهم الخلفاء لحكم مصر ، أو في شكل هجرات فردية أو جماعية نتيجة لظروف سياسية أو اجتماعية كانت تضطرهم لهذه الهجرة ، فإنهم استقروا في مصر وصاروا من أهلها وأصبحوا يمثلون جزءا هاما من القوات الزاحفة على شمال افريقيا والأندلس لفتحها .

وقد سبقت الاشارة الى وجود قوي للأزد والمهرة في جيش عبدالله بن سعد بن أبي السرح الذي غزا افريقية في عام ٢٧هـ/٦٤٧م ، وفي جيوش القادة الآخرين الذين أتوا بعده وقاموا بفتح هذه البلاد[٣]، ومن يدرس تاريخ فتوحات العرب لهذه النواحي سوف يجد الكثير والكثير مما يمكن أن يقال في هذا الموضوع .

وقد نتج عن ذلك أن استقر كثير من الأزد في بلاد المغرب . مثال ذلك ما يقوله اليعقوبي من أن جبلي برقة بليبيا بهما قوم من الأزد[٤]، وما يشير اليه أبو عبيد

---

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ٣ ص٣١٥ .
(٣) انظر ، ص٤٥ ، ٤٥٣ ، ٥٤ .
(٤) كتاب صفة المغرب المأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي ، ص٣ .

البكري من وجود أناس من الأزد في صفاقس بتونس(٥)، وما يقوله الجزنائي عن وجود قوم منهم في بلاد المغرب الأقصى ، ومن أن أحدهم كان وزيرا لادريس الثاني ، ثاني حكام دولة الأدارسة . وهذا الوزير هو عميربن مصعب الأزدي الذي اختار لهذا الأمير الادريسي موقع مدينة فاس وقام ببنائها في عام ١٩١هـ/٨٠٦م(٦)، لتصبح العاصمة السياسية للأدارسة . ولتظل مركز الحياة الثقافية والعلمية في هذه البلاد على مدى العصور الاسلامية .

وكما بنى أحد أمراء الأزد مدينة العسكر في مصر ، وبنى أحد وزراء الأزد مدينة فاس في بلاد المغرب الأقصى ، فإن أحد أمراء الأزد المهالبة بنى مدينة طبنة في بلاد تونس . ذلك هو الأمير أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي المعروف بهزار مرد أي ألف رجل نظرا لقوته وشجاعته . وكان هذا الأمير قد تولى حكم افريقية (تونس) فترة من الزمن ، فبنى فيها هذه المدينة(٧)، التي ربما تكون هي نفس المدينة التي بناها هذا الأمير المهلبي في تونس وسماها العباسية والتي لم تعش طويلا ، اذ هدمت بعد مقتله على يد أبي حاتم السدراني الأباضي(٨).

أما الوجود الأزدي في الأندلس فقد كان أكثر وأعظم ، وكان منهم بنو القليعي في غرناطة وبنو غافق في شقورة ، وذلك على سبيل المثال(٩)، وقد سبقت الاشارة الى رحيل بعض علماء الأندلس من الأزد الى مصر لتلقي العلم على يد علمائها ، والى ظهور عدد من العلماء والأدباء الأزديين في هذه البلاد ، أي بلاد الأندلس ، والمثال على ذلك هو الشاعر الكبير محمد بن هانىء بن محمد بن

(٥) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص١٤ .
(٦) زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، ص١٣-١٤ .
(٧) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص٥٠ .
(٨) البلاذري : نفس المصدر ، ص٢٣٠ .
(٩) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص١٢١ .

سعدون الأزدي (ت ٣٦٢هـ/٩٧٣م) المعروف عادة بابن هانىء الأندلسي تمييزا له عن ابن هانىء الحكمي المشهور بأبي نواس . وقد بلغ هذا الشاعر الأزدي الأندلسي مبلغا كبيرا من الشهرة لدى الفاطميين الذين كان قد رحل اليهم في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي حيث قربه اليه هذا الخليفة والحقه ببلاطه وغمره بفيض كرمه واحسانه ، فمدحه ابن هانىء بكثير من قصائده التي انتظم بها ديوانه الذي رتبه على حروف المعجم واحتفظت لنا به الأيام وطبع في بولاق بمصر في عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م ، وفي بيروت في عام ١٣٢٦هـ/ ١٨٨٦م[١٠].

ولاشك أن هذا الوجود الأزدي في هذه البلدان ما هو الا امتداد لوجودهم في مصر ، وانتشارهم منها الى بلاد المغرب العربي والأندلس على اعتبار أن مصر كانت القاعدة التي انطلق منها الأزد والمهرة وغيرهم من عرب مصر الى هذه البلاد فاتحين أو مهاجرين ، وهو موضوع كبير يحتاج الى معالجة مستقلة ، وما ذكرناه ما هو الا اشارات تفيدنا في الحديث عن اشتراك أزد مصر ومهرتها في فتوح العرب لهذه البلدان .

والنتيجة الثالثة لوجود الأزد والمهرة في مصر هي المساعدة في نشر المذهب الأباضي فيها وفي بلاد المغرب . ذلك أن دعاة هذا المذهب وصلوا أول ما وصلوا الى مصر ونشروا المذهب بين بعض أهلها ، ثم انطلقوا منها الى بلاد المغرب العربي ونشروه بين كثير من أهلها[١١].

أما في مصر فقد كان لوجود الأزد أثره الفعال في انتشاره بين بعض أهلها . ذلك أن الأزد وخاصة في عمان والبصرة كانوا هم العمود الفقري في حركة نشر

(١٠) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ١ ص٤٠٥ .

(١١) عن كيفية وصول المذهب الأباضي الى مصر والمغرب وكيفية انتشاره فيها ، انظر ، كتابنا « الأباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة » ، مكتبة العلوم ، مسقط ، سنة ١٩٩٠م .

المذهب الأباضي في غير هذه البلدان . وبطبيعة الحال فإن وجود اخوانهم من الأزد في مصر كان له أثره الكبير في بث الطمأنينة في قلوب الدعاة وفي قلوب المصريين الذين اعتنقوا هذا المذهب المخالف لمذهب الدولة حسبما كان يعتقد الناس في ذلك الحين ، ولذلك لم نسمع عن اضطهاد وقع على أباضية مصر الا اذا قاموا ضد الدولة وتمردوا على ولاتها ، فكانوا في هذه الحالة يجابهون بالقوة من والي مصر حتى لو كان هذا الوالي أزديا ، كما نلاحظ أن هذا الاضطهاد اذا وقع فإنه لم يشمل أباضية مصر من الأزد ، إذ أننا لم نسمع عن أحد منهم ناله شيء من العسف أو الاضطهاد أو القتل .

ذلك أن الأزد في مصر وكما قلنا من قبل كانوا فريقين :

ـ فريق موال للدولة سواء كانت أموية أو عباسية ، ومعظم هؤلاء الأزد كانوا من المهالبة الوافدين اليها من بغداد كولاة أو قواد للجيوش أو رؤساء للشرطة ، وكانوا بطبيعة الحال ينفذون سياسة الخلافة في مصر ويقمعون كل خارج عليها . ولكن العصبية القبلية كانت تقف حائلا بطبيعة الحال ضد النيل من اخوانهم من الأزد المصريين .

ـ أما الفريق الثاني من الأزد ، فهم الأزد المحليون الذين كانوا في مصر منذ زمن الفتح أو هاجروا اليها في عصور تالية وسكنوها واتخذوها وطنا وأصبحوا مصريين وعرفوا بهذه الصفة في المؤلفات والمدونات . وكان هؤلاء الأزد المصريون هم الذين تأثروا بفكر اخوانهم من أزد عمان والبصرة ، ومالوا الى مذهبهم واعتنقوا آراءهم وأيدوا مواقفهم المعارضة لبني أمية ، ونشروا ذلك بين فريق من المصريين من غير الأزد .

وكان لانتشار المذهب الأباضي بين المصريين مظاهر كثيرة ، منها ما يتبين من خلال مواقفهم المعارضة لبني أمية وولاتهم في مصر ، ومنها ما يظهر من خلال اتصالهم بالأباضية في الأقطار الاسلامية الأخرى .

ومن أمثلة المـواقف المعـارضة لبني أمية وولاتهم في مصر ، موقف الشراة الـذين كانوا يعيشون في مدينة الاسكندرية من والي مصر قرة بن شريك (ربيع الأول ٩٠ ـ ربيع الأول ٩٦هـ/ فبراير ٧٠٩ ـ نوفمبر ٧١٤م) . ولفظ الشراة يدل على أحد الأسماء التي عرف بها الأباضية ، ويعني أنهم اشتروا الجنة بأرواحهم التي باعـوهـا في سبيل الله . وكـان ابن شريك هذا قد خرج من الفسـطاط الى الاسكنـدرية ، وعنـدما وصل اليها وأقام فيها ائتمر به الشراة هناك وعولوا على التخلص منه[١٢] لسبب لا نعرفه ، وان كان لا يبعد عن أنه كان ردا على موقف الدولة الأموية من الأباضية وامامهم جابر بن زيد الأزدي العماني الذي كان قد سجن قبيل ذلك في مدينة البصرة ثم نفي الى عمان[١٣]، كما كان ردا على ما فعله الحجاج بن يوسف الثقفي بزعيم المهالبة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة حيث كان قد ألقى به في السجن (٨٥ـ٩٠هـ/ ٧٠٤ـ٧٠٨م) وعذبه عذابا أليما[١٤] .

على ذلك فقد قامت هذه الجماعة التي بلغ عددها نحوا من مائة رجل كان من بينهم ابن أبي أرطأة التجيبي ، والمهاجر بن أبي المثنى التجيبى الذي اختاروه رئيسا لهم ، وعقدوا العزم على ما أرادوه بذلك الوالي ، ودبروا له في مكان عند منارة الاسكندرية حيث تصادف أن تواجد قريبا منهم رجل يكنى أبا سليمان ، فسمع ما قالوا وأسرع الى قرة بن شريك وأخبره بما سمع ، فجمع قرة جنده وحاصر هذه

(١٢) الكندي : نفس المصدر ، ص٥٦ .
(١٣) الشماخي : السير ، جـ٧١ ص٧٦ ، رجب عبدالحليم : الأباضية في مصر والمغرب ، ص٣٢ ، ٣٥ .
(١٤) الطبري : نفس المصدر ، جـ٦ ص٤٤٨ وما بعدها ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٤١ـ١٤٧ .

الجماعة وسألهم وقررهم عما نقل اليه عنهم ، فاعترفوا وأقروا بما حدث منهم في شجاعة كبيرة ، فقتلهم جميعا[١٥] .

ويبدو أن عدد هؤلاء الشراة كان كبيرا في مدينة الاسكندرية ، اذ أن وجودهم لم ينته بالقضاء على هذه الجماعة ، بدليل أننا نرى أحدهم يعمد الى أبي سليمان الذي وشى باخوانه وقام بقتله ، فكان يزيد بن أبي حبيب الأزدي عالم مصر وفقيهها في ذلك الحين ، اذا أراد أن يتكلم عن الحكام بشىء فيه تقية تلفت وقال لأصحابه : « احذروا أبا سليمان »[١٦] ، مما يدل على أن بعض هؤلاء الحكام كانوا لا يسيرون في الناس بالعدالة فكان العلماء ينتقدونهم ومنهم يزيد بن أبي حبيب . وكان يزيد يخاف أي يشي به أحد الناس كما فعل أبو سليمان . وربما كانت سياسة بعض هؤلاء الولاة هي التي دفعت الشراة في الاسكندرية كي يتآمروا على واحد منهم وهو قرة بن شريك .

هذا ولم تكن حركة شراة الاسكندرية هي الحركة الوحيدة المعارضة للدولة الأموية في مصر ، والتي تدل على مدى انتشار المذهب الأباضي فيها ، وانما حدث ذلك مرة أخرى وبعد فترة وجيزة في عاصمة البلاد نفسها ، أي في مدينة الفسطاط .

ذلك أن الوليد بن رفاعة بن خالد الفهمي كان قد تولى حكم مصر في المحرم من عام ١٠٩هـ/ مايو ٧٢٧م بعهد من الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك ، واستمر يحكمها حتى توفي في جمادى الآخرة من عام ١١٧هـ/ يوليه ٧٣٥م . وقبيل وفاته خرج عليه وهيب اليحصبي شاريا بالفسطاط في عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م ، وسبب ذلك أن الوليد كان قد أذن للنصارى في ابتناء كنيسة

(١٥) الكندي : نفس المصدر ، ص٥٦ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص٣٢٨ .
(١٦) الكندي : نفس المصدر ، ص٥٦ .

لهم بالحمراء بأبي مينا ، فغضب وهيب لذلك وثار ضد هذا الوالي وخرج اليه ليفتك به ، فقبض عليه الوالي وقتله ، فثار القراء على الوليد بن رفاعة غضبا لمقتل وهيب(١٧) .

وربما كان ذلك الغضب أيضا لسبب ما أصاب اليمانية والمهالبة خاصة على يد بني أمية ، اذ أنهم تعصبوا للقيسية في تلك الفترة ، وقتلوا زعيم اليمانية يزيد بن المهلب في بلاد العراق ، واضطهدوا اليمانية في كل مصر من أمصار الدولة الاسلامية(١٨) . ولذلك التفت أعداد كبيرة من اليمانية في مصر حول شريح بن صفوان التجيبي أو حيوة بن شريح وقاتلوا هذا الوالي القيسي الذي عزز العصبية القيسية في مصر باستدعاء آلاف من قيس اليها في عام ١٠٩هـ/٧٢٧م(١٩) .

وكانت زوجة وهيب الشاري المقتول تطوف ليلا على منازل القراء تحرضهم على الطلب بدم زوجها ، مما أدى إلى ثورتهم على هذا الوالي ، فقاموا عليه وقاتلوه ، في جزيرة الفسطاط التي تعرف اليوم بجزيرة الروضة بالقاهرة ، ولكنه تمكن من القضاء على الثورة وعفا في النهاية عمن قاموا بها من القراء بعد أن اعتذر اليه واحد منهم عما حدث(٢٠)، مما يدل على أن القراء أو الشراة كانوا قوة لا بأس بها في عاصمة البلاد نفسها .

والحقيقة أن الدولة الأموية كانت تقف بالمرصاد لانتشار المذاهب المعارضة لها ، وكذلك وقف ولاتها في مصر وغيرها واتخذوا كل وسيلة للحيلولة دون انتشار هذه المذاهب التي كان على رأسها المذهب الأباضي الذي كان قد تسلل الى مصر

---

(١٧) المصدر السابق ، ص٦٥-٦٦ .
(١٨) الطبري : نفس المصدر ، جـ٦ ص٥٩٠-٥٩٧ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ٢ ص١٤٩-١٥٤ .
(١٩) الكندي : نفس المصدر ، ص٦٤ .
(٢٠) المصدر السابق ، ص٦٥-٦٦ .

حتى قبل أن ينتهي القرن الأول للهجرة كما رأينا ، وقام اتصال بين أباضية مصر وباقي اخوانهم من الأباضية في البصرة وعمان وحضرموت واليمن . وكان ولاة مصر يقفون لهذه الاتصالات بالمرصاد ويمنعونها بكل ما استطاعوا من قوة .

مثال ذلك ما فعله والي مصر حوثرة بن سهيل الباهلي (مستهل ١٢٨ ـ جمادى الأولى ١٣١هـ/ أكتوبر ٧٤٥ ـ يناير ٧٤٩م) في عهد آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد ضد بعض المصريين الذين استجابوا لداعية أباضي أرسل اليهم . ففي ذلك الحين كان عبدالله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق قد أعلن قيام الامامة الأباضية في حضرموت وبلاد اليمن ، وأرسل جنده وعلى رأسهم أبو حمزة الشاري العماني الى بلاد الحجاز ليقضي على الحكم الأموي فيها ، كما أرسل داعية الى مصر لدعـوة أهلهـا الى بيعته ، فوصل هذا الداعية الى مصر وبايعه ناس من تجيب وغيرهم ، وبلغ هذا الأمر حسان بن عتاهية قائد شرطة حوثرة ، فقبض عليهم وأمر حوثرة بقتلهم فقتلوا[٢١] .

وان دل هذا الحادث على شيء فإنما يدل على مدى استجابة المصريين الى دعاة الأباضية حتى وان كان في ذلك هلاكهم وازهاق أرواحهم . ولذلك نسمع أن المذهب الأباضي استمر في الانتشار بين المصريين حتى أصبح له علماؤه ورجاله العديدون الذين وثقوا الصلة بين أباضية المشرق والمغرب ، وكانوا همزة الوصل بين الفريقين طوال القرنين الثاني والثالث للهجرة[٢٢] .

وعندما تسنم فريق من المهالبة زمام السلطة في مصر في عهد الدولة العباسية وأصبح لهم نفوذ كبير فيها ، لم نسمع عن اضطهاد وقع على الأباضية في مصر بعد

(٢١) المصدر السابق ، ص٧٦ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص٣٢٨ ، العوتبي : نفس المصدر ، جـ١ ص٣٧٨ .
(٢٢) عن هؤلاء العلماء ، انظر ، كتابنا « الأباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة » ، ص٩٥-٩٩ .

قيام هذه الدولة التي استخدمت المهالبة في حكم مصر وغيرها من البلاد في أحيان كثيرة ، رغم أن الأباضية كانوا قد تمكنوا في عهد العباسيين من اقامة دول لهم في المشرق (عمان) والمغرب (الدولة الرستمية) ، واشتد نفوذهم وعلا صوتهم في مصر وغيرها من البلدان التي تواجدوا فيها ، مما يدل على أن المهالبة كانوا يميلون اليهم ولا يتعرضون لهم كما كان يفعل الحكام في عهد بني أمية .

والمثال على ذلك هو ما حدث في ولاية يزيد بن حاتم المهلبي على مصر (١٤٤-١٥٢هـ/ ٧٦١-٧٦٩م) . فقد اتهم قاضي مصر غوث بن سليمان الحضرمي بمكاتبة امام الأباضية في المغرب الأدنى أبي الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري ، ووصل هذا الأمر الى أبي جعفر المنصور ، فأرسل كتابه الى يزيد بن حاتم المهلبي عامله على مصر يأمره بحبس غوث . ففعل يزيد ما طلبه الخليفة ، ولم يكن يستطيع أن يعصي له أمرا(٢٣) .

ذلك أن اتصال غوث بن سليمان فيما يبدو كان عليه دليل ، وقد قال الكندي ان عمه حدثه عن ابن وزير أن فتيان بن أبي السمح حدثه عن ربيعة النفوسي بأن ربيعة هذا أخبر فتيانا بأنه هو الذي حمل كتاب أبي الخطاب من افريقية الى غوث ، وحمل كتاب غوث الى أبي الخطاب(٢٤) .

ورغم ذلك فلم يقض والي مصر المهلبي على غوث ، ولم يعتد على حياته ، ولم يفعل ما كان يفعله عبيد الله بن زياد بن أبيه عامل بني أمية على العراق من قتل وتعذيب وحبس للرجال من الأباضية ، وحتى للنساء منهم ، وصلبهم بعد تعرية أجسادهن حتى يمنع انتشار المذهب الأباضي بين الناس رجالا ونساء(٢٥) . ولذلك

(٢٣) الكندي : نفس المصدر ، ص٢٧٣ .
(٢٤) المصدر السابق ، ص٢٧٣-٢٧٤ .
(٢٥) الشماخي : نفس المصدر ، جـ١ ص٦١-٦٢ .

نسمع أن هذا القاضي المتهم بمكاتبة أبي الخطاب يعود إلى منصبه ويتولى القضاء للمرة الثالثة في عهد الخليفة المهدي بالله العباسي ، وذلك في جمادى الأولى من عام ١٦٧هـ/ ديسمبر ٧٨٣م ، وظل في منصبه حتى توفي بعد ذلك بحوالي عام[٢٦]، ولم يكن ذلك الا بسبب ازدياد نفوذ الأزد في مصر وميل المهالبة ولاة مصر من الأزد الى المذهب الأباضي ، وان كان هذا الميل غير ظاهر للعيان .

وقد بسط هذا النفوذ فيما يبدو حمايته حتى على بعض الولاة أنفسهم . ذلك أننا نسمع أن آخر وال عربي على مصر وهو أبو حاتم عنبسة بن اسحاق الضبي (٢٣٨-٢٤٢هـ/ ٨٥٢-٨٥٦م) كان مشهورا بأنه من الأباضية الذين كانت الدولة تسميهم في تلك الفترة بالخوارج . وقد كان هذا الوالي من قواد بني العباس من أهل البصرة ، والبصرة كما هو معروف كانت المهد الأول لظهور المذهب الأباضي ، فمنها خرج وانتشر في البلدان التي انتشر فيها[٢٧].

ويبدو آن هذا الوالي الذي تولى حكم مصر في ربيع الآخر من عام ٣٢٨هـ/ أكتوبر ٨٥٢م كان معتنقا لهذا المذهب أو على الأقل كان متأثرا به وميالا اليه ، ولذلك اعتبره المؤرخون أباضيا ودليل ذلك عندهم بأنه « أخذ العمال برد المظالم وأقامهم للناس ، وأنصف منهم ، وظهر بالحوف (أي الحوف الشرقي وهو الجزء الشرقي من الوجه البحري بمصر وكان موئلا للفتن والنزاع القبلي) من العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه ، وكان يروح الى المسجد ماشيا من العسكر ، وكان ينادي في شهر رمضان بالسحور »[٢٨]، مما جعل ابن حزم يقول انه لم يل مصر لبني العباس مثله ، وانه كان من أعدل الناس ، وانه كان يتهم بمذهب الخوارج لشدة عدله وتحريه للحق[٢٩].

---

(٢٦) الكندي : نفس المصدر ، ص٢٨٢ ، ٢٨٤ .
(٢٧) المصدرين السابقين ونفس الصفحات .
(٢٨) الكندي : نفس المصدر ، ص١٥٧ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص٣١٢ .
(٢٩) جمهرة أنساب العرب ، ص٢٠٤ .

ونظرا لحزمه وعدالته ، فلاشك أنه كان يتمتع بتأييد قوي من أهل مصر ، سواء كانوا من الأباضية أم من غيرهم ، ولذلك ورغم فشله في القضاء على هجوم للروم البيزنطيين على مدينة دمياط في ذي الحجة من عام ٢٣٨هـ/ يونيه ٨٥٣م ، لم يغضب عليه الخليفة العباسي المتوكل ، بل نراه يجمع له الخراج مع الصلاة ، أي يجمع له السلطة السياسية والعسكرية والاقتصادية ان جاز هذا التعبير ، وبذلك جعله صاحب السلطان المطلق في شؤون البلاد السياسية والمالية ، وأمره بابتناء المصلى الجديد بعد أن ضاق المصلى القديم بالناس ، فبناه في حوالي شهرين ونصف الشهر ، وصلى فيه صلاة عيد الأضحى في عام ٢٤٠هـ/ مايو ٨٥٥م ، وظل أبو حاتم عنبسة الضبي حاكما بمصر حتى عزل في مستهل رجب من عام ٢٤٢هـ/ نوفمبر ٨٥٦م . وكان هذا الوالي الأباضي هو آخر من وليها من العرب وآخر أمير صلى بالناس وخطبهم في المسجد الجامع ، اذ ما لبث الترك أن استولوا على الأمر فيها(٣٠) .

وهكذا كان وجود الأزد في مصر مفيدا ومساعدا في انتشار المذهب الأباضي بين كثير من المصريين رعية وولاة ، وكانت مظاهر هذا الانتشار عديدة كما رأينا ، وطبيعي أن كتب التاريخ لم تشر الى الأباضية من المصريين الا لمن كان له منهم موقف من السلطة الحاكمة في مصر ، أو لمن كان له نشاط ظاهر ، كالاتصال باخوانه من أباضية المشرق والمغرب ، وهؤلاء بطبيعة الحال قليل عددهم ، أما الكثرة فلم يستطع المؤرخون لهم ذكرا ، لسبب بسيط وهو أنهم لم يفعلوا ما يؤدي الى ظهور نشاطهم أو يدل على هويتهم المذهبية ، لأنهم كانوا مسالمين ومن ثم لم تذكرهم كتب التاريخ .

---

(٣٠) الكندي : نفس المصدر ، ص١٥٧-١٥٨ ، ابن حزم : نفس المصدر ، ص٢٠٤ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ص٣١٢ .

أما النتيجة الرابعة التي ترتبت على وجود الأزد والمهرة في مصر وعلى نشاطهم الثقافي فيها ، فهي اثراء الحركة العلمية والثقافية في مصر اثراء كبيرا . وقد سبق أن بينا مدى مساهمتهم في رواية الحديث ، وفي الاشتغال بالفقه ، والعمل كقضاة ، ومدى ما خلفوه لنا من تراث كبير في هذا المجال يتمثل في الكتب العديدة التي أشرنا اليها والتي نهل منها أئمة الحديث وأصحاب المذاهب الأوائل والتي لازالت تفيد طلاب العلم حتى الآن .

كما بينا مساهماتهم الكبيرة أيضا في اثراء اللغة العربية نحوا وصرفا وأدبا : شعرا ونثرا ، وما خلفوه في هذا المجال من كتب ومصنفات راجت في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، مما جعل طلاب العلم يشدون اليهم الرحال من المشرق والمغرب يتلقون على أيديهم وينهلون من فيض علمهم وغزير معرفتهم .

وكذلك كان الحال في مجال التاريخ حيث كانت رواياتهم في فتح مصر وما أعقب ذلك من أحداث ، ورواياتهم عن ولاتها وقضاتها ، وعن الصحابة الذين دخلوها ورووا فيها أحاديث رسول الله ﷺ ، ورواها عنهم المصريون ، من أوثق الروايات وأصدقها .

ذلك أن سلسلة السند كانت تصل الى من شارك في الأحداث أو شاهدها وعاصرها أو التقى بأصحابها ونقل عنهم مباشرة . وكانت هذه السلسلة تتكون من أناس موثوق بهم مشهود لهم بالعدالة والضبط والدقة ، وكان قطبها بالنسبة لكتاب فتوح مصر وأخبارها فقيها أزديا هو يزيد بن أبي حبيب ، وبالنسبة لكتاب تاريخ ولاة مصر محدثا أزديا أيضا هو ابن قديد . بالاضافة الى غيرهما من فقهاء الأزد والمهرة الذين أخذ عنهم ابن أبي حبيب نفسه مثل عبدالرحمن بن شماسة المهري وغيره من الرواة الذين اعتمد عليهم مؤلفا هذين الكتابين اللذين يعتبران الحجة في

موضوع تاريخ مصر منذ فتحها على يد عمرو بن العاص وحتى انتقال الخلافة الفاطمية اليها في عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م .

والنتيجة الخامسة والأخيرة لوجود الأزد والمهرة في مصر ولدورهم فيها ، هي دعم الاتصال الفكري والحضاري والتجاري بين مصر وعمان ، وذلك من خلال الاتصال بين علماء البلدين أثناء موسم الحج في مكة ، أو من خلال الرحلات التي كان يقوم بها علماء كل منهما الى بلد الآخر ، وان كان هذا النوع من الرحلات قليلا بالمقارنة باللقاءات العديدة التي كانت لهم في مكة والمدينة ، وكذلك من خلال النشاط التجاري الذي كانت عمان تقف على قمته بالنسبة لتجارة الشرق الأقصى والهند وشرق افريقيا .

وطبيعي أن السلع الواردة من هذه البلدان والمناطق النائية كانت في حاجة الى أسواق لتصريفها أو استبدالها بغيرها ، ولذلك حمل العمانيون هذه السلع اما عبر الخليج العربي الى بلاد العراق والشام ومنها الى غزة والعريش فمصر عن طريق شبه جزيرة سيناء . أو كانوا يحملونها الى عدن فالبحر الأحمر ومنه الى الموانىء المصرية مثل عيذاب ومنها الى قوص ، وفي النيل الى الفسطاط والقاهرة ، أو بالبحر الأحمر الى ميناء القلزم (السويس حاليا) ، ومنه الى الفسطاط والقاهرة[٣١] .

وقد كان هذا النشاط التجاري العماني موجودا قبل ظهور الاسلام بقرون عديدة ، بل وقبل الميلاد أيضا ، حيث كان العمانيون سادة البحار ، ولم يكن لهم منافس في هذا المضمار على الاطلاق ، وكان أسطولهم أقوى أسطول ، وكانت سفنه أكثر عددا من سفن غيره من الأساطيل التي عرفها التاريخ في ذلك

(٣١) عن موضوع التجارة والتبادل التجاري بين مصر وعمان ، انظر ، كتابنا « الأباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة » ، ص١٧٨-١٩٥ .

الزمان[٣٢]. وطبيعي أن ظهور الاسلام لم يقطع صلات عمان التجارية بغيرها من البلدان ، بل انه نماها وزادها قوة واتساعا ، فكانت التجارة بين مصر وعمان قائمة على أي نحو من الأنحاء .

ولا نستطيع أن نزعم أن هذه التجارة كان يصحبها التجار العمانيون في كل الأحوال ، فربما استلمها منهم وسطاء مثل تجار الكارمية أو اليهود أو غيرهم من الطوائف التي كانت تعمل بالتجارة في تلك العصور ، وربما كان يحملها العمانيون بأنفسهم ويصلون بها الى مصر ويعودون منها محملين بسلع الغرب والشمال الافريقي ، خاصة وأن القوافل التجارية كانت تجوب الصحراء الكبرى والشمال الافريقي من أقصاه الى مصر ، ومن مصر كانت التجارة تنقل الى الشرق عبر البحر الأحمر أو الخليج العربي ثم الى المحيط الهندي الذي كانت البحرية العمانية تسيطر عليه في معظم عصور التاريخ[٣٣].

ولاشك أن هذه الاتصالات وهذه العلاقات العلمية والتجارية ، وهذه الهجرات البشرية للأزد والمهرة التي نزحت من عمان أو من البلدان التي نزح اليها العمانيون ، ومنها اتجهوا الى مصر وعاشوا فيها واتخذوها موطنا وصاروا من أهلها ، لابد أن ذلك كله قد أدى الى توثيق الصلات والروابط بين مصر وعمان .

وكيف لا يكون ذلك وقد دان الشعبان بدين واحد وهو دين الاسلام ، وتثقفا بثقافة واحدة وهي الثقافة العربية الاسلامية ، وامتزجا من الناحية البشرية ، اذ كان بعض القبيلة في عمان وبعضها الآخر في الفسطاط والعسكر

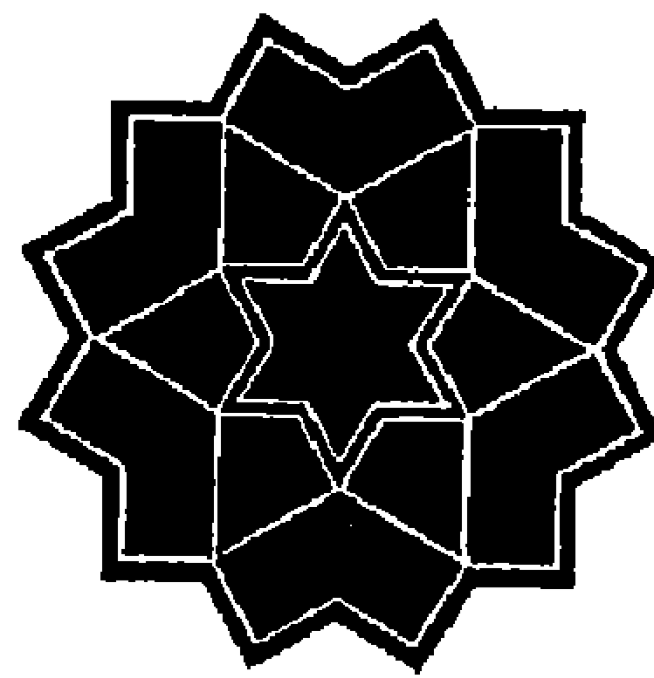
---

(٣٢) مايلز : نفس المرجع ، ص٣٠ ، ٢٧٦-٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ .

(٣٣) المسعودي : مروج الذهب ، جـ١ ص١٣٩-١٤٠ ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص٤٨٦ ، حسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٧ ، ص٣٩٥ ، مايلز : نفس المرجع ، ص٣٠ ، ٣٨٧ .

والجيزة والاسكندرية ومدن مصر المختلفة وريفها الواسع ، مما أدى الى توطيد العلاقات بين البلدين ، والى توثيق عرى التعاون الخلاق الذي كان قائما بينهما منذ ظهور الاسلام بل وقبل ذلك بمئات السنين . وخير دليل على ذلك هو ما سقناه عن تواجد الأزد والمهرة العمانيين في مصر ، وعن نشاطهم السياسي والعلمي والثقافي فيها منذ أن اشتركوا في فتحها وهاجروا اليها زرافات ووحدانا ، وسكنوها وصاروا من أهلها ليصبحوا خير رابط بين الشعبين العماني والمصري . والله نسأل أن يجمع شمل العرب والمسلمين ، انه نعم المولى ونعم المعين .

* * *



مكتبة البحث

١ ـ المصادر العربية القديمة

ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٣٣٨م) : علي بن أحمد بن أبي الكرم .

١ ـ الكامل في التاريخ ، ١٢ مجلداً ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

الادريسي (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) : أبو عبيدالله محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني .

٢ ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، جـ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

الأزكوي (ق ١٢هـ/ ١٨م) : سرحان بن سعيد الأزكوي العماني .

٣ ـ تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق عبدالحميد حسيب القيسي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

أبو اسحاق الحربي (١٩٨ـ٢٨٥هـ/ ٨١٣ـ٨٩٨م) : ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن بشير .

٤ ـ مناسك الحج ، حققه د. حمد الجاسر تحت عنوان « كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة » ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م) : أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي .
٥ ـ الفتوح ، حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ .

البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) : أبو عبدالله بن عبدالعزيز .
٦ ـ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ليدن ، الطبعة الثانية سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي .
٧ ـ فتوح البلدان ، مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) : أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير .
٨ ـ رحلة ابن جبير ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

الجزنائي (ق ١١هـ/ ١٧م) : أبو الحسن علي الجزنائي .
٩ ـ زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، طبع بعناية ألفرد بل ، الجزائر ، سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م .

الجعدي (٥٤٧ ـ بعد عام ٥٨٦هـ/ ١١٥٢ـ١١٩٠م) : عمر بن علي بن سمرة الجعدي .
١٠ ـ طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن حبيب البغـدادي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) : أبـو جعفـر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي .

١١ ـ المحبر ، برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تصحيح د. ايلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ/ ١٣٧٤-١٤٤٩م) : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر .

١٢ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ/ ٩٩٤-١٠٦٤م) : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي .

١٣ ـ جمهـرة أنسـاب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الحميري (ق ٩هـ/ ١٥م) : محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي .

١٤ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ، جمعه عام ٨٦٦هـ/١٤٦٣م ، تحقيق د. احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

ابن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ/ ٧٨٠-٨٥٥م) : الامام أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي .

١٥ ـ مسنده ، وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

ابن حوقل (ت٣٦٨هـ/ ٩٧٧م) : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي .

١٦ - صورة الأرض ، أو المسالك والممالك ، مكتبة حياة بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ابن خرداذبة (ت حوالي ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) : أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة .

١٧ - المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .

ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) :

١٨ - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ/ ١٢١١-١٢٨٢م) : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر .

١٩ - وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، جـ١ ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

الدارقطني (٣٠٦-٣٨٥هـ/ ٩١٨-٩٩٥م) : الامام علي بن عمر الدارقطني .

٢٠ - سنن الدارقطني جـ٣ ، دار المحاسن للطباعة ، القاهرة ، سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

ابن دريد الأزدي (٢٢٣-٣٢١هـ/ ٨٣٨-٩٣٣م) : أبو بكر محمد بن الحسن .

٢١ - الاشتقاق ، جزءان في مجلد ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) : الامام أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي .

٢٢ - تذكرة الحفاظ جـ١ ، طبعة حيدر أباد ، الهند ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، جـ٢ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢٣ - دول الاسلام ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

أبو زكريا الأزدي (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) : أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الأزدي .

٢٤ - تاريخ الموصل ، تحقيق د. علي حبيبة ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ، سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

السبكي (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) : تاج الدين عبدالوهاب السبكي .

٢٥ - طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٢ ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، وعبدالفتاح محمد الحلو ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، بدون تاريخ .

ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) : أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري .

٢٦ - الطبقات الكبرى ، ثمانية مجلدات ، دار التحرير ، القاهرة ، سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

السمعاني (٥٠٦-٥٦٢هـ/ ١١١٢-١١٦٦م) : الامام أبوسعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي .

٢٧ - الأنساب ، خمسة أجزاء ، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي ، دار الجنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

الشماخي (ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م) : أحمد بن سعيد بن عبدالواحد .

٢٨ ـ السير، جزءان ، تحقيق أحمد بن سعود السيابي ، وزارة التراث ، مسقط ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ/ ٨٣٨-٨٢٢م) : الامام أبو جعفر محمد بن جرير .

٢٩ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) : أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر .

٣٠ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، جـ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ، بدون تاريخ .

٣١ ـ الانباه على قبائل الرواة ، حققه وقدم له ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

ابن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م) : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القرشي المصري .

٣٢ ـ فتوح مصر وأخبارها ، مكتبة المثنى ، بغداد ، طبعة ليدن ، سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م .

ابن عبدربه الأندلسي (ت ٣٣٦هـ/ ٩٤٨م) : شهاب الدين أحمد .

٣٣ ـ العقد الفريد ، جـ١ـ٣ ، تقديم الأستاذ خليل شرف الدين ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ابن عذارى المراكشي (ق ٧هـ/ ١٠م) :

٣٤ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ١ ، تحقيق ومراجعة كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) : المؤرخ الفقيه الأديب أبو الفلاح عبدالحي .

٣٥ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٤ أجزاء في مجلدين ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، بدون تاريخ .

العوتبي الصحاري (ق ٥هـ/ ١١م) : سلمة بن مسلم .

٣٦ ـ الأنساب ، جزءان ، الجزء الثاني منهما تحقيق الاستاذ محمد الصليبي ، طبعة ثانية ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، وزارة التراث ، مسقط ، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

عياض ، القاضي (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي .

٣٧ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، أربعة أجزاء في مجلدين ، تحقيق د. أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس بليبيا ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٧٦م) : علي بن الحسين .

٣٨ ـ الأغاني ، ٢٤ مجلدا ، دار احياء التراث العربي ، سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

قدامة (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) : أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي .

٣٩ ـ نبـذ من كتـابـه الخراج وصنعة الكتابة ، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .

القسطلاني (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد .

٤٠ ـ ارشـاد الساري لشرح صحيح البخاري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

القفطي (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) : الوزير جمال الدين أبو المحاسن علي بن سوف .

٤١ ـ إنبـاء الرواة على أنباء النحاة ، أربع مجلدات ، تحقيق محمد أبو الفضـل ابـراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ومؤسسة الثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) : أبو العباس أحمد بن علي .

٤٢ ـ قلائـد الجـمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤٣ ـ صبح الأعشى ، جـ١ ، ٣ ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر ، سلسلة تراثنا ، بدون تاريخ .

الكلاعي الأندلسي (٥٦٥ـ٦٣٤هـ/ ١١٦٩ـ١٢٣٦م) : أبو الربيع سليمان بن موسى .

٤٤ ـ الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا ، مخطوط نشره وحققه د. أحمد غنيم باسم حروب الردة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) : أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي .

٤٥ ـ نسب معد واليمن الكبير، جـ١ ، ٢ ، نسخة بخط اليد ، تحقيق محمود فردوس العظم ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، موجود بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي .

الكندي (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) : أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري .

٤٦ ـ تاريخ ولاة مصر وقضاتها ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

ابن ماجه (٢٠٧ـ٢٧٥هـ/ ٨٢٢ـ٨٨٨م) : الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني .

٤٧ ـ سنن ابن ماجه ، تحقيق محمود فؤاد عبدالباقي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

المبرد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) : أبو العباس محمد بن يزيد .

٤٨ ـ الكامل في اللغة والأدب ، جزءان في مجلد ، مكتبة العارف ، بيروت ، بدون تاريخ .

المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي .

٤٩ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ١ ، ٢ ، شرح وتقديم د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٥٠ ـ التنبيه والاشراف ، دار التراث ، بيروت ، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٦٨م .

مسلم (٢٠٦-٢٦١هـ/ ٨٢١-٨٧٤م) : الامام أبوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري .

٥١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي .

٥٢ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، جـ١ ، ٢ ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٥٣ ـ البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، نشر د. عبدالمجيد عابدين ، القاهرة ، سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ/ ١٢٣٢-١٣١١م) : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري .

٥٤ ـ لسان العرب ، جـ٣ ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٥٥ ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، جـ٦ ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، نزار أباظة ، دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

ابن النديم (ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) : محمد بن اسحاق المعروف بالوراق .

٥٦ ـ الفهرست ، تحقيق د. ناهد عباس عثمان ، دار قطري بن الفجاءة ، قطر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

ابن هشام (٢١٨هـ/ ٨٣٣م) : أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري .
٥٧ ـ السيرة النبوية ، ٤ أجزاء في مجلدين ، تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الأبياري ، وعبدالحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

الهمداني (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب .
٥٨ ـ الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، دار المناهل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
٥٩ ـ صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ودار الآداب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

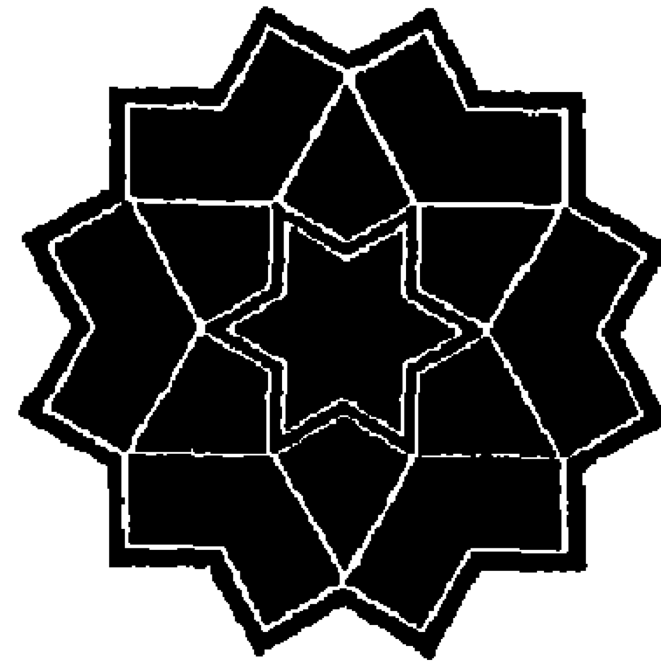
وكيع (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م) : محمد بن خلف بن حيان .
٦٠ ـ أخبار القضاة ، جـ٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٣٠م) : الامام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي .
٦١ ـ معجم البلدان ، خمس مجلدات ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٦٢ ـ معجم الأدباء ، عشرون جزءا في عشرة مجلدات ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

اليعقوبي (ت ٢٧٢هـ/ ٨٩٥م) : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي .

٦٣ ـ تاريخ اليعقوبي ، جزءان ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .
٦٤ ـ صفة المغرب ، مأخوذ عن كتاب البلدان لليعقوبي ، ليدن ، سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م .



٢ ـ المراجع العربية الحديثة

ابراهيم زكي خورشيد وآخرون :

٦٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

أحمد أمين :

٦٦ ـ ظهر الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، بدون تاريخ .

أيمن أحمد فؤاد :

٦٧ ـ صفة افريقيا في المصادر العربية ، بحث ضمن كتاب العرب وافريقيا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

بروكلمان :

٦٨ ـ تاريخ الأدب العربي ، جـ٣ ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

بسام العسيلي :

٦٩ ـ عمرو بن العاص ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

توماس أرنولد :

٧٠ ـ الدعوة الى الاسلام ، ترجمة د. حسن ابراهيم حسن ، د. عبدالمجيد عابدين ، واسماعيل النحراوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

جرجي زيدان :

٧١ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ١ ، مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .

٧٢ ـ العرب قبل الاسلام ، مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م .

حسن ابراهيم حسن : (دكتور) .

٧٣ ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، جـ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة التاسعة ، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

حسين مؤنس : (دكتور)

٧٤ ـ أطلس تاريخ الاسلام ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

خالد سعود زيد :

٧٥ ـ كعب الأشقري ، شاعر عماني في العصر الأموي ، بحث بقلم الاستاذ : خالد سعود الزيد ، ضمن كتاب « فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي » اشراف سالم بن محمد الغيلاني ، اعداد : محمد علي الصليبي ، مسقط ، ١٤١٠هـ/يونيه ١٩٩٠م .

خالد يحيى العزي : (دكتور)

٧٦ ـ الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان ، مكتبة الدار القومية للكتاب العربي ، بغداد ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

خير الدين الزركلي :

٧٧ ـ الاعلام ، حـ٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

رجب محمد عبدالحليم : (دكتور)

٧٨ ـ الأباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة ، مكتبة العلوم ، مسقط ، سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

سالم بن حمود بن شامس السيابي :

٧٩ ـ العنوان عن تاريخ عمان ، بدون دار نشر ، وبدون تاريخ .

٨٠ ـ اسعاف الأعيان ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

السيد عبدالعزيز سالم : (دكتور)

٨١ ـ تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .

٨٢ ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .

سيدة اسماعيل الكاشف : (دكتور)

٨٣ ـ مصر في فجر الاسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

الشاطر بصيلي عبدالجليل : (دكتور)

٨٤ ـ تاريخ وحضارات السودان الشرقي الأوسط من القرن السابع الى القرن التاسع عشر للميلاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

صالح بن أحمد الصوافي : (دكتور)

٨٥ ـ الامـام جابـر بن زيد العـماني وآثاره في الدعوة ، رسالة ماجستير مطبوعة ، جامعة الأزهر ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

عادل الحديدي :

٨٦ ـ المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة عمان ، مسقط ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

عبد الله حسين :

٨٧ ـ السودان القديم والجديد ، القاهرة ، سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م .

عطية القوصي : (دكتور)

٨٨ ـ محاولـة العـرب والمسلمـين كشف منـابع النيل في القرون الأولى للاسلام ، بحث ضمن كتاب العرب وافريقيا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

عمر رضا كحالة :

٨٩ ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، خمسة مجلدات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

عمر فروخ :

٩٠ ـ تاريخ الأدب العـربي ، جـ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

مايلز ، س. ب :
٩١ ـ الخليج بلدانه وقبائله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

محمد بن أحمد بن عمر الشاطري :
٩٢ ـ أدوار التاريخ الحضرمي ، جـ١ ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

محمد أحمد مشهور الحداد : (دكتور)
٩٣ ـ حقائق تاريخية عن العرب والاسلام في افريقيا الشرقية ، دار الفتح ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

محمد بن الزبير بن علي : (مجموعة من المؤلفين والباحثين تحت اشراف معالي الدكتور محمد بن الزبير المستشار الخاص لجلالة السلطان لشؤون التخطيط الاقتصادي) .
٩٤ ـ معجم أسماء العرب ، مجلدان ، توزيع مكتبة لبنان ، بيروت ، طبعة جامعة السلطان قابوس ، مسقط ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م .

محمد بن عبدالله السالمي ، وناجي عساف :
٩٥ ـ عمان تاريخ يتكلم ، طبع على نفقة سليمان وأحمد ابني محمد السالمي ، المطبعة العمومية ، دمشق ، سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

محمد فريد وجدي :
٩٦ ـ دائرة معارف القرن العشرين ، جـ٦ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

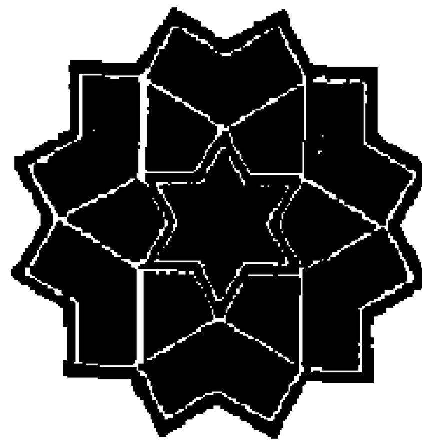
محمود شيت خطاب : (اللواء الركن)
٩٧ ـ قادة فتح الشام ومصر ، دار الفتح ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م .

مصطفى صادق الرافعي :
٩٨ ـ تاريخ آداب العرب ، جـ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

نور الدين السالمي (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) :
٩٩ ـ تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، جزءان في مجلد ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

وندل فيلبس :
١٠٠ ـ تاريخ عمان ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث ، مسقط ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ولكنسن :
١٠١ ـ بنو الجلندى في عمان ، وزارة التراث ، مسقط ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .



عناصـــر البحـــث

الموضـــــوع

تمهيد تاريخي : الأزد والمهرة قبل دخولهم مصر

١ ـ اشتراك الأزد والمهرة في فتح مصر واستقرارهم فيها

٢ ـ هجرات الأزد والمهرة إلى مصر بعد انتهاء عصر الفتح

٣ ـ الدور السياسي والاداري للأزد والمهرة في مصر :

(أ) ولاة مصر وحكامها من الأزد والمهرة ودورهم السياسي والحضاري

(ب) موقف الأزد والمهرة من الفتن والثورات التي قامت في مصر وأسباب ذلك .

٤ ـ الدور الثقافي والعلمي للأزد والمهرة في مصر :

(أ) دور الأزد والمهرة في مجال العلوم الدينية

(ب) دور الأزد والمهرة في مجال اللغة العربية وآدابها

(ج) دور الأزد والمهرة في مجال التاريخ

٥ ـ نتائج وجود الأزد والمهرة في مصر

مكتبة البحث :

١ ـ المصادر العربية القديمة

٢ ـ المراجع العربية الحديثة

المناقشات

أحمد بن سعود السيابي

الباحث أحمد بن سعود السيابي مدير عام الأوقاف والمساجد بوزارة العدل والأوقاف والمقدسات اثار نقاطا عدة لدى تعليقه على ورقة عمل الدكتور رجب محمد عبدالحليم ويمكن تلخيص هذه النقاط بالتالي :

ـ قال معقبا على ما ورد في ورقة عمل الاستاذ الباحث بأن [جميع الجند المشاركين في فتح مكة وعددهم (١٠) آلاف كانوا من الأوس والخزرج (الأزديين)] : بأن هناك قبائل أخرى شاركت في هذا الفتح العظيم وان الأمر لم يقتصر على الأوس والخزرج فقط .

ـ ويعقب أحمد بن سعود السيابي على ما ذكره الباحث من أن الوفد الذي رافق عمرو بن العاص لدى عودته إلى المدينة بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ كان من الأزد والمهرةفيقول : (ان مرافقي عمرو بن العاص كانوا (٧٠) رجلا من أشراف الأزد وعلى رأسهم عبد بن الجلندى ، وكان من بينهم (حمامي) جد ابن دريد) .

أما السرية التي اسند الخليفة الراشد ابو بكر رئاستها الى عبد بن الجلندى ، فانها لم تكن كلها من العمانيين ، وكان فيها على التحقيق عدد من الصحابة من غير العمانيين ومنهم حسان بن ثابت على سبيل المثال لا الحصر.

ـ ويشير الشيخ أحمد بن سعود السيابي الى حادثة (دبا) فيقول : (انه لا تقارب فيها بين المصادر العمانية وغير العمانية ، فبينما تنفي المصادر العمانية وقوع الردة تأتي مصادر أخرى لتثبت ذلك ، والتحقيق أنه لا ردة لأن القضية أتت متأخرة نسبيا عن حروب الردة التي شهدتها الجزيرة العربية في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه) .

ـ ويختتم الشيخ أحمد بن سعود السيابي ملاحظاته عند اشارة الاستاذ الباحث الى أن (الحجر) من الأزد ، ذاهبا إلى القول : (إن الحجريين من (كندة) وهم بيت ملك في اليمن) .

د. محمد صابر عرب من جامعة السلطان قابوس

اثنى على الدراسة ووصفها بأنها جادة ، كما اشاد بالجهد العلمي الذي بذله الدكتور رجب محمد عبدالحليم ، مستفسرا في نهاية كلمته حول مفهوم (الأزدي) وفيما إذا كان كل أزدي عمانيا ؟ مطالبا التحقق من ذلك .

سعيد بن محمد الغيلاني

الباحث سعيد بن محمد الغيلاني من جامعة السلطان قابوس مشيدا بالبحث ، ذاكرا بأنه (لا يختلف اثنان على أن المحاضرة كانت جيدة) مستفسرا حول جدية الرقم الذي أورده الدكتور الباحث لدى ذكره الجيش الذي قاتل الفرس مع مالك بن فهم وكان عدده (٦) آلاف ، متسائلا فيما إذا كانت قصة مالك بن فهم ذكرت كحقيقة واقعة ام اسطورة ؟ .

معقبا على ما أشار اليه الدكتور محمد صابر عرب بأنه ليس كل أزدي عمانيا ، موضحا بأن الأزد بعد هجرتهم على اثر انهيار سد مأرب تفرقوا الى (٢٦) قبيلة منها الأوس والخزرج والغساسنة والمناذرة وغيرهم ، أما (الأزد) فيطلق على أربعة هم (أزد شنوءة ، وأزد غسان ، وأزد السراة ، وأزد عمان) ، أما أزد عمان فمنهم (الحجر والحدان والعتيك والفراهيد واليحمد وهناءة) وغيرهم .

د. أحمد درويش

ويشارك في النقاش الدكتور أحمد درويش استاذ النقد الأدبي والأدب المقارن بجامعة السلطان قابوس منبها إلى أن حركة التعريب في الشام ومصر وغيرها بدأت قبل الاسلام ، وان الهجرات من جنوب الجزيرة العربية بدأت هي أيضا في فترة مبكرة قبل فتح عمروبن العاص لمصر وقبل الاسلام ، مشيرا الى التشابه الموجود في النطق اللهجي بين عرب جنوب الجزيرة العربية ومصر ، ضاربا المثل على ذلك بالجيم المعطشة وغير المعطشة وبالكشكشة التي مازالت موجودة الى يومنا هذا في شرقية مصر كدليل لهجي آخر على التحام الهجرات .

مطالبا بالبعد عن المبالغة لدى تناولنا مثل هذه المواضيع الحساسة لما فيها من تداخلات مكانية وزمانية ، متسائلا في نهاية تعقيبه (لماذا التركيز على الأزد ومهرة ؟) مختتما بأن البحث يفتح الكثير من التساؤلات والقضايا التي هي بحاجة الى مزيد من التحقيق .

علي بن محسن آل حفيظ

ويتوقف الباحث علي بن محسن آل حفيظ مدير دائرة تطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم طويلا عند ورقة عمل الدكتور رجب محمد عبدالحليم مثيرا بعض الملاحظات ، معقبا عليها في كثير من الأحيان ومن هذه الملاحظات :

ـ ما أشار اليه المؤلف (بأن مهرة بعد ما هاجرت من تهامة ، سكنت ظفار) ، ووجهة نظر المعقب (انهم سكنوا بلاد الشحر أو منطقة الشحر) معللا ذلك بأن الحيز الجغرافي الذي حدده الاستاذ الباحث ضيق ، وان المنطقة التي سكنت فيها مهرة أكبر واكثر امتدادا .

ـ مضيفـا بأن الدكتور الباحث من خلال ورقة عمله ، أوحى بأن هناك عملية مقارنة بين مهرة والأزد في اطار المقارنة العائلية لابراز جهودهما ـ اذا صح التعبير ـ في فتح مصر ، مشيرا بهذا الصدد الى أن من افضل المصادر التي عنيت بمثل هذه القضية ـ وجهة نظره ـ هو كتاب (فتوح مصر) لابن عبدالحكم ، وفيه جاء (ان معظم القبائل التي شاركت في الفتح كانت من القبائل المرتدة في عهد الخليفة الراشد ابي بكر الصديق رضي الله عنه) . مضيفا (ان الباحث أورد في رقة عمله معلومات عن جهود مهرة في زمن أبي بكر) ، وأنا (المعقب) لا أعلم شيئا عن ذلك ، وكل ما نعرفه أن هجرة مهرة كانت بعد فتح الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الباب أمام القبائل المرتدة كي تشارك بالفتوح ، وهنا يحضرني (المعقب) ما يشبـه التـوجيه من عمر بن الخطاب الى قائده بالقادسية سعـد بن أبي وقـاص يقـول فيه ما معناه (وشاوروهـم في الأمر ولا تولوهـم) ، مستشهدا بما أورده ابن عبدالحكم في (فتوح مصر) من أن (مهرة كانوا مسجلين في سجل كندة ، وليس لهم سجل مستقل بهم في بداية سنوات الفتح) وهذا يدل (وجهة نظر المعقب) أن الكم العددي لمهرة كان متواضعا في بداية الفتح ، بينما نجد للأزد منذ بداية الفتح سجلا خاصا بهم ويتابع تعليقه قائلا : (وبعد فترة متأخرة يصبح والي مصر من قضاعة ، ويجعل لمهرة سجلا خاصا بهم) ، مستدركا (بأن ما سبق لن يقلل من الدور المشهود الذي قامت به مهرة في الفتح الاسلامي) .

ـ ومما جاء في ملاحظات علي بن محسن آل حفيظ أن الاستاذ الباحث نطق (بَلِيّ) بفتح فكسر ، والصواب هو (بَلِّي) بفتح فلام مشددة عليها فتحة .

وقال : ان لفظة (بلِّي) موجودة في الكثير من المصادر القديمة فقد ذكرها

العوتبي في الأنساب وابن خلدون وابن كثير وغيرهم ، وهي من قبائل قضاعة ، قديمة جدا ، هاجرت الى مختلف ارجاء الجزيرة العربية وخارج الجزيرة مثل وادي النيل ، ويقال : إن عمر بن الخطاب أشخص ثلث رجالات الفتح من (بلّي) الى مصر ، وهذا دليل على أن بذور هذه القبيلة موجودة في مصر منذ القدم .

ـ أما (يافع) فهي قبيلة يمانية ، ولها جذور في عمان ، والعمانيون الذين ينتسبون اليها يقال انهم من (يافع) ، ولا نستطيع أن نقول : ـ مع الأخذ بعين التقدير والاحترام لرأي الباحث ـ بأن يافع عمانية ، لأن هنالك منطقة جغرافية تعرف بـ (يافع) ، وقبائل يافع من حمير .

وفي آخـر ملاحـظاتـه على ورقـة الاستاذ الباحث قال علي بن محسن آل حفيظ : (لا أدري كيف خلط الاستاذ الباحث بين (سيبان) ومهرة ، وسيبان قبائل معروفة وهي من أكبر قبائل حضرموت) ، مشيرا إلى أنه لا يدري فيما اذا كان هناك تواصل قديم في الجذور بينهما .

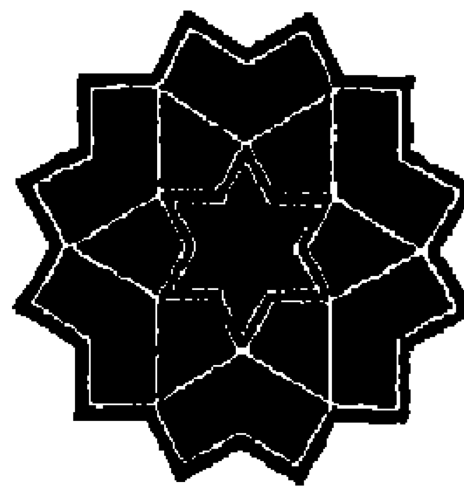
د. رجب محمد عبدالحليم

أما الاستاذ الباحث الدكتور رجب محمد عبدالحليم فقد رد بايجاز شديد على التساؤلات المطروحة حول البحث الذي شارك فيه ، ومما أوجزه على سبيل (خير الكلام ما قل ودل) ان البحث طويل جدا وانه لو اتيحت قراءته كاملا لوجدنا فيه ردودا على التساؤلات التي أثارها المناقشون ، منددا بالتعصب للرأي ، مشيرا الى تأييده وجهة نظر أحمد بن سعود السيابي بأن جند فتح مكة العشرة آلاف لم يكونوا كلهم من الأزد ، وأن الذين توجهوا مع عمرو بن العاص الى المدينة المنورة كانوا من الأزد ، واصفا ما حدث في دبا بأنه لم يكن ردة وانما يمكن أن ندرجه في اطار

ما يسمى اليوم (التمرد السياسي أو العسكري) مذكرا مناقشيه بأن له مؤلفا في (دبـا) صدر عام ١٩٨٥ ، لافتـا النـظر بأن هنـاك و (حجـريا) من كندة ، و (حجريا) من الأزد .

وفي الوقت الذي يؤيد فيه الاستاذ الباحث وجهة نظر الدكتور محمد صابر من جامعة السلطان قابوس والباحث سعيد بن محمد الغيلاني من جامعة السلطان قابوس أيضا بأنه لا يعتبر كل أزدي عمانيا ، فانه يوضح أنه تناول هذه القضية في بداية بحثه الذي يصل فيه الى القول بأن عمان هي الموطن الأم للأزد ، وانه كان يركز في بحثه على أزد عمان ممن ذهبوا إلى مصر .

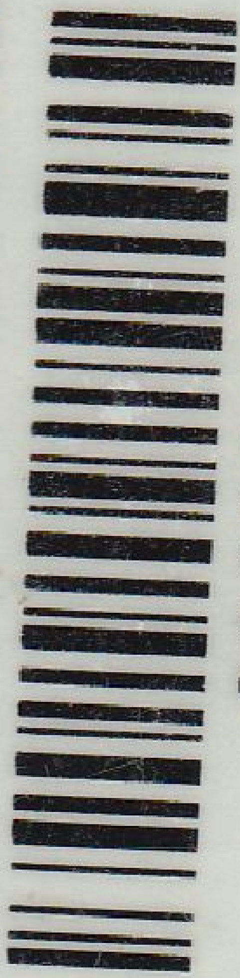
بينـما يخالف الاستـاذ الباحث ما ورد في تساؤل الباحث سعيد بن محمد الغيلاني في أن قصة مالك بن فهم اسطورية ، مشددا على هذه الناحية بالقول بأن القصـة وردت في مصادر موثوقة منها الانساب للعوتبي الصحاري ، ومالك بن فهم حقيقـة تاريخية موثوقة ، وربما تدخل الاسطورة أو المبالغة في الاعداد التي وردت في القصة حيث تدفعنا إلى التساؤل ، كيف تغلب مالك بن فهم بجيش مؤلف من (٦) آلاف على (٤٠) ألفا من جيش الفرس بعدده وعتاده وفيلته ؟



الفهرست

صفحة

رقم الايداع ٩١/١٦٩



شركة مطبعة عمان ومكتبتها المحدودة ش.م.م